

بحوث ومخبرات القيت في المؤتمر

بمناسبة مرور مئة سنة على ميلاده :

السير هاميلتون جيب عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

عطاؤه الجُم للدراسات العربية والإسلامية *

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

بيرشير (L.Berchère) الذي ترجم رسالة
الشيخ أبي زيد القيرواني، وأمثال الدكتور
بيرون Perran الذي أقدم على ترجمة
المختصر في الفقه المالكي للشيخ خليل بن
إسحاق المصري، علاوة على أعماله
الأخرى. ولكأنما قيّضت الأقدار لكل
تراث من يهتم به من هؤلاء، أو يدل على
أماكن وجوده في مختلف جهات الدنيا.

وسينصبُ حديثي في هذه المناسبة
على عَلم من أعلام الاستشراق في العصر
الحديث ، ويتعلق الأمر بعضوٍ من أعضاء
بجمعنا ومن المؤسسين للمجمع، اختفى عنا
منذ نحو من ربع قرن، وما يزال الحديث
عنه سائراً إلى الآن.

ولد جيب في مدينة الإسكندرية
منذ ثاني يناير ١٨٩٥ أي قبل مائة سنة،
كان والده مديراً لمصنع الأجبان في أبي قير،

نرى من واجبنا في بداية الحديث أن ننوه
بالجهود التي قامت بها طائفة من
المستشرقين الأكفاء الذين ساعدتنا
دراساتهم وبحوثهم على استجلاء الحقيقة
التي تظل الهدف الأسمى للباحثين، وكذا
لتصحيح بعض المعلومات حول عدد من
الموضوعات التي تتناول بعض القضايا التي
قد لا تخطر على البال.

لقد وجدنا في المستشرقين من
تخصص في أبي عبيد البكري أمثال البارون
دوسلان. ومن اهتم بالشريف الإدريسي
كالأستاذ دوزي ودوخوي (De Goeje).
ومن اهتم بابن جبير كالأستاذ رايت
(Wright). ومن اهتم بالعمري كالأب
دوكينيس (De Guignes). ومن كتب
عن علاقات المشرق بالمغرب من أمثال
ماريوس كارنار (M.canard) بل ومن
اهتم بمصنفاتنا الإسلامية كالأستاذ ليون

(*) أُلقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثانية العلنية المسائية من جلسات مؤتمر المجمع بتاريخ ٢٦ من شوال

سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٧ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٥ م

وقد توفي وتركه من سنتين ،
وبينما بقيت والدته بالإسكندرية تمارس
التدريس أرسل الطفل - وهو ابن خمس
سنوات - إلى سكوتلاندا لتلقى تربيته ،
وهناك في المدرسة العليا بإدنبورغ
EDINBURGH قضى سنه من عام
١٩٠٤ إلى عام ١٩١٢ ، ثم التحق بجامعة
إدنبورغ ولم ينقطع عن الدراسة إلا عندما
شبت الحرب العالمية العظمى ، حيث
وجدناه يلتحق بإيطاليا وفرنسا لأداء واجبه
الوطني.

وبعد الحرب درس اللغة العربية في معهد
الدراسات الشرقية بجامعة لندن حيث
حصل على الدبلوم في عام ١٩٢٢ ، وهي
السنة التي اقترن فيها بزوجته هيلين التي
كانت له نعم المعين.

وقد درس اللغة العربية في المعهد
المذكور ابتداءً من عام ١٩٢١ إلى عام
١٩٣٧ كمحاضر . ولم يلبث أن أصبح
أستاذاً مساعداً ابتداءً من عام ١٩٢٩ ،
على أن يمسي أستاذاً ابتداءً من عام ١٩٣٠
خلفاً لأستاذه المعروف السير طوماس
أرنولد (T.ARNOLD) ، وقد قام بزيارة
مصر ، وتردد عليها على نحو مساك

بالنسبة لبلدان عربية أخرى ، ومن هنا
أصبح أحد المعروفين بإسهاماته في
الموسوعة الإسلامية (Encyclopedia of
islam) ، في الوقت الذي قام بتأليف
بعض الكتب وتحرير عدد من المقالات ،
ظهر من خلالها عمق معارفه ، كما ظهرت
موهبته في البحث وأصالته في الأسلوب ...
وكان من أوائل تلك البحوث التي ظهرت
له سنة ١٩٢٦ كتابه في الأذب العربي
(ARABIC LITERATURE).

وقد قام عام ١٩٢٩ بترجمة
(مختارات) من رحلة ابن بطوطة : الأقسام
الخاصة بآسيا وأفريقيا ، وهو التأليف
المعروف تحت اسم (Selections) ، ومن
المضحك أن نعرف أن هذا التأليف في
طبعته الثالثة الأخيرة التي ظهرت عام
١٩٨٤ ، أي بعد وفاته بثلاث عشرة سنة -
أقول ظهرت هذه الطبعة وهي لا تحمل
اسم السير هاميلتون جيب ، وهكذا صدر
الكتاب غفلاً بدون اسم !!

ثم ظهرت للسير جيب عام ١٩٣٢
ترجمة لتأليف باللغة العربية يتعلق بفترة
الحروب الصليبية ، ويتعلق الأمر بكتاب
لحمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي

(ت ٥٥٥ = ١١٦٠) وهو مؤرخ ثقة من أهل الشام صاحب ذيل تاريخ دمشق.

كما صدرت له في هذه الأثناء سلسلة من المقالات التي تعالج الأدب العربي المعاصر وبعض الموضوعات الإسلامية التي كانت من الأعمال الجديّة الأولى التي ظهرت لأحمد رجمال الاستشراق.

وقد أسهمت تلك الأعمال في تعريف القراء الغربيين بالدراسات العربية والإسلامية في العالم الغربي، حيث أصبح في متناولهم الوقوف على بعض الموضوعات التي كانوا يتوقون إلى معرفتها فيما يتصل بالقرآن الكريم، وبالرسول عليه الصلوات وبالأمة الإسلامية، وما يتصل بمسيرتها عبر التاريخ. وفي عام ١٩٣٧ تبسّوا منصب أستاذ كرسي للغة العربية في أكسفورد خلفاً للأستاذ ماركوليت (MARGOLIOUTH)، كما انتخب عضواً بمجلس كوليج جوهن... واستمر بأكسفورد لفترة أربعة عشر عاماً زادت في إثراء معارفه، ومكنته من فهم القضايا العربية والإسلامية أتمّ تمكّن، علاوة على فهمه الثاقب لقضايا الشرق الأوسط.

وقد ساعده الوضع بعد الحرب العالمية الثانية في أثناء الأربعينيات، على تشجيع هذه الدراسات في أكسفورد، الأمر الذي مكّن هذه المؤسسة من رصد اعتمادات سخية خاصة لتطوير دراساتها لقضايا الشرق الأوسط، وهكذا فقد أسند الأمر كله إلى السير جيب الذي كان يجد الوقت، مع كل هذا لمواصلة نشاطه كأستاذ، ومتابعة كتاباته وتأليفاته..

وقد أخرج بمشاركة زميله الأستاذ هارولد بووين HL. Bowen كتاب ISLAMIC Society and west (القسم الأول ١٩٥٠ والقسم الثاني عام ١٩٥٧) وقد تبع هذا تأليف عن العثمانيين أواخر القرن الثامن عشر، كان له صدّي لدى الذين كانوا يهتمون بأحوال الأمة الإسلامية، وقد تبعت هذا أعمال له أخرى وخاصة منها مظهر عام ١٩٤٩ حول الإسلام تحت عنوان (MOHAMMEDANISM) الذي كان تنمة لما ظهر له قبل سنتين عام ١٩٤٧ حول التّزعات العصرية في الإسلام (MODERN TREND IN ISLAM)،

وقد عالج فيه مشاكل المجتمع الإسلامي في العالم الجديد.

وفي عام ١٩٥٥ غادر جيب أكسفورد ليمسى أستاذاً للعربية في جامعة هارفارد ، ويحمل كذلك لقب "أستاذ الجامعة" ، وهو اللقب الذي لا يعطى إلا نادراً لبعض عيون العلماء المتميزين بطول الباع والكفاءة في الدراية.

ولم يلبث أن أصبح مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط في هارفارد ، وقد فتحت أمامه - وهو يعيش الستين - آفاق جديدة ظهر فيها نشاطه وبرز فيها حماسه ، وقد أمسى من أبرز رجال الفكر الذين اعتمدتهم الجامعات الأمريكية للاسترشاد بهم من أجل إنشاء مراكز جهوية، تعنى بالدراسات في شتى حقول المعرفة وعلى مختلف الأصعدة ، لتكوين الأساتذة والباحثين.

وهكذا استعاد السير هاميلتون نشاطه الأول وعاد إلى التأليف في ميدان التاريخ والأدب . وهنا وجدناه يُقدم على عملٍ ضخم ، ذلك هو القيام بترجمة رحلة ابن بطوطة إلى الإنجليزية، بعد أن كان قد ترجم منها بعض (المختارات) مما يتصل

بآسيا وأفريقيا على ما أسلفناه . وكان مما شجعه على ذلك بطبيعة الحال مقدرته على استيعاب اللغة العربية بدقائقها، وتضلعه كذلك من شتى أنواع المعرفة ، كل ذلك جعل منه ترجماناً كفئاً، وبصيراً، ومتذوقاً لما يؤلف العربية..

وعندما قررتُ في بداية الستينيات القيام بنشر مخطوطة ابن صاحب الصلاة حول تاريخ الدولة الموحدية(*) استشرته حول الإقدام على ذلك العمل - وكان وقتها يتردد بين بوسطن ولندن - وكان بلغني أنه يعتزم نشر المخطوطة المذكورة ، وقد كانت قرية منه في مكتبة بُودليان بأكسفورد ... فكتب إليّ يؤكد لي أنه بالفعل كان قد برمج تحقيق المخطوطة المذكورة لكنه عدل عن الفكرة.

وقد ظهر أنه أعطى الأولوية فعلاً لترجمة رحلة ابن بطوطة إلى الإنجليزية عن النص العربي والفرنسي الذي قام به المستشرقان الفرنسيان ديفريميري DEFREMERY وسانكينتي (Sangunetti) على ماسنري في نهاية العرض.

* المن بالأمانة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين تأليف عبد الملك بن صاحب الصلاة تحقيق د. عبد الهادي التازي الطبعة الثالثة. دار المغرب الإسلامي ١٩٨٧.

ولقد عاد السير جيب بعد عام ١٩٦٤ إلى أكسفورد .. وأخذ يعيش أكثر وقته مع ترجمة ابن بطوطة . وبالرغم مما أصابه بسبب وفاة عقيلته عام ١٩٦٩ فقد تحامل على نفسه، وأخذ في إعداد الجزء الثالث من الرحلة الذي ظهر له سنة ١٩٧١ وهي السنة التي انتقل فيها إلى منزله في شير نكطون Cherngton شمالي أكسفورد ، حيث كان يُمنى نفسه بترجمة الجزء الرابع الباقي من رحلة ابن بطوطة ، وهنا نأتى بشهادة البروفيسور بيكينكام Becknham الذي قدّر له أن يكون هو القائم بذلك العمل ، يقول بيكينكام:

إن السير هاميلتون جيب أخذ يشعر وهو يترجم المجلد الثالث بمتعاب صحية كادت تحول دون إنهاء العمل .. وإنه - أي بيكينكام - كان يقدم له بعض المساعدة فقد أخذ جيب ينسى بعض الكلمات وبعض الجمل !!

ويعترف بيكينكام بأن العمل العظيم الذي قام به جيب وخاصة في (المختارات) (Selections) التي ترجمها عن آسيا وأفريقيا ، سهل عليه المهمة التي

ألقيت على كاهله لإعداد الجزء الرابع الذي ظهر أواخر عام ١٩٩٤ .

ولم يكن غريباً علينا ، بعد كل ذلك الجهد أن نجد السير هاميلتون ينعم بعضوية عدد من الأكاديميات ذات المرتبة السامية الرفيعة، وعلى رأسها مجمع اللغة العربية. وقد كان إلى جانب ذلك عضواً في الأكاديمية البريطانية، وفي الأكاديمية الدانماركية، وفي أكاديمية الفنون والعلوم التابعة للولايات المتحدة الأمريكية . هذا إلى انتسابه إلى عدد من المؤسسات والمعاهد العلمية. وقد حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعات إيدنبورك، وهارفاد، والجزائر ... هذا إلى ما عرفناه عن نيّله عام ١٩٥٤ لأسمى لقب علمي رفيع في المملكة المتحدة.

وقد تصدّى تلامذته ومحّبوه ومقدّروه ، وهم كثير، لجرد سائر إنتاجاته، وهي بالفعل إنتاجات متنوعة الجوانب ، ويحار المرء حقيقة في تصور تلك الطاقة التي كان السير جيب يتوفر عليها ، وفي ذلك الفراغ الذي كان يجده، بل ويخلفه لإرضاء سائر طموحاته ورغباته في المعرفة.

وأرجو أن أشيد هنا بالفعل الجليل
الذى طبع في ليدن (هولندا) عن مؤسسة
E.J. Brill سنة ١٩٦٥ والذى نشر لدى
جامعة هارفرد: قسم الشرق الأدنى
للدراستات اللغوية والأدبية ، وكان يتمثل
في مجلد من نحو سبعمائة صفحة: "دراسات
عربية وإسلامية على شرف هاميلتون
جيب" (*) وهو يعبر أولاً عن التقدير الكبير
الذي يكنه العلماء في مختلف جهات العالم
لهذا الباحث الذى وهب حياته للاطلاع
وكشف الغامض ، ثم هو ثانياً عبارة عن
مجموعة بحوث كانت قمة في موضوعاتها
وأصيلة في أسلوبها ، وتكفى الإشارة هنا
إلى التقديم الذى توجه به إلى السير
هاميلتون صديقه (ليفى ديلافيدا) وإلى
التقرير البيوغرافي الذى كتبه الزميل جورج
مقدسي المشرف في ذات الوقت على
إعداد المجلد المذكور، ثم إلى التصنيف
المفصل الذى قام به السيد سلطانفورد
ج. شاو Stanford J SHAW عندما دقق
القول في كل ما نشره السير هاميلتون من
سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٦٤.

وأرجو هنا أن أقتصر في تدخلى
على إبراز الجهد المتميز للسير جيب فيما

يتصل خاصة بترجمته لرحلة ابن بطوطة إلى
اللغة الإنجليزية ، وعندما أقول "الجهد
التميز" فإني أعنى ما أقول ، وأحب، لكى
أوضح فكرتى، أن أذكر هنا بأن الفضل
الأكبر في إخراج رحلة ابن بطوطة من
حيز المخطوط إلى حيز المطبوع يرجع
بالدرجة الأولى إلى المستشرقين الفرنسيين
سالفى الذكر : ديفريميرى وسانكينيتى قبل
نحو من قرن ونصف من الزمن عام
١٨٥٣-١٨٥٨.

وقد اعتمد الاثنان في إنجاز هذا
العمل الجليل على المخطوطات التى كانت
تتوفر عليها الخزانة الملكية فى العاصمة
الفرنسية والمحفوظة اليوم بالمكتبة الوطنية
بباريز.

ونذكر بالمناسبة أنه اعتماداً على
نص الرحلة المنشور فى باريز قامت بعض
الدور فى مصر بإعادة نشر الرحلة "وقد تم
هذا النشر الأول بمطبعة وادى النيل
بتصحيح أبى السعود أفندى فى منتصف
جمادى الثانية ١٣٨٨ أول شتنبر ١٨٧١
اعتماداً على أصله المطبوع مع ترجمته
بالفرانساوية بمدينة باريز فى سنة ١٨٥٨
ميلادية"، كما تقول هذه الطبعة ... ثم

١ - نشر هذا المجلد من ليدن جامعة هارفرد: قسم الشرق الأدنى للغات والأدب.

تخركت هم عدد من الناس ابتداء من أول هذا القرن لإعادة طبع الرحلة في مصر وفي لبنان من غير أن يزيدو حرفاً واحداً على ما عرفناه من الطبعة الباريزية ، وهكذا وجدنا أن جميع ما ظهر من رحلات ابن بطوطة إنما كان صورة لما أصدره الاثنان ، بما فيه من أخطاء إملائية وأخطاء تاريخية ... ولم يكلف أحد من هؤلاء الناشرين - مع كثرة عددهم ، وبدون استثناء - شذ الرحلة إلى باريز حيث توجد المخطوطات المعتمدة من لدن الناشرين الأولين !!

وكان "الجهد المتميز" الذي قام به السير هاميلتون جيب أنه فكر قبل القيام بترجمة ما نشره الاثنان .. في أن يرجع إلى المخطوطات التي تقل عنها الاثنان ، بل وسعى إلى البحث عما يمكن أن يكون ظهر من مخطوطات أخرى !!

ومن هنا كان عمله في الرحلة عملاً أصيلاً ورفيعاً وذا مصداقية .. وللتدليل على هذا أذكر - وباختصار شديد - بعض الهفوات التي تثير الانتباه ، وفي صدر هذه الهفوات نسبة المقدمة لابن بطوطة مع أنها لابن جزى كما هو واضح!

وقد أطبقت النسخ المطبوعة ، اعتماداً على النسخة الباريزية التي وقعت في الخطأ بسبب اقتصارها على مخطوطة غير مصححة - أقول أطبقت على نسبة المقدمة لابن بطوطة ! لكن السير هاميلتون جيب وهو المحقق المتمكن .. عاد إلى المخطوطات ليستشيرها جميعها ، وهكذا أدرك نسبة المقدمة إلى ابن جزى وليس لابن بطوطة!!.

وحديث المقدمة ليس الأول والأخير ، ولكن الرحلات المنشورة ، وكلها كما قلنا اعتمد فيها أصحابها على النسخة الباريزية من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء العودة إلى الأصول - كلها وقعت في الخطأ: فقرأنا مثلاً "الحجازي" بدل الحجّار! وقرأنا النجدي بدل البجدي! وابن شيرين بدل ابن شيرين! والسببي عوض البستي!

ولقد كان جيب علاوة على ضبط الأعلام الشخصية مهتما بالأعلام الجغرافية فضبطها ما أمكنه ذلك ، وبالتحديد، وأحياناً بخطوط الطول والعرض.

أكثر من هذا وجدناه يقوم بمراجعة الترجمة الفرنسية التي قام بها الناشران

السابقان: D.S ، فهو لا يتردد في تصحيح
القصد من الكلمات التي استعملها الرحالة
المغربى ، وبذلك أعطانا برهاناً جديداً على
هيمنته على اللغة العربية ، وتمكّنه من
أسرارها .

لقد قال ابن بطوطة وهو يجذ نفسه
لأول مرة يطوف بالكعبة في خضم أمواج
البشر: "إنها دلالة تقوى بصيرة المستبصر
وتسدّد فكرة المتفكر" ، كان جيب أكثر
عمقاً في إدراك عبارة الرحالة المغربى من
سابقه العالمين الفرنسيين .. وسأكتفى
بالإحالة هنا على الجزء الأول من الرحلة
الصفحة رقم ٣٠٢ .

ولكى نعرف مكانة السير جيب في
استيعابه لعلوم البلاغة والبيان ينبغي أن لا
نغفل عن أنه في بعض الأحيان يحاول أن
يرز التّوريات التي في النص .

ومن هنا وجدناه يقف مع قول الشاعر:
وسلاطينهم سلّ الطين عنهم

فالرؤوس العظام صارت عظاما
ولقد استفاد جيب من كل المصادر
من غير أن يكلّ ويكسل ، وكان مثلاً
للباحث الأمين في هذا التراث الجليل الذى
يُعرف برحلة ابن بطوطة .. وكانت

مراجعته لا تقتصر على ما كتب باللغة
العربية ولكنها تتجاوز ذلك إلى كتب
باللغة الفارسية والتركية والبربرية ، إضافة
بطبيعة الحال إلى المراجع الفرنسية
والإنجليزية والأسبانية وغيرها، على ما نقرأه
له عند نهاية كل جزء من الأجزاء الثلاثة .

وقد وثّق الأجزاء الثلاثة التي
أخرجها بعدد من الخرائط والصور
والرسوم حتى يجعل القراء في الصورة التي
كان يرحوها لهم .

وحرصاً من جيب على تيسير
الفائدة لمن يريد المقارنات والمفارقات بين
الترجمة الفرنسية والإنجليزية عمل على
ترقيم صفحاته ، على أساس أن يجد
القارئ أمامه وعلى كل صفحة رقم الطبعة
الفرنسية بالإضافة إلى رقم الترجمة
الإنجليزية ، وهكذا لم تكن عنده (عقدة)
إزاء الذين سبقوه وتلك خصلة من خصال
العلماء الاجلاء !!

وإن قراءةً عابرةً في ترجمته لفصول
الرحلة مع ما صاحب تلك الفصول من
تعليقات جدّ مفيدة ليعطينا فكرةً عن مدى
شعور الرجل بعظم المسؤولية الملقاة على
كاهله وهو يقوم بتلك المهمة الشاقة .

وقد كنت أحياناً أفضل أن أقوم
بمتابعة ما يُورده من أفكار ومعلومات
وأقضى في ذلك الساعات ، بل والأيام .
ولكني كنت أعود إلى ما قدمه إلينا من
حقائق ودقائق مما كنت أتذكر معه قول
الشاعر العربي:

إذا قالت حَدامُ فصَدَّقوها

فإن القول ما قالت حَدامُ!!
وبالجملة فإن الإمام بما ورد في
الرحلة دون العودة إلى ما دونه السير
هاميلتون جيب يعتبر مجرد ادعاء مقرون
بكثير من الغرور والمغالطة ، وعلى قياس
رحلة ابن بطوطة أتصور أن أعماله جميعها
كانت تركز على أساس من تقديره لما
يُعهد إليه به .

ولم أستطع أن أسجل عليه من
تساهلات في نظري إلا ما يتصل بأمر
"الزاوية" التي أشاد بها الرحالة المغربي في
مدينة فاس ، وكانت من المنشآت
الحضارية للسلطان أبي عنان خارج مدينة
فاس ... هذه الزاوية التبت على السير
هاميلتون جيب بالمدرسة العنانية التي تقع
داخل المدينة ، على مقربة من أحد الأبواب
الرئيسية في مدينة فاس .

وهناك بعض التعقيبات الأخرى
لكنها كانت من البساطة بحيث أنها
تتضاءل أمام ما قدمه الرجل لنا من حقائق
كان يعتمد فيها على أصول لا تختمل
الشك ولا تقبل التردد .

وقد بذل بيكينكام جهداً كبيراً في
إعداده للجزء الرابع من الرحلة ، حتى لا
يظهر أن هناك فرقاً بين أعمال السابقين
واللاحقين ، لكنه مع ذلك شعر نفسه
بالفرق الشاسع بين ما كتبه بالأمس
هاميلتون جيب وبين ما كتبه هو اليوم ،
ولذلك فقد ابتدأ الجزء الرابع بحديثه عن
المؤلف الراحل على أنه نسيج وحده ، وأن
أحداً لا يمكنه أن يقلده في أسلوبه ولا في
طول نفسه في البحث والتنقيب ولو أنه -
أى بيكينكام - مع كل ذلك أحسن الصنع
فيما قدمه لفائدة اللغة العربية عن رحلة ابن
بطوطة .

تلك هي التحية التي أردت تقديمها
للزميل الراحل هاميلتون جيب في هذه
الدار التي عرفت له قدره فنسبته إليها
وجعلته ضمن أعضائها المرموقين.

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

نعم : لقفزة علمية رائدة مبدعة

لا : لقفزة علمانية فلتانة غير مُحكمة *

للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب

إن تعريف (التكنولوجيا) الملمع إليه
يعنى بالنسبة إلى مصر ، أمّ الأقطار العربية
ومن ورائها تلك الأقطار وكلها
مُجتمعات نامية، بالتعبير المذهب الدال
على تخلفها — يعنى بالنسبة إلى جمعها،
في الظاهر البريء ،

وجوب مبادرة كل منها إلى التغلب على
جميع مشاكلها وقضاياها المؤدية إلى
التنمية والتقدم تلقائيا ، بدون اللجوء إلى
خبرات المجتمعات الأخرى المتقدمة عليها
حضاريا كلما أمكن الاستغناء عن ذلك،
معتمدة على عقول المبدعين فيها ونبوغ
الناهين من أبنائها والجادين في العمل
على نهضتها للحاق بالمجتمعات المتقدمة
حضاريا والمشهود لها بالنجاح في مختلف
العلوم الكونية.

لكن ما هي تلك العلوم؟ إننا نرى
أفذاذ العلماء في مختلف أنحاء العالم لا
يزالون جادين في تصنيف تلك العلوم

إذا كان المثقفون في المجتمعات
المعاصرة يُجمعون على ضرورة الأخذ
بـ(التكنولوجيا) التي تقفز بالمجتمعات إلى
الأمم حتى تحسن استقبال القرن الحادى
والعشرين ، وهو على الأبواب يهم
بالدخول ، فهل من عاقل لا يرحب
بالفكرة أو ينفى عنها ضرورتها؟

ولكن ما هي تلك (التكنولوجيا)
التي يجمع العلماء على ضرورة الأخذ بها؟
إنى لم أعر على أى تعريف لها ، تعريف
يحدد معالمها أو شروطها أو دروبها أو
المسالك التي تحققها ، حتى أن علماء
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم
والثقافة ، أو ما يطلق عليها رمزا
(اليونسكو) (**) لم يتفقوا على تعريف
واضح إلى أن توصلوا إلى القول بأنها "
مجموعة للمعارف التي تؤدي إلى إنتاج
سلعة ، أو خدمة ما، وتوزيعها بخدمة ما،
وتوزيعها وتسويقها".

* القى هذا البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر المجمع بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٨ من
مارس (آذار) سنة ١٩٩٥ م.

** أسست في ١٩٤٦/١١/٤ لدعم التعاون بين الأمم عن طريق التربية والعلوم والثقافة ، ولتعزيز
الاحترام العالمى للعدل وحكم القانون والحريات ، ومقرها باريس .

وتحديد ما ينتج عن كل منها من فروع
وذيول.

إن سعة ما يحمل العلماء أعباءه
الملقاة على كواهلهم يدعو كل عاقل من
المثقفين إلى الاشتراك مع المنادين بضرورة
القفزة العلمية الرائدة التي تعتمد على
إبداع من يحسن الإبداع ، وتفكير من
يستقيم لديه الفكر ، حتى نقفز مما نحن
عليه من تخلف مُهين إلى تقدم نطمح إلى
السمو فيه تجاه مجتمعات متقدمة، آخذين
منها أفضل ما عندها من أنظمة ساهمت
في تقدمها ، أو تقاليد دعمت التقدم أو
دفعت إليه ، غير ساهين عن المثبطات فيه
صحية كانت أو نفسية، أو نتاج بيئة
خاصة كانت أو عامة ، محلية قاصرة
كانت أو دولية جارفة.

ولا أظن أن أحدا ممن سمعني أو ممن
سيقراً كلامي يخالفني فيما رأيته ، أو
حددته أو اشترطته ، أو استدرسته إن لم
يزد عليه بما يدعمه أو يؤيده.

ولكن ، قيل قديماً عن أحد علماء
النحو الأفذاذ أنه مات وفي نفسه شيء
من (حتى) . وأنا أقول إن كثيراً من العلماء
سيموت وفي صدره غصة من (لكن)
هذه وما سيتلوها من كلام!

لكن لا : لقفزة علمانية غير مُلجَمة
ولا مُحكمة.

أقولها بملء فمي : لا !
لا لأى قفزة علمانية لا ضابط لها
ولا لجام يحد من رغبتها في الجُمُوح ،
ولا حكم يمنعها عن الجنوح أو عن
خلعها العنان قيئاً على تحركاتها كي لا
تبتلق فلتانة يأخذ بها الهوى عن اليمين
تارة وعن الشمال تارات.

من الغرائب التي نمر بها نحن العرب
أو المسلمين (على ما نزعم) ، بل من أهم
هذه الغرائب وأشدّها خطراً وسوءاً
استبدال المتحركات بالثوابت ، حتى بتنا
وكل شيء من حولنا يتحرك.

لقد كتب أديب عربي كبير كان من
مُنظري جامعة الدول العربية وأحد
واضعي ميثاق المثقفين العرب عهداً يحول
به بين العرب وبين التماذى فيما هم عليه
من انقسام في الرأي وتخبط في المسير.

صَوّر الأديب الكبير مسير الأمة
العربية وجموع بنيتها أجسادا مبطوحة
مخدرة بخدر الاستكانة لما يخطط لها في
هذه الدنيا ، وهى دار للعمل الصالح أو
الطالح وكل سيلقى جزاء ما عمل في
الغد ، والعَد مغيب فلا موجب للتفكير

فيه كما تفعل أمم كثيرة ، إلى أن يقول:
"والشطحات الدينية الساذجة تجعل الغد
قدراً إلهياً لا يتغير وتجعل همها في حجر
العقل واتباع النص القرآني" (١)

أليس هذا ما يطالب به الكاتب
المعروف (عبد المعاطي) وشلته (المبدعة
الحمراء) وكلهم أحرار يسعون في بلاد
(ما وراء النهر) كما تطالب به الكاتبة
الشهيرة (تسليمة نسرين) من فك قيود
العقل ، وتحديث النصوص التراثية ، مما
استوجب في بنجلادش محاكمتها ، ولكن
القوة التي تدعمها استطاعت تحدى
غضب المسلمين فهربتها إلى بلاد
أحسنست استقبالها لأنها كانت تدعو إلى
تحقيق الحلم الذي يراودها وشقيقاتها طعناً
بالقرآن المجيد خطوة نحو القضاء على
الإسلام!

في العام الماضي في أثناء ندوتنا الستين
نظم لنا الزميل المحترم الأستاذ إبراهيم الترزي
الأمين العام مع أعوانه مشكورين رحلة
إلى مدينة الغردقة، وكانت رحلة موفقة
فيها كل المتعة وكل التخفف من أعباء ما
كنا فيه، وكان مما يستحق أن يذكر اليوم
الزيارة التي هيئت لنا لنعاين جهود زميلنا

المغفور له عاشق البحر (الأستاذ جوهري)
وما خلق الله سبحانه وتعالى فيه من
مخلوقات في عهد قديم سبق لنا أن تمتعنا
بما صنف من مخلوقات وما شرحه لنا
عنها ، ثم في عهد مستحدث مستفيداً من
أحدث وسائل عرض مخلوقات باري هذا
الكون العظيم.

لقد بكينا جميعاً في زيارتنا الثانية
ما وجدناه من إهمال وتقصير أدى إلى
ضياع جهود فقيد المجمع (جوهري) وما
كان يحلم به من حسن عرض، وبيان
روعة الإبداع الإلهي المعجز.

واتفق أن عرض علينا الخبير
المرافق لنا في رحلتنا إمكانية الاشتراك في
رحلة بحرية نزل بها إلى أعماق البحر
ضمن غواصة أعدت لهذه الغاية مشروطاً
على من يود الاشتراك فيها الشجاعة ،
محذراً ضعاف القلب من عدم الاستعداد
للغوص.

ومع تحذير الخبير رفض كثير من
الزملاء الكرام الاشتراك برحلة الغوص ،
أما أنا فتوكلت على الله عز وجل مردداً
قوله تعالى: "(لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم
فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)" (٢)

(١) مجلة العربي العدد ٤٣٥ رمضان ١٤١٥ الصادرة في الكويت بعد نكبتها التي روعت العرب والمسلمين على تباعد
أوطانهم، والكاتب بقلمه المصور من أركان الناطقين بنهجها الحديث.

(٢) ~ بونس ٤٩/١٠ .

وكان غوصنا مع الأسف الشديد إلى مسافة دون عمق البحر ، حيث تراحس أنواع من الأسماك، كل منها ينشد غذاءه بما كان يقدمه لها العمال الغواصون من طعام.

وإذا كان توقف الغواصة بنا عند ارتفاع حُدّد لها فنيًا حرمانًا من الهبوط إلى الأعماق لمشاهدة المخلوقات التي تعيش فيها ، فإن عشاق الأعماق وتصوير حياة تلك المخلوقات ، متّعون بالآلات التي يحملونها بجهاز (الفيديو) الذي نقل إلينا ما استطاع أولئك العشاق تصويره وتسجيله على الأشرطة بفن مارسوه فأتقنوه.

تعيش المخلوقات في أعماق البحار وكلها تتوالد وتتكاثر بسرعة غالبًا بجماع ذكورها وإناثها ، ثم تحيا على التهام مخلوقات أخرى تستضعفها، إلى أن تقع فريسة لمخلوق أقوى منها أو في شراك نصبه مخلوق ضعيف بحيلة تنجح مرة وتخيّب مرات، وكلها أكّلت فسى أول حياته وماكول في نهايتها.

إن مخلوقات أعماق البحار بألوانها المختلفة تبهر الأنظار بروعتها وتحير الأفكار بأشكالها، ويعجز كبار

أهل الفنون عن إبداع ما يماثلها ، ترى جميعها يسعى بسرعة فائقة أو يبطئ شديد وراء طعامه، بسابّلاع أو مصّ مخلوق ضعيف، يدب بعضها وغيرها يزحف وأخرُ تسبح، ومنها ما يرقص ميلًا إلى اليمين ثم إلى الشمال، أو صاعدًا إلى فوق ثم هابطًا إلى أسفل ، فيها الرائع الرشيق، وفيها الدميم المخيف.

لاشك أننا نعيش في عصر نستطيع أن نطلق عليه عصر التحدى الغربى الكبير لعالمنا العربى بسل العالم الإسلامى على تباعد أقطارهما ، فلنتساءل: ماذا كانت ردود الفعل لهذا التحدى عند كل من النخبة العربية والنخبة الإسلامية؟

لقد ولدت عند النخبتين الملمع إليهما فكرة "التجمع العربى والإسلامى" فظهرت "العروة الوثقى" لجمال الدين الأفغانى فى باريس؟ ثم ظهر كتاب "أم القرى" لعبد الرحمن الكواكبي، ثم جاء اقتراح الشيخ محمد مصطفى المراغى بوجوب الدعوة إلى عقد "مؤتمر" يقرر السبل الواجب اتباعها تجاه ذلك التحدى العدوانى.

ثم حلت بالعالمين العربي والإسلامي
في نهاية الحرب العالمية الأولى طامة، إذ
فرضت دول الغرب هيمنتها على جميع
بلاد العرب وبلاد المسلمين تقريباً.

لقد قام اليهودي "مارتن كرامر"
بوضع رسالة لنيل درجة دكتوراه
بإشراف المستشرق اليهودي الكبير
"برنارد لويس" طبعت ككتاب قلّ
نظيره.^(١)

ينتهي "كرامر" في كتابه إلى أن جميع
جهود العرب والمسلمين كانت "صفراً"،
وجميع الطرق التي سلكوها كانت
"مسدودة"، وإلى أنهم لا يستطيعون أن
يتفوقوا إلا على شيء واحد هو الاختلاف
على كل شيء.

كم واحداً من المثقفين العرب أو
المسلمين عرف "العروة الوثقى"
وشخصية جمال الدين الأفغاني معرفة
"كرامر"؟

ولنتساءل أيضاً: كم واحداً من
مثقفي العرب أو المسلمين عرف
عبدالرحمن الكواكي أو قرأ بإمعان كتاب

"أم القرى"، أو قرأ عن محمد مصطفى
المراغي وعن اقتراحه وجوب الدعوة إلى
عقد "مؤتمر" يقر السبل التي على العرب
والمسلمين سلوكها تجاه التحدي الغربي؟
بل لتساءل: كم واحداً قرأ
كتاب الرئيس البوسني الذي تعلم في
أعرق الجامعات الغربية، وحاز على
جائزة الملك فيصل عن كتابه "الإسلام
والغرب"^(٢)

بل لتساءل: كم واحداً منا قرأ
ما كتبه تولستوى الروسي عن عبقرية
الإسلام في حل مشاكل العالم العرقية؟
وأخيراً لتساءل: كم واحداً قرأ
ديوان شاعر ألمانيا العظيم "غوته" الذي
عرف فضل الإسلام، والتصوف الإسلامي
الذي نقل إليه وأثره في راحة نفسه
واطمئنان قلبه؟^(٣)

قد يحلو لبعض من يسمعون من
الأساتيد الكرام، أو لمن سيقراً ما كتبت
أن يبادر إلى سؤال وجهه ومقبول: ما هو
العلم الذي تخصصت به يا سيد، حتى
تأتي بالأسئلة التي رددتها آنفاً؟

١- قام أحمد عمارة مشكوراً بتلخيص الكتاب عن الإنكليزية ونشره في مجلة المهمل التي تصدر في جدة بالعدد ٥١٢ من المجلد ٥٥ الصادر عن شهرى كانون الثاني وشباط ١٩٥٤.

٢- طبع أخيراً في مصر وبالعربية وهو في الأسواق.

٣- صدر كتاب "جوته والعالم العربي" عن "عالم المعرفة" في الكويت برقم ١٩٤ تأليف كاتارينا مومزن وترجمة عدنان عباس علي ومراجعة عبد الغفار مكاوي.

أقول بمنتهى الصراحة والشجاعة ،
شجاعة لا حدود لها ولا سدود، والزمن
يجرى بسائر المخلوقات من عالم الوجود
هذا إلى دار الخلود:

إني لست متخصصاً في أى علم
من العلوم التي تخطر على البال، إذ لم تتح
لي الظروف أن أتخصص في الفيزياء، أو
الكيمياء، أو الفلك، أو في أى علم من
علوم البيئة المختلفة.

إني مجرد إنسان لو تبدلت في
مسيرته الحياتية عجالات الزمن لكان من
أهل الفن مثلاً، يمارس الرسم أو الحفر في
الصخر ، لقد أدمنت القراءة فقط ثم
تولعت بالمعارف العامة، كما أحبيت
التعمق في البحث الجاد عن الأسباب
والعلل ، لقد قرأت لأفداد من العلماء
المتخصصين فلم أجد بينهم من يدعى أنه
قمة في العلم الذي تخصص فيه بل ما
مقتضاه أنه يعرف آخر ما كشفه علم
العصر الذي يعيش فيه ولا يعرف ما
يمكن أن يكتشفه العلم بعدئذ. وهذا
مصدق قوله عزّ من قائل: " .. وفوق
كلّ ذى علم عليم" (١)

نعم أنا مؤمن بالله العظيم مبدع
هذا الكون الرائع الذي يقول: "وما خلقنا

السماء والأرض وما بينهما لأعبين" (٢)
خلقه بإتقان معجز وهو القائل جلّ
وعلا: " .. صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ
شَيْءٍ .." (٣)

وأخيراً لا بد لنا في ختام بحثنا من
كلمة موجزة عن ما يطلق عليه كثير من
الكتاب، وطائفة ممن يحاربون الالتزام
بالواجبات الدينية، أو ينادون بالعلمانية
(بفتح العين) التحديث أو التجديد وهم
يُسفهون من يدعى بأن باب الاجتهاد في
الدين قد انغلق.

نعم إن باب الاجتهاد في الدين مغلق
إلا إذا تحققت شروطه، ونادراً ما تتحقق،
أغلق خوفاً من تسرب من لا يُحسن
الاجتهاد وهم كثيرون ، أغلق خوفاً من
ولوج عبدة الحُكام أو المـُـال أو
الشهوات.

إن أحكام الشريعة في الإسلام على
ضريين:

الأول- أحكام لا تبديل في نصوصها
الملزمة وردت في القرآن المجيد أو في
الحديث الصحيح الثابت صدوره عن
الرسول الكريم.

الثاني- أحكام استنبطها الفقهاء من
النصوص بحسب ما منحوا من فهم لها

١- يوسف ٧٦/١٢ ٢- الأنبياء ١٦/٢١ ٣- النمل ٨٨/٢٧

وتعليل لحكمتها ، وهذه أحكام يمكن
تبديلها كلما تغير الزمن، إذا ما تبدلت
القيم، أو جدت ظروف تؤثر في تعليل
حكمتها.

فمثلا من أفتى بأن دية العضو عند المرأة
يساوى نصف دية عند الرجل؟

إن المرأة اليوم قد تتولى أعلى
المناصب، وقد تكون عميدة إحدى
الكليات في الجامعة، أو تكون في عداد
الوزراء أو رئيسة عليهم، فهل يقبل عقل
منصف تلك الفتوى؟

لابد للحكم في الدية من معرفة عمل
المرأة ومقدار حاجتها للعضو المصاب قبل
تقرير مقدار دية.

نعم إن العلم في هذا العصر الذى
نعيش فيه مهما سما يبقى عاجزا عن
معرفة خفايا الكون، فأى شيء يمكن أن
نقوله ونحن نقرأ صحف اليوم الأول من
هذا العام أو نسمع أخبار صباح ذلك
اليوم الخير التالى: أعلن مسؤول في مختبر
الدفع النفاث في إدارة الطيران الأمريكية
أنهم اكتشفوا محركات جديدة، فإطلقوا
عليها اسم المحركات الحلزونية القزمية التى
كان اكتشافها قبل اليوم مستحيلا، بسبب
ضوئها الخافت وعجز الأجهزة المستعملة

* الأنعام ٣٨/٦

وقتئذ عن ذلك، وقد حددنا قطرها بما
يزيد كثيراً عن قطر مجرة (التبانة) التى نحن
نعيش في بعض نواحيها.

هل نستطيع شيئا غير الإيمان بالخالق
العظيم جلّ وعلا.

هذا، ولابد لنا من التفكير العميق في
قوله سبحانه وتعالى يخاطبنا نحن البشر:
"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَافَرَّطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ .."*

وخاصة عندما نقرأ في المجلات التى
تعنى بأخبار العلم والعلماء أنهم مازالوا
يواصلون جهودهم في دراسة طبقات
أنغام الطيور، لكشف أنواعها ودوافعها
إلى الصراخ، أو أسباب إصدارها مختلف
أصواتها وأنغامها التى لا حصر لها.

أو عندما نقرأ في تلك المجلات أن في
بعض الأصقاع الباردة يتولى الذكور من
الطيور فقط مهمة الدفاع عن الصقع
الذى تعيش فيه وطرده الطيور الغريبة التى
تحاول النزول فيه، بينما تلتزم إناثها البقاء
في أعشاشها لحماية أفراخها وتهدئة روعهم.
إلى جانب دراسات مهمة عن
أعمال كل من الذكور والإناث عند
أنواع الطيور في مختلف الأحوال.

ومن قال بأن التعامل مع المصارف
(البنوك) إذا كانت تسجل الفائدة
للمودع أو على المقرض هو حرام بيّن
التحريم، قبل أن يدرس كيف يجرى هذا
التعامل.

وأخيراً: لا بد لنا من أن نتساءل:
كم من كبار المثقفين قرأ تعليق ابن القيم
في "زاد المعاد" للحديث الذي رواه

أصحاب السنن الخمسة عن عبد الله بن
عمرو بن العاص في شأن القيم على إبل
الصدقة؟

والأمثلة على الأحكام التي يجرى تبديلها
بتبدل الزمان كثيرة، يمكن معرفتها بعد
البحث والتدقيق "... وآخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين".

عدنان الخطيب

عضو الجمع من سورية

الخرجات المسماة بالأعجمية في الموشحات الأندلسية لغة ودلالة(*)

للأستاذ الدكتور فيدريكو كورينتي كوردوبا

من المعروف أن الأبحاث في الأدب وغيره من العلوم الإنسانية قلما تتجاوز مجال المجالات، والكتب العلمية المخصصة لها، فتحظى بنصيب من العناية في مطبوعات أعم وأروج كالكتب المقررة في المدارس، فضلا عن الجرائد اليومية والمجلات المصورة، ويترتب على ذلك أن أسماء الباحثين في هذا الميدان، مهما كان شأنهم، أقل شهرة بكثير من كواكب فن التمثيل أو أبطال الرياضة مثلا، وأن المصطلحات التي يضعونها تنبو عن مسامع الجماهير وألسنتهم عادة، وهذا أمر معقول لا يجهله أحد ولا يستغربه، لأن معظم الناس في أية بقعة من العالم مكتفون بمقدار بسيط جدا من العلم والمعرفة، بالنسبة إلى ما يطلبونه في كل ساعة فراغ من لذات الراحة والفرحة التي تنسيهم الكدح وتلهيهم عن هموم المعيشة.

ولكن لكل قاعدة استثناءات ولكل استثناء سبب، وقد لا تصدقونا إذا ما قلنا لكم إننا رأينا في مدن أسبانيا مقاهي وملاهي تسمت بلفظة "الخرجة"

تسمت بلفظة "الخرجة"، وقد سمعنا بأجواق موسيقية تدعى كذلك، بل وشاهدنا يوما فتاة تنادي كلبتها، وإذا باسمها "خرجة" أيضا، فماذا ياترى أدرى أصحاب تلك المقاهي والأجواق وحتى أصحاب الكلاب، من غير مؤاخذه، بخفايا فن التوشيح وبخرجاته التي ليس أكثر العلماء البصراء على يقين تام منها؟

إن السبب البين في هذا الاستثناء الواضح للقاعدة المطردة المذكورة أن بعض كبار بحاث الأدب الأسباني القديم قد علقوا على اكتشاف الخرجات الأعجمية في أواخر عدد من الموشحات الأندلسية مزيدا من الأهمية، فجعلوها مستهل الأدب الأسباني وسابقة لجميع الآداب الأوربية الدارجة اللغة في العصور الوسطى، فأجروا ذكر تلك الخرجات وتفاسيرهم لها في مئات من الكتب والمقالات والمحاضرات العامة، ولم يقصروا في إدراجها في كتب التدريس

* القى هذا البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٨ من

مارس (آذار) سنة ١٩٩٥ م.

المقررة وفي الملحقات الثقافية للصحف اليومية، حتى صار كل أسباني يدعي حظاً من الثقافة لا يجهل وجود الخرجات وبعض نصوصها باعتبارها حجر أساس للحضارة الأسبانية ، ولا بأس بذلك فإن العلم خير من الجهل على كل حال ، إلا أن علمهم ذلك يجب إليهم التراث الأندلسي في نفس الوقت ، فيوسع آفاقهم العمرانية والبشرية، ويبيدهم عن التجاني العنصري والعقائدي، وعن الاقتناع الخاطئ الشائع عند كثير من الغربيين بأن كل اختراع وتقدم وتفوق إنما أصله في أراضيهم.

إلا أننا غير مَعْنِينِ الآن بانتشار خبر الخرجات لدى الجماهير الأسبانية ، مع كونها ظاهرة اجتماعية وتربوية جديدة بالدراسة ، وذلك لأنها لا تعدو أن تكون فرعاً لم يتقن أصله بعد ، حيث لم تُعرف حقيقة هذه الخرجات الأعجمية التي مُوّهت وشُوّهت وصُحّفت، وأُسيء فهمها لقصور علمي أو لدواع عقائدية أو لأغراض شخصية، حتى لم تعد تبين تلك الحقيقة للعلماء، فضلاً عن غيرهم ، فتحوّلت الخرجات الأعجمية — مع قلتها ، إذ لا تبلغ السبعين ولا يزيد

أكثرها عن سطرين ، مع غموض معانيها في مواطن كثيرة — إلى أعظم جدال أدبي في هذا القرن. ومن علامات ما اتسم به هذا الموضوع من الإشكال والالتباس مثلاً أن الأستاذ المرحوم سيد غاذي في تأليفه النموذجي حول الموشحات الأندلسية التي قطعها تقطيعاً عروضياً خليلياً بحثاً ، على غرار الشعر المقصد، اعتمد تحقيق الأستاذ الأنشاني غارسيا غوميس لخرجاتها الأعجمية ، وهو مشهور بتقطيعه الرومنسي لها المخالف للعروض الخليلي خلافاً لجوهرياً. ولم يخف على الأستاذ غازي التعارض المنهجي الناتج عن ذلك ، إلا أنه لم يكن في متناول يده إذ ذاك تحقيق أخرى بالثقة لتلك النصوص المستغلقة، ولم تتسن له مطالعة أهم أصولها ، لاسيما مجموعتها الرئيسية الآتية ضمن مخطوطة "عدة الجليس" لابن بشري الوحيدة المحجوبة إذ ذاك عن عيون الناس إلا أقل من القليلين.

نحن راغبون عن ذكر مظاهر هذا الجدال الكريهة ، من أمثال حجب بعض الأساتذة للأصول عن زملائهم، بخرصا على الانفراد بالبحث فيها، وخوفاً من

سبق غيرهم إياهم إلى توضيح غوامضها، فضلا عن السباب والتهم والاستهزاء التي تنزل إليها بعضهم ، وإنما قصدنا الالتفات إلى المظاهر المفيدة ، منها تلخيص قصة اكتشاف الخرجات الأعجمية ومحاولة التفرقة بين الحق والباطل فيما قاله العلماء عنها.

كان أول من انتبه إلى وجود الخرجة ، أى آخر قفل في موشح ، باللغة الرومنسية من بنات اللاتينية ، وهى العامية الإسبانية ، هو الأستاذ الإسباني مينينديس بيلايو في أواخر القرن الماضي ، إلا أن تلك الخرجة الأعجمية كانت ملحقة بموشح عبري ، وليس عربيا ، لبعض الشعراء اليهود الإسبان المقلدين فن التوشيح بالعبرية تقليداً تاماً، ثم أتى عقب مينينديس أساتذة آخرون متخصصون في الادب العبري أثناء العصور الوسطى ، فاكتشفوا نصوصاً أخرى من نفس النوع ، مع أن محاولاتهم لتفسيرها لم تنجح، فلم يكن لأبحاثهم كبير صدى.

ثم نشر الأستاذ شترن في ١٩٤٨ والأستاذ غارسيا غوميس في ١٩٥٢ أول الخرجات الأعجمية في موشحات عربية

أندلسية ، فأحدثت أبحاثهما انطباعاً عظيماً في الدوائر العلمية، وتكاثرت الأعمال المخصصة لهذا الموضوع بصورة عجيبة الى درجة أن الأستاذ هيتشكوك الإنكليزي ذكر في ١٩٧٧ أكثر من ٢٠٠ مرجع له.

والعجيب في القصة أن أكثر هذه الأبحاث لا أساس لها غير التحقيقات الثلاثة الصادرة ، أى تحقيق الأستاذ الألماني هيكير في ١٩٦٠ ، وتحقيقي الأستاذين الإسبانين غارسيا غوميس في ١٩٦٥ وسولا سوليه في ١٩٦٠ ، مع أن المرجع الرئيسي ، أى مخطوطة عدة المجلس التي صارت ملكاً للمستشرق الفرنسي كولان في المغرب ، لم يطلع عليه إلا غارسيا غوميس بإذن من مالكه، ثم صار بعد وفاة كولان محفوظاً في بنك إنكليزي تحت تصرف الأستاذ جونز الذي نشره في ١٩٩٢.

وعلى مثل هذا الأساس الضئيل كم بني من بناء ركيك، وكم وضع من نظريات فيها نظر، وكم استهلك من ورق وخبر في أغراض باطلة! وقد قال بعضهم إن الخرجات الأعجمية تثبت وجود تراث شعري وافر باللغة الإسبانية

القديمة بعروض أهلي كامل الذات،
وبموضوعات مطروقة لدى الأندلسيين
المولدين وإخوانهم من أهل الذمة استلهمه
مخترعو التوشيح المنسوج على منواله وفقاً
لهذا النظر ، وقال بعضهم إن ذلك الشعر
الرومنسي القديم إنما كان من إنتاج
القيان المسيحيات المجلويات إلى الأندلس
أسيرات من جليقية ، وسمى بعضهم هذه
الأشعار بشعر مستعرب إلماحاً منهم
بذلك إلى أن أصحابه ليسوا غير
المستعربين ، أى النصارى الذميين دون
الأندلسيين المسلمين ، وقالوا وقالوا
وقالوا ، ولم يثبت معظم اقوالهم ، إذ لم
يؤت بحجج قاطعة ، وإنما صدرت تلك
الأقوال عن أوهام وأضغاث أحلام.

ومما زاد في إشكال هذا
الموضوع، علاوة على ما ذكرناه ، أن
النصوص الأصلية المختلطة اللغة في أكثر
الحالات قليلة محرفة في مواطن كثيرة،
نتيجة لاستنساخها المتعاقب على أيدي
نساخ لم يعودوا يفهمون لغتها، بحيث أن
كل باحث تصرف في قراءتها كما شاء،
مطابقاً بين حروف المخطوطة المبهمة
وبين ما ارتضاه هو من المعاني المحتملة ،
وقد آل الأمر بهذه القضية إلى درجة أننا

عندما حضرنا الندوة المخصصة لدراسة
الخرجات بإيكسيتير في إنكلترا سنة
١٩٨٨ لم يجر لنا أن نعتمد غير تسع
خرجات لكون غيرها مشكوكاً في
تفسيرها شكاً فادحاً ، وبما أن الأمر
كذلك بالفعل ، فكيف تكون الآراء
والنظريات المبنية على نصوص من هذا
الصنف صحيحة أو موثوقة بها؟

ولكن هذه الأوضاع تغيرت تغيراً
جوهرياً، وتحسنت إلى غاية لم نكن
نتصورها عندما نشر الأستاذ جونز تأليفه
عن الخرجات الأندلسية المحتوى على
تصوير شمسي لكل واحدة منها ملتقط
من جميع المخطوطات التي وردت فيها ،
والحقيقة أنه لم يقطع شوطاً جديداً في
تفسيرها إلا أن توحيه الصارم لمبدأ
التمسك بواقع النصوص المقيدة، وعدم
التلاعب بها بواسطة التصويبات من غير
ضرورة قد مهد الطريق لتفسيرها الأدق،
وللرجوع إلى الجهد العلمي فيما كان
قبلئذ مجالاً للهلزل، أو على الأقل للعبث
والاعتباط.

وصادف صدور ذلك الكتاب
آخر مراحل مناقشة القضية العروضية التي
أسفرت عن نتيجة واضحة ، وهي أن

الموشحات والأزجال على حد سواء غير خاضعة لتقطيع الشعر الرومنسي ، وإنما تقطيعها تقطيع خليلي مع بعض الضرورات المستحدثة، أو مع بعض التحوير على اختلاف آراء الباحثين ، فقضى الاعتراف شبه العام بهذا المبدأ على جميع التصويبات المحدثّة لنصوص الخرجات الأصلية بقصد المطابقة بينها وبين مقاييس العروض الرومنسي ، وصفا الجو ثانياً لمحاولة تحقيقها وفقاً للعروض الخليلي الذي يجب تطبيقه على الأزجال والموشحات مع خرجاتها لكونها جزءاً من أجزائها ، وهذا جليّ وعن البيان غنيّ ، إن اهتدينا إلى أن الخرجات بالعامة الأندلسية ، وهي الغالبة ، وأخواتها الأعجمية ، وهي قليلة جداً نسبياً ، إنما هي قطع مقتبسة عن أزجال سابقة قد اشتهرت لدى الجميع ، فربما حلّى الوشاحون أشعارهم بها على سبيل المزمل والاستطراد إلى ملح الفنون الشعبية الملحونة ، بعد طرقهم باب الجدّ بقولهم الفصيح المَعْرَب .

بناء على هذه الأسس الجديدة وعلى غيرها مما لا يقلُّ أهمية عنها — كالبحث في خصائص الحزمة اللهجية

الأندلسية التي لم يخالفها الزجالون ، إلا نادراً وللضرورة ، قد تمكنا من دراسة الخرجات الأعجمية من جديد بمجهزين في هذه المرة بمناهج أفضل ، فسرعان ما لاحظنا أن ٣٠% تقريباً من القراءات المتداولة بين أيدي الناس كانت خاطئة ، ومما زاد في خطورة بعض هذه الأخطاء أنها منبعثة عن نزعات عقائدية تُضفي على تلك النصوص صبغة مختلفة من التشرب بعناصر الحضارة الإسبانية أو الذهنية النصرانية ، في حين أن بعض الملامح العربية أو الإسلامية المميزة للأندلس بحكم إسلام أهلها وتعرّبهم التدريجي قد أمست متلاشية أو متضائلة في تلك القراءات المعتمدة لدى الجميع أو غالبهم .

وهنا يحسن بنا أن نوضح أمرين مهمّين جدّاً لكيلا يساء فهم كلامنا وهدفه ، أولهما أننا لانتهم أصحاب تلك القراءات بتزوير مُتعمّد لهذه النصوص ، بل نحسبهم منحرفين على غير وعي عن الحياد المفروض على كل باحث علمي ، بسبب ميول عقلية وعاطفية لم يسعهم التحكم فيها ، وثانيهما أننا لاننكر وجود رصيد كبير من العناصر السابقة للفتح

الإسلامي في حضارة الأندلس ، ولم يكن ذلك نظرًا للظروف المعروفة ، إلا أننا نستنكر المبالغة والحماس العقائدي والتحزب ، كلما تخللت المناقشة العلمية وغشيت أبصار المشاركين فيها.

وكانت نتيجة أبحاثنا المذكورة سلسلة من المقالات قد صدرت أولاها في مجلة فقه اللغة الأسبانية سنة ١٩٩٣ وستليها مقالتان أخريان على وشك الصدور، نعالج فيها نصوص الخرجات الأعجمية معالجة متميزة بأقصى الحرص على تفسيرها بدون اللجوء إلى تصويبات، وبالطبع يضيق بنا الوقت لإيراد تعاليقنا على ٤٥ خرجة لمجموعة الموشحات العربية، و٢٦ خرجة للمجموعة العبرية ، ونحن عازمون على تأليف كتاب في هذا الموضوع ، إن أطل الله أجلنا ، إلا أن في وسعنا الآن ضرب بعض الأمثلة لمنهاجنا ونتائجنا، وفيها دليل على سائرها.

ومنها مثلا الخرجة رقم ٣ في المجموعة العربية ، ونصها المرسوم:

يا فاتنِ افْتِنِ وشُ يَتَنَرادُ

كِنْدَرُ خالِشْ كارِذُ

حقق غارسيا غوميس كلمتيه الأوليين

على أنهما عربيّتان وفسر الباقيّة
os y entrad kando gilos keded
أى، "ادخل هنا إذا نام الغيور"، مع تغيير
١٣% من الرسم المخطوط ، في حين أن
قراءتنا بدون تغيير أى حرف هي ya
vet-en I vet-on, wus ya tenrad!
Ki-ndar xales kered? أى ، "اذهب
اذهب ، مأصْفَقك وجهاً ، ما الحاجة
إلى إنذار الأخوال؟" ومن الجدير
بالملاحظة أن الغيور المقحم هنا على
حساب تحريف "خالش" ، أى ، خال
بعلامة الجمع الرومنسي ، إنما أتى ضعيفاً
غير مدعواً لأن له دوراً مشهوداً في الشعر
البروفنسالي المفروض تداخله مع الشعر
الدورى الأندلسي ، وهو افتراض غير
بعيد ، إلا أنه لا يبرر هذا التحريف
المتكرر مرتين أيضاً في تحقيق هذا الباحث
بدون أساس نصي.

مع أن هذا الغيور ليس وحيداً في
باب المواضيع المزعومة وهما في متون
الخرجات الأعجمية ، فإن مفسريها
لا يجمعون عن فريضة مضمونها عن طريق
إيجاد مالا يوجد فيها حقاً من أدوار
وأساليب أدبية مميزة للشعر الرومنسي في
العصور الوسطى ، وفي هذا الباب يدخل
ماذهبوا إليه من ورود أناشيد الصبح في

الخرجات على سبيل ماتسمى
بالـalbada بالإسبانية ، من خلاف
المعهد في الشعر الغنائي العربي من التذمر
على الفجر المفرق للعشاق ، مما جعلوه
برهاناً قاطعاً على صحة نظرية رجوع
التوشيح إلى أصل رومني ، ونحن قد
راجعنا الوطنيين اللذين زعموا أن فيهما
لفظة "ألبا" الأعجمية ، ومعناها الصبح ،
في الخرجتين رقمي ٤ و ٧ من المجموعة
العربية ، فلم نلف فيهما سوى "ألب"
أى ، أشقر أو أبيض ، صفة لحبيب غير
أسمر. ومن الطبيعي أن يذكر في هذه
النصوص الشقر كما يذكر السمر.

ثم إننا إذا طرقتنا بأبنا آخر ،
وجدنا أن بعض المواطن الدالة مثلاً على
رسوخ العقيدة والتقاليد الإسلامية في
البيئة الأندلسية قد فسرت تفسيراً غير
صحيح يغمض أو يخفي تلك المعلومات
المهمة الضرورية لحل قضية نسبة
أصحاب الخرجات أو صوابها إلى طائفة
أو أخرى من طوائف سكان الأندلس.
هذا ما اتفق في تفسير الخرجة رقم ١٢
من المجموعة العربية المقاربة لرقم ٥ من
المجموعة العبرية، ونصهما:

بَنَدُ لَيْشَقَهْ أَيُونُ شَيْتَلْ

حَسْرَايَ مَوْ قَرَجُونُ بُرْلْ

وهو نص واضح غير مضطرب لم
يشك المفسرون في ترجمته "قد جاء العيد
وأنا بدونه ، يحسرة قلبي عليه" ، ولم
يُبينَ أهذا العيد إسلامي أم مسيحي أم
يهودي ، ذلك مع أن لفظة أيون معناها
الصوم ، فالترجمة الدقيقة لهذا النص "أن
العيد بدونه بمثابة صيام رمضان الخ" ، ولا
أدل من هذا على الميزة الإسلامية الغالبة
على البيئة التي نشأت فيها الخرجات
الأعجمية ، وإن كانت نصوصها لاتزال
تنم عن التعرب التدريجي ، وتختلف بعض
الناس عن تملك زمام العربية.

وفي هذا الباب نفسه كثر النقل
حول موضوع شكوى الفتيات إلى
أمهاتهن آلام غرامهن في الخرجات ، وقد
قيل إن استعمالهن لكلمة "مَمَّا" الأعجمية
عوضاً عن "ياأمت" العربية من أقوى
الأدلة على أنهن أمهات نصرانيات
شماليات حديثات العهد بالأسر والإقامة
في الأندلس ، وهي نظرية غريبة ، إذ
ليس معقولاً أن يشتري الإنسان الجارية
مع أمها ، ولم نلبث أن تعرضنا لهذه
الأبحاث حتى عثرنا على ما يدحض ذلك
البرهان في الخرجة ٣٠ ونصها.

يَا مَمَّ شُو يس لِلجِنَّةِ إِلَّا شِمُورِي تَرِي

خَمْرِي مِنَ الْحَاجِبِ (أَوْ جَعْفَرٍ) عَسَى
شَنَرَى.

وقد فسرها كل من غارسيا
غوميس وسولا سوليه بفوارق تافهة علي
أن معناها "يا أمي ، إن لم يزل جنون
عشقي أمت ، فأحضرى خمري من
الحاجب (أو من جعفر) لكي أشفي
منه". ولم ينتبه أحدهما إلى أن "يس" إنما
هي سورة ياسين القرآنية التي يقرأها
المسلمون مُستغيثين بالله على البلايا ، فإن
معنى هذه الخرجة الصحيح "يا أمي ، ما
الفائدة من تلاوة سورة يس في حال
الجنون؟ بل أحضرى لي الحاجب (أو
جعفر) خمرًا ، أي ، دواء" ، ولا شك أن
القضية أوضح بكثير بهذا التفسير
الجديد ، ومضمونها أن العاشقة اليائسة
في الموشحة ترفض نصيحة أمها في طلب
الفرج عن همومها في الصلاة ، وتطلب
منها إحضار معشوقها علاجًا لما بها
من ذلك. وهذه القصة ، مع ما فيها من
الكفر بالدين بسبب اليأس ، ومن جسارة
البنت على أمها مما جرى مثله في تلك
الظروف الاجتماعية ، ما كانت لتحدث
في غير بيئة عريقة الإسلام ، وإن كانت
لاتزال سطحية التعرب.

على أن جميع الأخطاء في تفسير
الخرجات الأعجمية ليست من هذا النوع
اطراداً ، فإننا نجد في بعض الأحيان
أخطاء لغوية بجته صادرة عن سوء فهم
الكلام العربي العامي أو الفصحح أو اللغة
الرومنسية القديمة المنعكسة في هذه
النصوص ، نضرب مثلاً ما يلاحظ في
رقم ١١ ونصه:

شِكَارَشْ كُمْ بُونْ مِيبْ يَّيْجَمْ إِذَا النَّظْمِ
ذُوكْ بُكَالَهْ ذَا حَبِّ الْمُلُوكْ.

وهو كلام لم يشكل أكثره على
المفسرين ما عدا كلمة "ذوك" التي لم
يفهمها أحد منهم ، فنسبوها إلى العامية
العربية على غير صواب ، والحقيقة
أنها لاتينية الأصل. كثيرة الاستعمال
بمعنى الأمر من السياقة ، ومعنى الخرجة
"ان تحبني حبا حسنا فقبلني واسقني من
النظم ، أي العقد ، يا فويهة من الكرز".
ومن نفس القبيل عدم فهم
الخرجة رقم ١٧ من المجموعة العبرية ،
ونصها:

الصَّبَّاحُ بُوئُو غَارْمِي دُونْ بَانْشْ يَا لُوشِ
كَأَوْتَرِي أَمَشْ أَمِييْ طُنْ قَارَشْ

وقد فسرها غارسيا غوميس
هكذا "أيها الصباح الجميل ، قل لي من

أين أتيت فقد عرفت أنك تحب غيري ولا تحبني أنا". وهي ترجمة سليمة ما عدا كلمتيه الأوليين اللتين يمكن أن تعنيا "صباح الخير"، ومن العجب أن هذه العبارة اليومية في كلام العرب لم تخطر بباله، ولا ببال غيره من مفسري الخرجات الأعجمية.

وقد قلنا آنفا إننا لا نرميهم بالتعمد في انحرافهم المتواتر عن قراءة متونها الصحيحة ، ولم يصدر قولنا ذلك عن مجرد مراعاة خاطر، أو تقدير آثلوهم أو فضلوهم علينا ، كما لم يرجع انتقادنا لبعض آرائهم عن كره أو احتقار لهم أو لأعمالهم. إننا ، على الرغم من هفواتهم ، مدينون لهم، إذ بذلوا جهدا كبيرا في دراسة هذه القضية خصوصا ، وفي أبحاثهم في الحضارة الأندلسية عموما ، ولهم لذلك علينا فضل لا يجوز أن نغمره حقه ، على أنهم قصدوا مرمى بعيدا، ومهذبوا طرقا غير مسلوكة، فلا غرو إذن أن لا يكون نجاحهم كاملا. وعلينا

ألا ننسى أن المتصدي لمثل هذه الدراسة محتاج إلى إتقان العربية الفصحى وأوجه كلام الأندلسيين الدارجة، وإجادة الإسبانية الحديثة وسائر اللغات واللهجات الرومنسية الأيبيرية القديمة والحديثة ، مع غموض ملامح بعضها التي لا تنعكس إلا في هذه النصوص فقط ، ولا يغنيه ذلك العلم كله عن الاطلاع على أحوال الأندلس التاريخية والاجتماعية والعمرانية وعلى المعيشة اليومية في بلاد الإسلام فيما يتعلق بدينها ودنياها ، ولا يتيسر جمع مثل هذه المعارف والخبرات في الإنسان الواحد، فلذلك ما أخطأ سابقونا أحيانا ، ولذلك عسى أن لا نسلم نحن أيضا من بعض الغلط ، وقد لا يخلو منه أو من بعضه لاحقونا في المستقبل، وسبحان من تعلل عن الضلال.

فيدريكو كورينتي كوردوبا
عضو المجمع المراسل من إسبانيا

العربية بين الإقليمية والعالمية(*)

للأستاذ على رجب المدني

حضرات الزملاء الأجلاء :

من الحقائق التي آن لها أن تفلت
من برائن الطمس، وأن تبرز قوة ناصعة،
وترتفع فوق دواعي التعقيم والتبهم،
حقيقة تميز اللغة العربية وعالميتها.

لقد علمنا من قراءة التاريخ وتبع
أحداث التطور الإنساني أن الحضارات هي
التي تعكس بريقها ورونقها على أذواق
أصحابها والسنتهم وأساليب نطقهم.

أما أن يتحقق العكس، فتعكس
الأسن والمشاعر والأحاسيس بريقها على
الحضارة ، فتلك هي المعجزة والاستثناء.
وهذا ما تحقق في المجتمع العربي طوال
الحقب التي سبقت نزول القرآن بلسان
عربي مبین، ووسط مجتمعات تكفلت
ألسنتها كأداة تعبير عن بواعثها الأدبية
والمعنوية والنفسية، بصنع حضارة متميزة
لا شأن للمؤثرات المادية والروحية في
صنعها إلا في أقل القليل.

وهذه مفارقة تستدعي أن نقف
عندها، ونبحث المنابع التي استمدت منها

تلك المجتمعات ذلك الرصيد الضخم المتميز
من التراث الأدبي الذي شكلت فيه
القصيدة الواحدة (وحيث البيت الواحد)
صورة لحضارة تبهر الأبواب وتلهب
المشاعر، على الرغم مما اعتورها من هزلت
وعيوب بررت وصمها بالجاهلية.

ولعلنا نستشعر صروحا حضارية
شامخة في كثير من مقاطع الشعر الجاهلي
جعلته مثار دهشة وإعجاب لدى من
تعاقب من أجيال بشرية حتى عصرنا هذا.
ويكفينا مثالا لذلك ما تخلل شعر المعلقات
من صور جف معين مثلها فيما تعاقب
بعدها من شعوب وحضارات.

أخلص من هذا التحليل الموجز إلى
القول بأن معجزة علوية صنعت كل الذي
ذكرت ، وهيات للكتاب الذي أنزل
للناس جميعاً على قلب الرجل الذي بعث
للناس جميعاً أن تدرك معانيه ومرامييه
وبلاغته من خلال لغة أولئك الذين سلكوا
في بداوتهم وجهالتهم مسلكاً لا يدع مجالا
للقول بأن ما قالوه شعراً أو نثراً يتفق مع

* ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٨ من شوال ١٤١٥هـ الموافق ٢٩ من

مارس (آذار) سنة ١٩٩٥م.

مستوى حضارى مادى أو علمى اعتيلى من شأنه أن يؤهلهم لكل ماخلفوه شعراً أو نثراً.

وهنا تزدوج الحكمة العلوية فيما اختارت من تلك القبائل وتلك البيئة لتكون مهبطاً لخاتمة النبوات وآخر الكتب السماوية ، فهي - مع تميزها تعبيراً وبلاغة ودقة نسج في القول - مستودع لأكبر قدر من تلك الجهالة التي تستوجب إرسال الرسول وإنزال الكتاب.

ذلك الكتاب الذى كان وحده معجزه ذلك الرسول بما تميز به من منهج بلاغى لا يقدر على استيعابه وإدراك مضامينه والتأثر به إلا أولئك الذين اجتمع لديهم النقيضان: سمو الذوق البلاغى والإغراق فى الجهالة التى قال واحد من أكثر المغرقيين فيها عندما سمع بعض آياته: ((إن فيه لحلاوة وإن عليه لطلاوة)).

فلا غرو إذن أن يكونوا الأنموذج للأمم التى استهدفتها رسالة القرآن بالدعوة لمنهج القائم على الكثير من قيم الروح والأخلاق والقليل النظيف من قيم المادة.

ولعل قصة إسلام عمر بن الخطاب كانت بحق صورة من صور الإعجاز

السماوى فيما تحقق فيها من تحول خاطف من أعلى قمم الجهالة والضلالة إلى أعلى قمم الهداية واليقين والإحاطة بمثل الحق والعدل، خلال فترة زمنية لم تتعد الساعات الست تأثراً بما وقع عليه بصره وعقله من آيات من سورة طه فى رقعة من الجلد ملقاة، كان خباب يعلم منها أخته وزوجها فى سرية قُدر لها أن تفضح وأن يعلم عمر بأمرها فيتمنطق بسيفه ويسرع إلى منزل شقيقته، ليفتك بمن يستميل أخته وزوجها إلى دين محمد ، إن فى تلك القصة التى بهرت شهرتها التاريخ مثلاً حياً على سرعة التأثير لمعجزة البلاغة القرآنية فى نفوس أناس لقتهم السماء ذلك اللسان العربى المغرق فى بلاغته وتأثيره وإبداعه للصور الشعرية المتميزة.

ومن عجب أن تستقر اللغة العربية على ما عرف من أسلوب النطق بها عند العرب فى الجاهلية، وتتوافق مع ما نزل به القرآن من نصوصها، وتكون فى مأمن التحريف واللحن إلى أن قدر للإسلام أن يطرق أبواب الأعاجم، ويتيح لهم بحق الإسلام الاندماج فى المجتمع العربى ، ذلك الاندماج الذى أدى إلى ما بدأ ينخر جسم

اللغة من اختلال في سلامة النطق استدعى الاستنجاد بالبادية العربية التي لم تطأها أقدام الأعاجم، واستقاء قواعد النطق الصحيح من أفواه أهلها، واستنباط قواعد النحو من ذلك الأسلوب الذي درج عليه العرب منذ جاهليتهم ، واستقرت قواعده حتى عصرنا هذا.

أما وقد انتشر الإسلام ذلك الانتشار المعجز فقد كان بذيها أن يضطرب النطق وينتعش اللحن وإن كان ذلك في حقيقته ثمنا لامناص من دفعه نظير ما تحقق لهذا الدين من انتشار لم يهمل خلاله جانب التعليم والتلقين للغة العرب وقواعد النطق بها على نحو جعل من الأعاجم أئمة وأعلاما في اللغة وفقهها إلى جانب تمكنهم في علوم أخرى كسيبويه وابن يني (المعروف بابن جني) والكثير ممن لا يتسع المجال لسرد أسمائهم وآثارهم في تراث اللغة العربية طوال القرون التي تلت انتشار الإسلام في آسيا الوسطى، وبلاد فارس والشام والغرب الإفريقي والأندلسي.

والتسليم بتلك الحقيقة التاريخية التي برزت بانتشار الإسلام في عصره الذهبي

على مساحة تمثلت فيما بين أسوار الصين شرقاً ومشارف باريس غرباً آتخذ يستتبع التسليم أيضاً بعالمية اللغة العربية طوال تلك القرون لسبب واضح كل الوضوح وهو أنها إلى جانب كونها لغة الدواوين الرسمية فهي لغة القرآن، الذي هو الملاذ الأول لكل من اعتنقوا الإسلام عن إيمان وعقيدة والذي لم يكن بوسع أحد أن يدرك حقيقة مرامية وإعجازه إلا من خلال اللغة التي نزل بها، بل ربما كان التهافت على تعلمها حتى من قبل من دفعتهم مصالحهم ومآربهم إلى تعلمها باعتبارها لغة الفاتح.

ولئن كان هناك الكثير من أتباع الإسلام ممن لم يقووا على تعلم الفصحى والنطق بها إلا أنهم لا يَغْدُونَ أن يكونوا استثناءً مشوباً بالضعف ، فلقد قرن الله إلا انه في القرآن بعربية لسانه (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) (بلسان عربي مبين).

والعذر كل العذر لمن لا يقوى على فهم الإسلام الفهم الصحيح الأمثل، ويعتنقه عن اقتناع إذا كان لا يتكلم العربية ولا يتأثر ببلاغتها.

فإذا وضعنا أمامنا هدف الرسالة الإسلامية المتمثل في استئصال أدران الجاهلية التي حالت بين المجتمع العربي خصوصاً والمجتمعات البشرية بوجه عام وبين كل قيم الاستقامة والمحبة والسلام والتآخي والإيثار واحترام الحقوق والتناهي عن المنكر. وهي القيم التي استهدفتها رسالة الإسلام لتعود بالبشرية إلى رباط الأسرة الذي أشارت إليه الآية الأولى من سورة النساء في قول الله تعالى:

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام".

أقول: إذا وضعنا ذلك الهدف نصب أعيننا تكشفت لنا حقيقة الصلة العضوية بين القرآن واللغة التي نزل بها على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، خصوصاً إذا قدرنا الخصائص البلاغية التي استأثر بها القرآن ككتاب منزل من عند الله، وتضمنتها العربية كلغة نزل بها ذلك الكتاب، وتلقنها القوم الذين أنزل القرآن على واحد منهم، واستهدف مخاطبتهم.

فلا غرو إذن أن تكون عالمية اللغة العربية جزءاً من عالمية الكتاب الذي أنزل بها، وأن يشمل التزام الدعاة للإسلام التزامهم بنفس القدر بتعليم هذه اللغة للأسرة البشرية التي يراد لها أن تنتهي إلى لقاء حول مثل الإخاء والوفاء والسلام التي نزل هذا الكتاب لإرسائها والدعوة إليها.

لقد قدر للعربية أن تراوح بين الإقليمية والعالمية تبعاً لمراحل الجزر والمد السياسيين، اللذين لا بسا تاريخ العالم منذ نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان لتلقائية الغرائز البشرية تأثيرها الواضح على كل مراحل الجزر والمد تلك، وما انتهى إليه أمر العربية العليا من انكماش لحساب عاميات هزيلة، لعبت أطماع القوى المعادية للإسلام والطامعة في طمس ميراثه الحضاري والإنساني دورها الفاعل والمؤثر في دعمها وإضعاف حماس أبناء العربية حيالها، وجعلهم ينصرفون عن فصاحتهم بمقولة إنها لا تتيح للاهت خلفها العيش الناعم الذي تتيحه لغة القوى الغازي الذي لم يتردد (على الدوام) في أن ييذر بذور الانتقاص لها والاستعداد عليها،

مما ظل ديدناً لما تعاقب على الأمة الإسلامية من غُزاة، منذ سقوط بغداد وحتى بدايات النصف الثاني من هذا القرن الذي يوشك أن ينصرم.

ولقد كان للنقطة الفكرية التي ولدتها النهضة العلمية الحديثة، ولبروز مجامع اللغة العربية (وفي طليعتها مجمعنا العظيم هذا) ولاشدد وطأة العدوان الاستعماري على الشعوب العربية والإسلامية، كان لكل ذلك الأثر البين فيما نأمل أن يتنامى من وعى الحقيقة الفصحى وأهمية العودة إليها ونشرها في ربوع الأرض لتحقيق الأمل في مخاطبة العقول الراشدة في كوكبنا من خلال القرآن وفهمه، والتأثر بإعجازه بالقدر الذي يمكنها من تفهم رسالته على حقيقتها التي تتركز في أهداف (الإخاء والسلام والتعايش بين بني الأسرة الإنسانية الكبرى انطلاقاً من الرجاء في مرضاة الله والخوف من عقابه).

وعندئذ تستعيد العربية مجدها المنهزم وتعود لها عالميتها فتبرز رباطاً إنسانياً مقدساً في عصر تصبو فيه المدارك لاستيعاب كل ما تضمنه التراث الإسلامي

والعربي من خصائص ومزايا في كافة الحقول الإنسانية سواء منها ما اتصل بقيم الروح والأخلاق، أو ما اتصل بالتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الأمثل.

حضرات السادة الزملاء :

لئن كنت قد انصرفت عن المراجع فيما قدمت من بحثي هذا مكتفياً بما ضمته الذاكرة، وما ألهمني الله تدوينه من محصلة آراء وأفكار ظلت أعتنقها منذ الثلاثينيات من هذا القرن، فإنني لا أعفى نفسي من واجب الاستدلال في هذا المقام بما أورده مرجع من عديد المراجع التي أكرمني الله بميازتها، والتي عزفت عن اللجوء إليها حتى لا أكون أمام حضراتكم كسائق التمر إلى حجر.

لقد قرأت باعتزاز للزميل الراحل المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات في مقدمة كتابه (تاريخ الأدب العربي) الذي سعدت باقتنائه وقراءته منذ أواخر الثلاثينات الجمل التالية:

((فما كانت لغة مصر بعد الإسلام لغة أمة واحدة، وإنما كانت لغة لجميع الشعوب التي دخلت في دين الله، أو في كنفه، أو دعوها معانيهم وتصوراتهم،

وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم ، ثم جابت
أقطار الأرض تحمل الدين والأدب
والحضارة والعلم ، فصرعت كل لغة
نازلتها، ووسعت علوم الأولين وآداب
الأقدمين ، من يونان وفرنس ويهود وهنود
وأحباش، واستمسكت على عرك الخطوب
تلك القرون الطويلة ، فشهدت مصارع
اللغات حولها وهي مرفوعة الرأس رابطة
الجأش، ترث نتاج القرائح وثمار العقول من
كل أدب ونحلة ، فكانت لغات الأمم على
اختلافها كالجدول والأنهار ، تتألف ، ثم
تتشعب، ثم تتجمع، ثم تصب في محيط
واحد هو اللغة العربية". رحم الله الأستاذ
الزيات.

حرى بنا أن نلتمس الوسائل المتاحة
في هذا العصر من مرئية ومستموعة
ومقروءة، ترجمة وتلقينا للقواعد، حتى
يتمكن كل إنسان من خلالها أن يطل على
بحر اللغة العربية الفصحى، ويتمرن على
الغوص في أعماقه واكتشاف ما يحويه
جوفه من لآلى تبهر العقول وتجذب
النفوس إلى الإيمان بالإسلام وبرسالته
الخالدة، وتعاليم المحبة والإنحاء والسلام التي
جعلها السبيل الأقوام لمرضاة الله وغفرانه.

وإني لآمل أن يتحقق لهذه الأمة
رجاؤها في أن ترى الخيرين من رجالها
القادرين لغويًا وتقنيًا وماديًا يسارعون إلى
تجنيد أنفسهم للوصول بها إلى هذا
الهدف العظيم الذي يجعل من فصحاها لغة
يشدو بها كل الناس في أرجاء هذا
الكوكب الذي اختاره الله بيتا لأسرة آدم
الكبرى، ملتزمة في علاقاتها بقيم الأسرة
الواحدة التي لا يشهر فيها أخ السلاح في
وجه أخيه ولا يسطو على حق من حقوقه،
انصياغا لعاطفة الأخوة والرحم.

((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن
أكرمكم عند الله أتقاكم)). صدق الله
العظيم

إن العرب والمسلمين لا يمكنهم أن
يحتلوا في عصرنا هذا المترلة اللاتقة بهم
وبتاريخهم الحضارى إلا بتجنيد عقولهم
وحوافزهم للإسهام في النهضة العلمية
الكبرى التي تتواصل مسيرتها على نحو لم
يشهد التاريخ لسرعته مثيلا، وأن يبنوا
علاقاتهم فيما بينهم أولا، ثم فيما بينهم
وبين غيرهم من الأمم، على أسس
حضارية متينة يتم فيها إخضاع المادة

المدنية الفاضلة، التي تحكمها نوااميس
الإخاء والسلام والمحبة والترفع عما لا يليق
بالإنسان.

على رجب المدني
عضو المجمع من ليبيا

لسلطان الروح حتى لا تطغى المادة على
البشرية، فتقودها إلى حيث تفقدها كرامة
الإنسانية، وشرف العمل على إقامة دولة

المصطلحات الحضارية والعلمية

في كتاب " نهاية الرتبة في طلب الحسبة " للشيزري^(١)

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

تعددت الروايات في تحديد عنوان هذا الكتاب (١)، واضطربت اضطراباً شديداً في ذكر اسم مؤلفة، ولقبه وكنيته ومذهبه. وليس من شأن هذا البحث وضع ترجمة لصاحب هذا الكتاب وقد قام المحقق في تقديمه للكتاب، بجهد كبير لإلقاء الضوء على هوية مؤلف كتاب "نهاية الرتبة... " (٢)

وسبعمائة له: الإيضاح في أسرار النكاح. خلاصة الكلام في تأويل الأحلام. روضة القلوب، نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة. النهج المسلك في سياسة الملوك.

ولدى تبني لعنوانات هذه المؤلفات في كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة، وجدته يعرض هذه المؤلفات كلا على حدة في الأبواب المخصصة لها على الوجه التالي:

الإيضاح في أسرار النكاح - أي في الباه - للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، وهو مختصر، أوله: الحمد لله، الذي خلق الإنسان من طين... إلخ^(٤)

وربما كان من المفيد أن أشير إلى قضية ربما أوقعت اللبس عند الباحثين المحدثين. فقد ذكر صاحب كتاب "هدية العارفين" (٣) أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، تحت عنوان: الطبري، ما نصه: "الطبري - عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري، قاضي طبرية المتوفى سنة ٧٧٤هـ أربع وسبعين

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٢٨ من شوال سنة ١٤١٥هـ الموافق ٢٩ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٥م.

١- انظر: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة الدكتور السيد الباز العريبي، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٤٠١هـ - سنة ١٩٨١م.

٢- انظر: الشيزري، مقدمة الناشر.

٣- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م / المجلد الخامس، ص ٢٨٥.

٤- حاجي خليفة، كشف عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، وبكاتب جلي، مكتبة المثنى، بغداد / المجلد الأول، ص ٢٠٩.

وفي مكان آخر في المجلد ذاته يقول: "الإيضاح - للإمام عبد الرحمن بن أحمد الطبري"^(١). ومما له دلالة في هذا الباب أن نتوقف أيضاً عند عرض كتاب "روضة القلوب - لعبد الرحمن بن نصر الله الشيرازي ، قاضي طبرية ..."^(٢)

وفي باب الخاء يذكر حاجي خليفة: خلاصة الكلام في تأويل الأحلام ، لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله ، وهو مختصر على أربعة وعشرين باباً ، أوله: الحمد لله الذي سلك بنا المنهج اليقين... إلخ^(٣)

وفي المجلد الثاني ، يورد حاجي خليفة أيضاً: "نهاية الرتبة الظرفية في طلب الحسبة الشريفة ، للشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي. أوله الحمد لله على نعمه ... إلخ، وهي على أربعين باباً"^(٤) وبعد ذلك بصفحات يورد مانصه: "النهج المسلوك في سياسة الملوك ، للشيخ عبد الرحمن ، رتبة على عشرين باباً ، وهو كتاب لطيف مفيد: "أوله ، الحمد لله الذي عجزت العقول عن معرفة ذاته ... إلخ ، صنفه للملك الناصر صلاح الدين."^(٥)

١- كشف الظنون ، المجلد الأول ، ص ٢١٤ .

٣- كشف الظنون ، المجلد الأول ، ص ٧١٩ .

٥- المصدر ذاته ، ص ١٩٩٣ .

ونحن إذا استعرضنا هذه النصوص ، نستطيع أن نخلص إلى القول إن ما استخلصه صاحب كتاب هدية العارفين، في عزو هذه الكتب لمؤلف واحد ، ربما كان وراء هذا اللبس الذي وقع فيه المحدثون ، ومنهم محقق هذا الكتاب الذي اعتمدنا تحقيقه^(٦). فإن اسم "عبد الرحمن ابن عبد الله" كثير الشيوع ... وكذلك فإن بعض الروايات رأيناها تجعل وفاة المؤلف سنة ٧٧٤هـ ... وأمام هذه المعطيات ، فإننا نميل إلى الاعتقاد ، بأن صاحب كشف الظنون يتحدث عن شخصيات مختلفة ، وإن الإجماع على اسم "عبد الرحمن" لا يعني شيئاً كثيراً... إلخ ، وفيما يخص كتاب "نهاية الرتبة.." ، فإنني أرجح ما ذهب إليه الأستاذ المحقق في نسبته إلى عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي ، وأنه قد عاصر الناصر صلاح الدين الأيوبي وربما وضع كتابه بناء على تكليف من السلطان.

لقد أشرت منذ البداية إلى أنه ليس من مهمة هذا البحث ، دراسة حياة "الشيرازي" صاحب كتاب "نهاية الرتبة

٢- المصدر نفسه ، ص ٩٣١ .

٤- كشف الظنون ، المجلد الثاني ، ص ١٩٨٧ .

٦- انظر: الباز العريني ، المقدمة ، ص ك.

في طلب الحسبة" ، وتحقيق مؤلفاته ، ولكني أردت أن أوجه انتباه الباحثين إلى القيمة اللغوية لهذه النصوص التراثية الحية التي تصور النواحي الاجتماعية ، والحياة اليومية لمختلف شرائح المجتمع العربي الإسلامي ، ولاسيما في بلاد الشام ومصر. يتحدث كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة عن أصحاب الحرف والصناعات ، وما يقوم به بعضهم من أنواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم. وإلى جانب كشفه عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ، فإنه يوفر لنا مصدراً مهماً من مصادر اللغة العربية في حياتها العملية بين مختلف الشرائح الاجتماعية ، ولاسيما بين أصحاب المهن على اختلاف ألوانهم.. ونسلك في هذا المجال اللغوي جميع ماكتب في "الحسبة" وفي كتب "الخراج"... والأحكام السلطانية والفقهية، وما صنف في النوازل إلخ. فإلى جانب كونها مصدراً مهماً من مصادر كتابة التاريخ الاجتماعي، فإنها مصدر أساسي

من مصادر الذخيرة اللغوية العربية. فهي تعبر عن مختلف الفعاليات في حياتها اليومية بألفاظ عربية فصيححة ومولدة ومعربة ، اكتسب بعضها رونق العربية وبقي بعضها الآخر بصيغته الأعجمية ناطقاً بالحروف العربية... وإن مثل هذه الذخيرة التي من شأنها أن تمد العربية بالحياة والاتساع في مسيرتها الحضارية والعلمية عبر التاريخ ، لم تسجل معظمها المعاجم اللغوية التراثية... وذلك لاختلاف في المناهج والأهداف. وبات لزاماً على الجامع اللغوية العربية والجامعات العربية وعلمائها، أن تنهد لإنجاز "مشروع الذخيرة العربية ، ومعجمها التاريخي" ، من أجل نهضة عربية أصيلة ، كثر عثارها وطال انتظارها ، للحاق بركب الأمم المتقدمة ، والمشاركة المبدعة في بناء حضارة القرن الحادي والعشرين. وسيكون "المعجم التاريخي" للغة العربية أحد الأعمال اللغوية المهمة التي ستنبثق عن مشروع "الذخيرة العربية"^(*) وفي هذا الإطار نعرض كتاب "نهاية

(*) يجدر بي أن أشير إلى أن ندوة مشروع "الذخيرة العربية" قد عقدت في مدينة الجزائر في الثاني من حزيران ١٩٩٢... وتكونت لجنة للمتابعة... ولكنها مع الأسف توقفت عند هذا الحد... وفي شباط (فبراير) سنة ١٩٩٣ ، طرح الموضوع في مجلس اتحاد الجامع اللغوية العربية ، واتخذ قرار بأن يتبنى "الاتحاد العمل على إنجاز العمل على إنجاز هذا المشروع... ولكن ما لبث مع الأسف أن تخلى الاتحاد عن هذا المشروع ، لثقل المهمة وعدم وجود الإمكانيات المادية!!!

الرتبة في طلب الحسبة". وهو على صغر حجمه يُسَلِّكُ في قائمة أهم المصادر لدراسة الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية في القرن السادس الهجري في المجتمع الإسلامي ولاسيما في بلاد الشام ومصر.

عرض الشيزري أرباب الحروف والصنائع، وتحدث عما كان يقوم به هؤلاء من أنسواع الغش في مبيعاتهم ومعاملاتهم، ووصف فروع الطب المختلفة وأسهب في شرح غشوش العقاقير. وصنّف أصحاب المهن هؤلاء على الشكل التالي:

- ١: الحُبُوبِيُّونَ ٢: الدَّقَّاقُونَ ٣: الخَبَّازُونَ ٤: الفَرَّانُونَ ٥: صُنَّاعُ الزَّلَّابِيَّةِ ٦: الجزَّارُونَ (الجزَّار هو الذي يذبح الماشية للبيع) ٧: القَصَّابُونَ (القَصَّاب هو الذي يبيع اللحم للناس) ٨: الشَّوَّازُونَ ٩: الرُّوَّاسُونَ ١٠: قَلَّاتُو السَّمَكِ ١١: الطَّبَّاحُونَ ١٢: الهَرَّاسِيُّونَ ١٣: الثَّقَانِيقِيُّونَ ١٤: الحَلَوَانِيُّونَ ١٥: الصِّيَادِلَةُ ١٦: العَطَّارُونَ ١٧: الشَّرَّابِيُّونَ (الشَّرَّابِيُّ هو صانع الأشربة، وهي الأدوية السائلة على اختلافها) ١٨: السَّمَّانُونَ

- ١٩: البِقَالُونَ، وباعة الخضراوات ٢٠: البَزَّازُونَ (والبَزَّاز هو بائع الثياب) ٢١: الحَاكَةُ ٢٢: الدَّلَّالُونَ والمُنَادُونَ ٢٣: الخَيَّاطُونَ ٢٤: القَطَّانُونَ ٢٥: الكَتَّانِيُّونَ ٢٦: الحَرِيرِيُّونَ ٢٧: الصَّبَّاغُونَ ٢٨: الأَسَاكِفَةُ ٢٩: الصَّيَارِفَةُ ٣٠: الصَّاعَةُ ٣١: النَحَّاسُونَ ٣٢: البَيَّاطِرَةُ ٣٣: نَحَّاسُو الْعَبِيدِ والدُّوَابِ ٣٤: الحَمَّامَاتُ وَقَوَمَتُهَا ٣٥: الفَصَّادُونَ والحَجَّامُونَ ٣٦: الْأَطِبَّاءُ وَالْكَحَّالُونَ والمُجَسِّمُونَ والجِرَّائِحِيُّونَ. ٣٧: مُؤَدِّبُو الصَّبِيَّانِ.

ويتحدث صاحب كتاب نهاية الرتبة... أيضاً عن باعة الخزف والكيزان والأواني والغسلين والسَّقَّائِينَ وأصحاب الرُّوَايَا والقِرْبِ، والمَكَارِيَةِ وَحَمَّالِي الحُطْبِ.. الخ، مما يجعل من هذا المؤلف مصدراً مهماً من مصادر التعريف بأحوال المجتمع الإسلامي عامة والمجتمع الشامي والمصري خاصة في ذلك العصر، إلى جانب قيمته اللغوية في التعبير عن جميع جوانب الحياة الحضارية.

ونحن إذا استعرضنا نصوص هذا الكتاب نجد يولي اهتماماً خاصاً ببلاد الشام ومصر. وربما كان من المفيد أن نعرض بعض هذه المصطلحات في سياقها اللغوي.

يقول صاحب كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة: "وقد اصطلح كل إقليم وبلد في المعاملة على أرطال تتفاضل في الزيادة والنقصان ، سيما أهل الشام خاصة"^(١) ويولي مدينة " شيزر"^(٢) أهمية خاصة من بلاد الشام حيث يقول: "وأما القنطار المتعارف فهو مئة رطل ، والرطل ستمائة وأربعة وثمانون درهماً ، وهو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية سبعة وخمسون درهماً. هذا رطل شيزر ، الذي رسمه بنو منقذ"^(٣).

١- نهاية الرتبة ، ص ١٥.

٢- شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، تُعد في كورة حمص وهي قديمة ، ذكرها امرؤ القيس في قوله:

عَشِيَّة جاوزنا حماة وشيزرا

تقطع أسباب اللبانة والهوى

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

فواخزناً إذ فارقونا وجاوروا

سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا

قال البلاذري: سار أبو عبيدة من حماة بعد أن فتحها صلحا على الجزية ، إلى شيزر فتلقيها أهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل ، وذلك في سنة ١٧هـ. وينسب إلى شيزر جماعة منهم الأمراء من بني منقذ وكانوا ملوكها...

انظر: ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٧٣.

٣- نهاية الرتبة ، ص ١٥

٤- نهاية الرتبة، ص ١٧.

وفي مكان آخر يقول: "الدرهم الشامي ستون حبة . وقد اختلفت صَنَجُ أهل الشام أيضاً ، فالمثقال بشيزر يزيد على مثقال حلب نصف قيراط ، ومثقال حماة مثل الشيزري ومثقال دمشق يزيد على الشيزري ، ومثقال المعرة مثل الدمشقي"^(٤) فهو يولي عناية كبيرة ببلاد الشام وخاصة "شيزر" ، مما يلقي ضوءاً على نسبه "الشيزري". ويقول في موضع آخر:

"فالقفير بشيزر ستة عشر سنبلاً ،

وهو مكيال متعارف فيها ، يسع رطلاً

ونصفاً بالشيزري"^(٥). وهذا نص آخر يفيد

بأن المؤلف كان في مدينة "حلب" التي لا

تبعد كثيراً عن "شيزر" يقول: ولم أر في

صناعة الفَصْدِ أحذق من رجلين رأيتهما
بمدينة حلب...^(١).

وإلى جانب حديثه عن بلاد الشام،
يتحدث عن مصر ، فنجد بعد أن يتحدث
عن رطل حلب... ورطل دمشق ، ورطل
حمص ، ورطل حماة... ورطل المعرة يقول:
"ورطل مصر - حرسها الله تعالى - مئة
وأربعة وأربعون درهماً وأوقيتها اثنا عشر
درهماً..."^(٢). وفي موضع آخر يقول:

"والقَبَانُ الرومي أصحُّ من القبان
القبطي..."^(٣). ويجعل من حبوب بعض
النباتات التي كانت تكثر زراعتها في مصر
والشام معياراً للمكاييل ، ومنها: الخردل
والبزر قطونا ، إذ يقول: "وأجود ما عُيِّتُ
به المكاييل الحبوب الصغار التي لا تختلف
في العادة مثل: الكسفرة والخردل
والبزر قطونا..."^(٤).

ومما يجدر ذكره أن كثيراً من هذه
المكاييل والموازين ، مازالت حية في الوقت
الحاضر في أوساط العامة في بلاد الشام
ومصر... على الرغم من المنهجية الرسمية
الحديثة التي أخذت بتعريب ألفاظ الموازين
والمكاييل العالمية مثل: الغرام والكيلو غرام
والطن... الخ.

ويعنى المؤلف في كثير من الأحيان بإيراد
وصف دقيق لأجزاء بعض الأدوات ،
وأسمائها التي تعرف في ذلك الوقت ، مما
يشكل ثروة لغوية مهمة ، لم تسجلها
المعاجم اللغوية ، ولا سيما من حيث
معانيها الاصطلاحية ودلالاتها على جوانب
الحياة الحضارية ، والمهنية. فقد أورد
الشيذري وصفاً دقيقاً لأجزاء الميزان
وأسمائها المعروفة في عصره ، فيشير إلى:
الكفة والعلاقة ، ووسط القصة ، وثلاث
السك ، ومِرْود العلاقة ، واللّسان ، وقبّ
العلاقة والشواهين... وهي ، كما نلاحظ،
ألفاظ عربية فصيحة ، قد اكتسبت معاني
اصطلاحية للتعبير عن أجزاء أداة لها شأنها
في الحياة الحضارية في ذلك العصر...
وما زال كثيرٌ من هذه الأسماء حياً في الوقت
الحاضر.

ويعدنا الشيذري أيضاً بذخيرة مهمة
تتناول أسماء العقاقير والنباتات وأسماء
الأطعمة والأشربة... الخ ، وربما كان من
المفيد في هذا البحث أن نتوقف عند أمثلة
من ألفاظ الحضارة ومصطلحات الطب
والصيدلة في هذا المصنّف. وإن دراسة
لغوية لهذه الألفاظ ودلالاتها ، تقودنا إلى

١ - نهاية الرتبة ، ص ١١.

٢ - نهاية الرتبة ، ص ١٦.

٣ - نهاية الرتبة ، ص ١٩.

٤ - نهاية الرتبة ، ص ٢٠.

استقراء الملامح الأساسية للمنهج العام الذي وضعت في إطاره هذه الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية. ونحن نستطيع أن نصنفها بصورة عامة إلى ألفاظ عربية فصيحة وأخرى مولدة وقسم أخبر أعجمي مُعَرَّب ، سواء أكان قد أضفسي عليه رونق العربية أم أخذ بلفظة الأعجمي. وسنحاول أن نقتصر على إيراد الأمثلة ، من خلال النصوص الواردة فيها ، مما يكون له دلالة لغوية مفيدة.

ففي الحديث عن الحسبة على البرازين يقول الشيرازي:

"وينبغي ألا يتجر في البرز إلا من عرف أحكام البيع وعقود المعاملات ، وما يحلُّ له منها وما يُحرَّم عليه ، وإلا وقع في الشبهات وارتكب المحظورات. وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - "لا يتجر في سوقنا إلا من تفقه في دينه ، وإلا أكل الربا ، شاء أو أبى". وقد رأيت في هذا الزمان أكثر باعة البرز في الأسواق يفعلون في بياعاتهم ما لا يحل عمله"^(١). وهو يتحدث عن "البرز" و "الاتجار" وأحكام البيع وعقود المعاملات ، وعن الأسواق والنفقة والربا والبياعات... وجميع

ذلك يعتبر في باب العربية الفصيحة ، سواء أكان ذلك وفق معانيها اللغوية أم كان وفق معانيها الاصطلاحية... والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها:

"فإن منهم (أي الباعة) ، من يأخذ حبات الشعير والحنطة فينقعها في بعض الأدهنان المعروفة ، ثم يغرس فيها رؤوس الإبر ، ثم يحففها في الظل ، فتعود إلى سيرتها الأولى ، ولا يظهر فيها شيء من ذلك"^(٢)... إنه يورد هذا النص في مجال حديثه عن اتخاذ حبات الشعير والحنطة... معياراً للوزن. ولا سيما في وزن الذهب والفضة.

وفي مجال الألفاظ العربية الفصيحة نورد هذا النص أيضاً ، إذ يقول:

"والمصلحة أن يجعل المحتسب عليهم (أي الدقاقين) وظائف يرفعونها إلى حوانيت الخبازين في كل يوم"^(٣) فهو يتحدث عن "المصلحة" و "المحتسب" و "الدقاقين" والوظائف (جميع وظيفة وتعني هنا كمية يتفق عليها) والحوانيت والخبازين... وقوله أيضاً: "وينبغي له (أي البائع)... ولا يُخلَق البضاعة من يده في الكفة تحليقاً، ولا يهز حافة الكفة بإبهامه ، فإن ذلك كله بخس..."^(٤). وعندما يتحدث

١- نهاية الرتبة ، ص ٦١ . ٢- نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

٣- نهاية الرتبة ، ص ٦١ . ٤- نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

عن الدقاقين (وهم الطحانون) يقول: "يلزم (أي المحتسب) الدقاقين غربلة الغلة من التراب ، وتنقيتها من الزوان ، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها..." (١)

وفي حديثه عن "الحبوبيين" يقول: "يُحرَّم عليهم احتكار الغلة على ما بيناه ، ولا يخلطون رديء الحنطة بجيدها ، ولا عتيقها بجديدها ، فإنه تدليس على الناس" (٢)... ومن الواضح أن الشييزري يقصد بالحبوبيين هنا "تجار الحنطة".

ويتحدث عن الصنج الطيارة: وتُعَيَّرُ الأرطال والأواقى من الحديد ، على الصنج الطيارة... (٣) فإن كلمة "الصنج" و"الصنجات" لفظة عربية جاهلية... قد ولد منها أصحاب المهن ، حضارياً ، بحسبهم اللغوي الأصيل ، معنى اصطلاحياً توليداً صحيحاً ، لا يمكن أن يعتبر خارج دائرة العربية السليمة.

وربما كان من المفيد أن نتوقف أيضاً عند هذا النص. إذ يقول الشييزري: قال (المحتسب)، مخاطباً سلطان دمشق ، بعد أن ولّاه أمر الحسبة على الناس: فقيم عن هذه الطرّاحة ، وارفع هذا المسند ، فإنهما من حرير... قال: فنهض السلطان عن

طرّاحته وأمر برفع مسنده" (٤) . فالطرّاحة جمعها طراريج وهي مايفترش للجلوس... ومازالت لفظة حية حتى يومنا هذا في الأوساط الشعبية الشامية ، وكذلك "المسند" وهو الوسادة التي يستند إليها.

ومن الألفاظ العريضة الفصيحة والمولدة الصحيحة ، قوله أيضاً في الحديث عن العجّانين: "فلا يعجن إلا عليه ملعبة أو بشت مقطوع الأكمّام ، ويكون مثلباً أيضاً" (٥) فهو يتحدث عما يجب أن يرتديه العجّان من الثياب ، مثل: "الملعبة" و"البشت"... واللفظة الأخيرة مازالت شائعة ، بين أصحاب المهنة في وقتنا هذا.

وكذلك يورد "القرمية والقرمة" ، وجمعها "قُرْم" وهي قطعة من الخشب يقطع عليها اللحم فيقول: "وإذا فرغ القصاب من البيع...أخذ ملحاً ونثره على القرمية التي يقصب عليها اللحم". (٦) فإن لفظة القرمية ولفظة القصاب... شائعة معروفة في الوقت الحاضر ، بهذه المعاني المحددة... ولنتوقف عند هذا النص الذي يتحدث عن آلة من آلات النجار ، وعما يخرج منها من النجارة الدقيقة التي تسمى

٢- المصدر نفسه.

١- نهاية الرتبة ، ص ١١.

٣- نهاية الرتبة ، ص ١٩.

٥- نهاية الرتبة ، ص ٢٢.

٤- نهاية الرتبة ، ص ٨.

٦- نهاية الرتبة ، ص ٢٨.

"القنداس" ، إذ يقول: "ومنهم من يخلط القنداس - وهو ما يخرج من السَّرَّاقَة - بالكتان الناعم بعد مشطه... وجميع ذلك تدليس"^(٦)... فإن لفظة "القنداس" توحى بأعجميتها ، وقد أضفى عليها رونق العربية ، واضطر الشـيزري أن يشرح معناها ، فقال: "وهو ما يخرج من السَّرَّاقَة... ومن الواضح أن لفظة "السَّرَّاقَة" عربية فصيحة وهي اسم آلة على وزن "فَعَّالة" ، قد وضعت على سبيل الاشتقاق... ثم نقلت إلى معنى اصطلاحى.

وإن الألفاظ العربية الفصيحة والمولدة الصحيحة التي وضعت عن طريق الاشتقاق أو النحت أو المجاز أو النقل كثيرة جداً ، ونكتفي هنا بإيراد بعض الأمثلة الأخرى ، خارج النصوص كي لا نثقل هذا البحث. فمنها ما هو وصفى فصيح العبارة مثل: السكين الكالة ، الزيت المعاد ، تبيض الحرير ، جبل الطين ، جماجم العنبر ، حبل الذراع ، حجر الدم ، حجر الزئبق ، حجر الكحل ، خاتم المحتسب ، داء الفيل ، أجراء الصانع ، احتكار الطعام ، احتكار الغلة ، أهل الأسواق ، بنية الثوب ، بوار النساء (آلة

^٦ نهاية الرتبة ، ص ٧٠.

طبية) ، تكوكب اللبن... الخ ومنها ما وضع اشتقاقاً أو مجازاً أو تركيباً أو نحتاً ، وكان إما عربياً فصيحاً وإما مولداً صحيحاً... والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: "التطريب ، التفاصيل (اصطلاح فقهي) ، التفرق (اصطلاح فقهي) التعزير (فقه) ، الثريدة (طعام) ، جُبّة (ثوب) ، الجرائحي (طب) ، جرن (حضارة) الحوارى (دقيق) ، الخاوية (حضارة) ، الخبائص (جمع خبيصة) ، الخنز (الحرير) الداخس ، الإبطى ، الاستسقاء (مرض) ، الأعدال (جمع عدل) ، الأقحاف (جمع قحف) ، الأكحل ، الإكليل ، الأنابيب ، الباطنية ، البطين...". وفي مجال الألفاظ المولدة نذكر أيضاً:

"التخاريص (جمع تخريص ، توالي اللحم) ، ثنائيل الرصاص ، حباشة الإهليلج ، الجلاوات ، حمى الدق ، حمى الربيع ، حمى يوم ، زراقات الفولنج...".

وفي مجال الألفاظ الحضارية العربية نذكر:

الكناشات (والمفرد كناشة) ، والأقرباذينات (ومفردها أقرباذين) . يقول الشيزري: "ولا يركبها الشرابي إلا من الكناشات المشهورة ، والأقرباذينات

المعروفة"^(١) وكذلك "القطارميز" ومفردها "قطرميز". يقول الشيزري: "وينبغي أن تكون بضائعهم مصنوعة في البراني والقطارميز"^(٢) والعامة اليوم في عصرنا هذا تقول "القطرميز" وتجمعه جمع مؤنث سالم "القطرميزات" وهو من الألفاظ الحضارية الدالة على الوعاء المصنوع من الزجاج لحفظ بعض الأطعمة.

ولكي نوضح استعمال هذه المصطلحات الحضارية والعلمية ، في ذلك الوقت ، في لغة التأليف للتعبير عن الحقائق العلمية والمهنية ، نتوقف عند هذين النصين: أخذ أحدهما من باب "في الحسبة على العطارين" والآخر من باب "في الحسبة على الأطباء والكحالين والمجبرين والجراثحين".

فالنص الأول يتحدث عن "غش" الكافور وهو من أنواع العطار ، يقول: "وأما الكافور ، فإن منهم من يعمل به بخالة رخام الخراطين المدبر ، ومنهم من يعجن الكافور بماء الصمغ الأبيض ، وينجره على الغرايل. ومنهم من يعمل من حجارة النوشادر ، ويكسره صغاراً ثم يخلطه به ، ومنهم من يعمل من ذريرة غير مفتونة ،

وجبسين غير مشوي وصمغ أبيض ، ومثل الجميع كافور. ومنهم من يعمل به من خشب الخروع النحر، والأرز المدبر، ومنهم من يعمل من نوى البلح بدقه حتى يصير مثل الزبد ، ويجعل عليه مثله كافور ، ثم يعجنه بماء الكافور ، ويسطه رقيقاً ، فيبقى مثل الكافور. ومعرفة غشوش الكافور التي ذكرناها وما لم نذكرها ، هو أن يلقي منه شيء في الماء ، فإن رسب فهو مغشوش ، وإن طفا فهو خالص ؛ وأيضاً يلقي منه شيء على خرقة ، ثم يجعل على النار ، فإن طار ولم يلبث فهو خالص ، وإن احترق وصار رماداً فهو مغشوش."^(٣) فالكافور ، مازال معروفاً عند

العطارين في وقتنا هذا ، وكان يستعمل في الطب العربي قديماً ، ومازال مستعملاً في الطب أيضاً في الوقت الحاضر. وإذا ألقينا نظرة على هذا النص ، نجد أنه قد عبر تعبيراً دقيقاً واضحاً عن الفكرة التي أراد شرحها ، بلغة عربية سليمة، فاستعمل ألفاظاً ومصطلحات، بعضها معروف عند أصحاب المهنة ، ومعظمها يفهمه عامة الناس. وإذا استثنينا كلمة "كافور" التي دخلت العربية ، على

١- نهاية الرتبة ، ص ٥٦. ٢- نهاية الرتبة ، ص ٦٠. ٣- نهاية الرتبة، ص ٥١.

سبيل التعريب ، وكذلك بعض الكلمات مثل "جبسين" و"نوشادر" نجد الألفاظ الأخرى عربية الأصول والدلالة ، سواء أكانت باقية على فصاحتها أم أنها نقلت للتعبير عن معان جديدة. وفي جميع الأحوال نرى هذه الألفاظ تعبر عن تلك المعاني العلمية أو الحرفية تعبيراً دقيقاً لا تخرج عن إطار العربية السليمة النامية والحية في الاستعمال ، لاستيعاب كل ما يجد من معارف إنسانية. فقد استعمل هذا النص ألفاظاً منها:

"الكافور" و"النوشادر" و"جبسين" و"الخروع" والأرز" وجميع هذه الألفاظ التي دخلت العربية منذ قرون طويلة ، مازالت حية ، تعيش بيننا في الوقت الحاضر ، وفي جميع الأوساط.. وإلى جانب الألفاظ الحضارية ، في مجال العطارة والطعام ، نجد النص يستعمل ألفاظاً فصيحة الأصول ، باقية على ما وضعت له ، وبعضها قد ولد منها على مناهج العربية ، صيغ أو تراكيب للدلالة على معان جديدة... مثل: "الخراطين" و"المدبر" و"ماء الصمغ الأبيض" و"ينجره" و"حجارة النوشادر" و"ذريعة غير مفتونة" و"جبسين غير

مشوي" و"خشب الخروع النحر" و"الأرز المدبر" و"يعجنه بماء الكافور" و"غشوش الكافور"... الخ

وهذا نص آخر من باب "في الحسبة على الأطباء والكحالين والمجبرين والجراثحين" يقول الشيزري:

"وينبغي للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال ، وهي كلبات الأضراس ، ومكاوي الطحجال ، وكلبات العلق ، وزراقات القولنج ، وزراقات الذكر ، وملزم البواسير ، ومخرط المناخير ، ومنجل النواصير ، وقالب التشمير ، ورصاص الثقيل ، ومفتاح الرحم ، وبوار النساء ، ومكدة الحشا ، وقدهح الشوصة ، وغير ذلك مما يحتاج إليه في صناعة الطب ، غير آلة الكحالين والجراثحين ، مما يأتي ذكره في موضعه وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين بن إسحاق في كتابه المعروف "محنة الطبيب". وأما كتاب "محنة الطبيب" لجالينوس ، فلا يكاد أحد من الأطباء يقوم بما شرطه جالينوس فيه.

فهذا نص ، يشتمل على أسماء آلات الطب ، وهي خاصة بأصحاب

صناعة الطب على حد تعبيره ، وهي معروفة شائعة في أوساطهم ، ويمدنا الزهراوي في مؤلفاته ، ولا سيما في كتابه المشهور في الجراحة الموسوم "التصريف لمن عجز عن التأليف" بذخيرة لغوية علمية ثرة في مجال أسماء الآلات والأدوات والمصطلحات الطبية... وكذلك الأمر في مصنفات الرازي وابن سينا ، وأبي الوليد ابن رشد ، وابن زهر وابن وافد، وغيرهم من أعلام الطب في تراثنا العلمي العربي^(*).

ونحن إذ عدنا إلى هذا النص ، الذي أوردناه ، نجد أن كل اسم من أسماء الآلات يتكون من لفظة عربية سليمة أضيفت إلى اسم العضو ، للدلالة على معنى علمي محدد فذكر "كليات الأضراس" ، (ومفردتها: كلبة) ، وكذلك "كليات العلق" ، وذكر "زراقات القولنج" ، (ومفردتها: زراقة) ، وذكر "ملزم البواسير" على وزن "مفعّل" و "مخرط المناخير" على وزن "مفعّل" و "منجل النواصير" و "مفتاح الرحم" على وزن "مفعّل". وذكر "مُكمدة الحشا" على وزن اسم الفاعل من الرباعي... ونجد بين أسماء الآلات هذه يتكون من إضافة اسم إلى المصدر مثال

(*) نهاية الرتبة ، ص ٩٩-١٠٠ .

ذلك: "رصاص الثقيل" ، أو إضافة اسم أداة معروفة إلى العضو كي تكتسب معنى اصطلاحياً جديداً. مثال ذلك: "قدح الشوصة"... الخ... وجميع هذه المصطلحات معلومة عند أصحاب الصنعة ، وقد صيغت بعربية أصيلة، وعبر عنها المؤلف بأسلوب لغوي سهل وواضح ودقيق.

وقد أشرنا في بداية هذا البحث إلى أن المصطلحات الحضارية والعلمية ، كانت شائعة عند أصحاب الحرف وصناعات العلوم المختلفة ، وقد حاولنا من خلال هذه الأمثلة أن نبين مدى شيوع هذه المصطلحات الحضارية والعلمية وخاصة في مصر وبلاد الشام.

ونجد لزماً علينا أن نتساءل أخيراً عن مصادر هذه المصطلحات ، وعن منهج وضعها وطرق إشاعتها وتوحيدها في ذلك الوقت ، عند أصحاب الحرف والصناعات الطبية والعلمية ، وعلى ألسنة الخاصة والعامة ، وذلك في إطار معطيات الزمان والمكان، وعلى ما كانت عليه وسائل الاتصالات.. من فقر وبدائية إذا ما قورنت بما بلغته وسائل الاتصالات الجماهيرية في الوقت الحاضر.. وربما نحتاج

للإجابة العلمية الدقيقة عن هذه التساؤلات إلى إقامة بحوث علمية لغوية متخصصة.

ومهما يكن من أمر فقد اكتفينا في هذا البحث بأن حاولنا تحديد معالم منهجية وضع المصطلح الحضاري والعلمي، فوجدناها تقوم بصورة رئيسة على استعمال الفصح والمولد توليداً صحيحاً والمغرب وفق أصول العربية وقواعدها. ورأينا كيف استطاع المؤلف أن يُعبر عن ذلك كله بلغة عربية سليمة تتميز بالدقة والسهولة والوضوح ، وكيف أن أصحاب الصنعة بما لديهم من إحساس لغوي ومعرفة دقيقة ، كان لهم دور كبير في وضع هذه المصطلحات.

ونحن إذا اطمأنت النفس إلى المقولة ، بأن كتاب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" ، قد ألفه صاحبه في القرن السادس الهجري، وأنه أهداه إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي المتوفى (٥٨٩هـ) أو أنه ألفه بناءً على طلب منه ، فإننا نستطيع القول بأن المصادر التي استقى منها هذه المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية ، كانت معظمها عن ذوي الحرف وأصحاب المهن والصناعات الطبية والعلمية.. وإن أكثر

هذه المصطلحات الطبية ، والعلمية ، بمعناها الشامل في ذلك الوقت ، كانت مدونة في مصنفات مشهورة ، مثل مصنفات ابن سينا والزهرائي والفارابي والكندي... وغيرهم ، فإن مصطلحات أصحاب الحرف والمهن ، لا بد أن استقاها صاحب "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" بصورة أساسية من مصادرها الميدانية... عن هؤلاء الحرفيين وأصحاب الصنعة التي يمارسونها في حياتهم اليومية ومعاشهم... ومن ناحية أخرى ، فإننا نعتقد بأن منصب الحسبة ، الذي يشكل دعامة أساسية في إدارة الحكم كان السبب الرئيسي في إشاعة استعمال هذه المصطلحات ونشرها وتوحيدها. ولاشك أن صاحب الحسبة كانت له دواوين وسجلات. وتفيد الروايات بوجود أعوان له في مختلف الأسواق ، يمدونه بمعلومات إضافية عن أحوال الحرفيين وأصحاب الصنعة... ومن البدهي أنهم كانوا يقدمون له تقارير مكتوبة في جميع الأحوال.. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن وضع كتب "الحسبة" التي تخص الدولة بشكل أو بآخر لتسهيل مهمة

المحتسب ، تكون الى جانب مؤلفات
أصحاب صناعة الطب وعلوم الأوائل ،
عاملاً أساسياً في إشاعة هذه المصطلحات
وتوحيدها.

وأخيراً. فإن هذا البحث يطرح لأول مرة
أمام الجامعات العربية واتخاذ مجامعنا اللغوية

أهمية إنجاز "مشروع الذخيرة العربية"
و"المعجم التاريخي اللغوي" عسى أن ينهد
لهذا العمل الجليل ، من يتكفل به. والله
يهدي لنوره من يشاء.

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن

مشروع الذخيرة اللغوية العربية

وأبعاده العلمية والتطبيقية(*)

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

كان لي الشرف أن عرضت على مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان في ١٩٨٦ فكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها(**). وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين بأهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية، واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية، وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع لامتياز به بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد. ثم عرضت الجزائر على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر ١٩٨٨ فوافق أعضاؤه على تبنيه في حدود إمكانيات المنظمة.

وبادرت المنظمة بعد ذلك بمراسلة المؤسسات العلمية العربية والجهات الرسمية المعنية بالتربية والتعليم العالي تطلب منها إدلاء الرأي في جدواه وطريق تنفيذه فتوالى على المنظمة إجابات كثيرة جدا ومفيدة من قبل المؤسسات منها الجامع اللغوية كلها والجامعات ومراكز البحوث والجهات المعنية في وزارات التربية وأجمعت هذه الإجابات على أهمية المشروع الكبيرة وضرورة الشروع في إنجازه في أقرب الآجال.

وعلى إثر ذلك نظمت جامعة الجزائر بالاتفاق مع المنظمة ندوة أولى لدراسة المشروع واتخاذ القرارات اللازمة مع خبراء المؤسسات العلمية العربية، وساهم في هذه الندوة عدد من الخبراء والمسؤولين وخرجوا بتوصيات تخص تنظيم العمل

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة السادسة للمؤتمر المجمع بتاريخ غرة ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق الأول من أبريل (نيسان) ١٩٩٥ م.

(**) انظر مجلة المجمع الملكي للأردن للغة العربية لسنة ١٩٨٦ وكذا مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٨٨. وقد تفضل الدكتور إبراهيم مذكور بالتنويه بالمشروع بصفته رئيسا لاتحاد الجامع العربية في رسالة بعث بها إلى صاحب البحث.

والمشاركة، وإنشاء اللجان لمتابعة المشروع.

وقد قرر المشاركون في هذه الندوة

الأولى أن تعقد ندوة ثانية يجتمع فيها جميع

الممثلين للمؤسسات الراغبة في المشاركة في

إنجاز المشروع، وتكرم مركز البحوث

والدراسات العلمية بدمشق باقتراح

استضافته للندوة في دمشق وستعقد هذه

الندوة إن شاء الله في سنة ١٩٩٥.

فالمقصود من البحث الذى لنا

الشرف أن نعرضه على مجمع اللغة العربية

الموقر هو التحديد الدقيق لمفهوم الذخيرة

اللغوية والأهداف العلمية التى رسمت

لمشروع الذخيرة، والتحديد أيضاً لجميع

وظائفها، والفوائد العلمية التى سيحصل

عليها المستثمرون لها، وغير ذلك مما يخص

كيفية إنجازها وتنظيم العمل العلمى والتقنى

المشترك.

- أهداف المشروع

(١) الذخيرة كبنك معلومات آلى

إن الهدف الرئيسى لمشروع

الذخيرة هو أن يمكن الباحث العربى أيضاً

كان وأينما كان من العثور على معلومات

شئى من واقع استعمال اللغة العربية بكيفية

آلية وفى وقت وجيز.

وهذا سيتحقق بإنجاز بنك آلى

للغة العربية المستعملة بالفعل يتضمن

أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية

والتقنية وغيرها، وعلى الإنتاج

الفكرى العربى المعاصر فى أهم صوره

بالإضافة إلى العدد الكبير من

الخطابات والمحاورات العفوية

بالفصحى فى شتى الميادين.

وعلى هذا فهو بنك نصوص لا

بنك مفردات، ثم إن هذه النصوص تمثل

الاستعمال الحقيقى للغة العربية فليست

نصوصاً يصطنعها المؤلفون بل نصوص من

اللغة الحية الفصحى المحررة، أو المنطوقة.

وأهم شئ فى ذلك هو أن يكون هذا

الاستعمال الذى سيخزن بشكل النص

كما ورد فى ذاكرة الحواسيب هو استعمال

العربية طوال خمسة عشر قرناً فى أروع

صوره، ثم هو يغطى الوطن العربى أجمعه

فى خير ما يمثله من هذا الإنتاج الفكرى.

(٢) الذخيرة كمصدر لمختلص

المعاجم والدراسات

سيستخرج من هذا البنك (المسمى

عند المهندسين بقاعدة المعطيات النصية)

العديد من المعاجم لذكر منها:

١- المعجم الآلى الجامع لألفاظ

العربية المستعملة . وسيحتوى على جميع المفردات العربية التى وردت فى النصوص المخزنة قديمة أو حديثة. وتحدد فيه معانى كل مفردة باستخراج هذه المعانى من السياقات التى ظهرت فيها ثم يضاف إلى ذلك تحديدات العلماء. وسيأتى وصف هذا المعجم فيما يلى .

٢- المعجم الآلى للمصطلحات

العلمية والتقنية المستعملة بالفعل سيحتوى على المصطلحات التى دخلت فى الاستعمال ولو فى بلد واحد أو جهة معينة لأنها وردت فى نص واحد على الأقل ويذكر مع كل مصطلح ما يقابله فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية. أما ما لم يدخل فى الاستعمال وورد فقط فى معجم حديث فيشار إليه فقط مع ذكر مصدره. وسيجزأ هذا المعجم العام إلى معاجم متخصصة بحسب فنون المعرفة ومجالات المفاهيم.

وكل واحد من هذين المعجمين آلى مثل الذخيرة فى شكلها الأول ومعنى ذلك أنه يقوم على ركيزة متصلة بالحواسيب فى أحدث صورها مثل الأقراص البصرية أو

المغناطيسية التى يمكن أن تحتوى على ملايين النصوص.

كما يمكن أن ينشر كل واحد منهما وكذا المعاجم المتخصصة على الشكل التقليدى. والفضل الذى تمتاز به الذخيرة كبنك آلى ومعاجمها هو أنها مفتوحة وقابلة للإضافة لأى معلومة جديدة ويدخل فيها أى كتاب جديد هام أو أى كتاب يعثر عليه فى التراث وهى قابلة لأى تصليح فى أى وقت كان.

٣- المعجم التاريخى للغة العربية

٤- معجم الألفاظ الحضارية

(القديمة والحديثة)

٥- معجم الأعلام الجغرافية

٦- معجم الألفاظ الدخيلة

والمولدة

٧- معجم الألفاظ المتجانسة

والمترادفة والمشاركة والأضداد

وغير ذلك من المعاجم المفيدة.

فكما رأينا كل ما يذكر من الألفاظ فى هذه المعاجم فهو مأخوذ لا من القواميس الموجودة بل من الاستعمال الحقيقى قديما كان أم حديثا. أما ما لم يرد فى نص فيشار إلى ذلك حتى يعرف (وهذا

يقتضى أن تدخل في الذخيرة جميع القواميس وقوائم المصطلحات التي وضعتها الجامعات أو المؤسسات العلمية).

أما الدراسات العلمية فسنتحدث عنها في الفقرة التالية إن شاء الله.

II- مزايا الذخيرة وفوائدها

١- المزايا الرئيسية للذخيرة

وما سيستخرج منها هي كما رأينا:

أما هي الاستعمال الحقيقي للغة العربية لآما تأتي به بعض القواميس من أمثلة مصطنعة.

استفاضتها وشموليتها بتغطية هذا الاستعمال لجميع البلدان العربية، وامتدادها من عهد الشعر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر.

تمثيلها لهذا الاستعمال بوجود كل النصوص ذات الأهمية فيها، المحررة منها والمنطوقة الفصيحة في الأدب والحضارة والدين والعلوم والثقافة العامة والفنون وكذا الحياة اليومية.

اعتمادها على أجهزة إلكترونية في أحدث صورها وهي الحواسيب وما إليها من الوسائل السمعية البصرية وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تجمع وتسع هذه

الكمية الهائلة من النصوص (الملايين من الجمل والألفاظ) والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تجيب عن مختلف الأسئلة بسرعة النور أي في بضع ثوان أو دقائق. والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بعمليات تعالج بها النصوص، وذلك مثل الترتيب الآلي الأبجدي للكلمات والصيغ والجذور وغيرها، والترتيب التنازلي الترددي لهذه العناصر، والترتيب الآلي لمجالات المفاهيم. هذا زيادة عن الاستخراج الآلي لجذور الكلم أو أوزانها الواردة في نص من النصوص. وغيرها من العمليات العلاجية المفيدة.

إمكانية طرح الآلاف من الأسئلة على الذخيرة عن بعد، وفي نفس الوقت عبر العالم (وسرعة الإجابة كما قلنا) بعرضها على الشاشة وإمكانية طبعها بالطابعات بالليزر وغيرها في وقت وجيز، والحصول عليها في أي مكان وذلك بفضل شبكة الاتصالات التي ستخصص للذخيرة إن شاء الله.

٢- أما الدراسات التي يمكن

القيام بها انطلاقاً من الذخيرة وبالنظر في محتواها فيمكن أن تخص اللغة العربية في

ذاتها، لأن الذخيرة هي بمنزلة ما دون من كلام العرب في عهد اللغويين العرب الأولين، فقد جمعوا العدد الهائل من النصوص النثرية والشعرية وأمثال العرب وكلامهم العفوي بالإضافة إلى النص القرآني، وأنطلقوا من هذه المدونة اللغوية العظيمة لاستنباط قوانين العربية وأوصافها من الاستعمال الحقيقي لها، كما استخرجوا منه المعجم العربي. وعلى هذا فإن أنواع الدراسات اللغوية التي يمكن أن تقام على الذخيرة كثيرة جدا، مثل دراسة تطور معاني الكلمات عبر العصور، ودراسة ترددها بالنسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد، ودراسة تردد المواد الأصلية وأوزانها في كتاب واحد أو عدة كتب، ودراسة صيغ الجمل بحسب الأغراض والموضوعات ودراسة أساليب الكتاب في كل عصر، ودراسة اتساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا، ودراسة الأصوات العربية (من خلال الذخيرة الآلية

الصائتة) ودراسة مجالات المفاهيم الحضارية أو العلمية خاصة، ودراسة المترادف والمشتك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معين، ودراسة الغريب والشواذ أفراداً وتركيباً كيفاً وكمّاً، وبالنسبة إلى كل مؤلف أو نص وكل عصر، ودراسة صيغ الجمل وظواهر الفصل والوصل في الخطاب ودراسات في المجاز والاستعارة والكنائية وغيرها من الصور البيانية، ودراسة تطور كل هذا وغير ذلك مما يخص اللغة كلغة قديما أو حديثا وعبر العصور والبلدان(*) كل هذا قد قام به الكثير من العلماء قديما وحديثا، ولكن مزية الاستفادة الزمانية المكانية لمحتوى الذخيرة وآلياتها يسهل على الجميع الخوض في أعماق الواقع التعريفي والاتصالي ومن ثم الفكرى المعيشى للأمة العربية في القديم والحديث. وفيما يخص الميسادين الأخرى غير اللغوية كثير جداً أيضاً، نذكر منها الدراسات التاريخية وخاصة تاريخ

(*) ويمكن أن يخصص جزء من الذخيرة اللهجات العربية إذا وافق على ذلك المشاركون، فيرسل إلى بعض المعاهد العربية المتخصصة القيام بمسح كامل لاستعمال العربية في مستواها اللهجي بالمنهجية المتعارف عليها في هذا الميدان، ويمكن أن تقام على هذه المدونة اللهجية دراسات مفيدة جدا بالنسبة للفصحى والعلم عامة، منها : ١- تحديد القدر المشترك بين الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة في اكتشاف أسماء الحيوانات والنباتات في الأقاليم المختلفة ٢- اكتشاف المصطلحات العفوية الحضارية والحرفية والصناعية والفلاحية وغيرها الجارية في اللهجات ٣- تحديد أوصاف النطق اللهجي ودراسة ظواهر الخلط في اللهجات ٤- دراسة مقارنة بين الفصحى واللهجات (في جميع مستوياتها) .

الحضارة العربية وتاريخ الفكر العربى الاجتماعى والعلمى والدينى وغيرها. وكذلك الدراسات الاجتماعية والنفسية الاجتماعية، بحصر مجالات التصورات الخاصة بكل فئة (من خلال استعمال الألفاظ والأساليب وغيرها) فى كل قطر أو إقليم وعبر العصور ودراسة تفاعلها ومدى تأثيرها وما ترتب على ذلك، وكذلك بالبناء جزئيا على العناصر اللغوية ذات الدلالة ومعرفة مدى اتساع رقعتها ومعرفة ترددها فى الخطابات الرسمية وغير ذلك. وكذا الدراسات الاقتصادية والعمرانية والحضارية من خلال استعمال الناس للغة .

III. وظائف الذخيرة الأساسية

رأينا المزايا التى تمتاز بها الذخيرة فماذا ياترى يمكن أن تقوم بها من وظيفة بناء على هذه المزايا، أو بعبارة أخرى كيف يمكن أن تستثمر الذخيرة وتوظف عمليا؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستفسر لماذا التزمنا بأهم الأوصاف التى سبق أن ذكرت

وهو صفة الحيوية النابعة عن الاستعمال الحقيقى، ثم الصفة الآلية فى مباشرة الذخيرة والتفاعل معها. فهذه بعض الوظائف التى ستقوم بها الذخيرة أو أحد معاجمها:

١- تحصيل معلومات تخص الكلمة

العربية عادية كانت أم مصطلحا.

الأسئلة التى يمكن أن يطرحها الباحث:

١- هل توجد كلمة (س) الآن فى الاستعمال (المكتوب أو المنطوق (أو كليهما) ؟ وأين ظهرت (*) وبأى معنى فى كل واحد من مصادر وجودها وماهى عامة السياقات التى وردت فيها وبالنسبة فقط لكل كتاب أو نص أو بالنسبة لكل عصر أو كل بلد.

٢- هل وردت (س) قديما مع نفس

الأسئلة السابقة؟

٣- ما هو المجال المفهومى الذى تنتمى إليه (س) وهل لها مرادفات وماهى ؟ ثم ما هو المقابل أو المقابلات لها بالإنجليزية أو الفرنسية إن وجدت.

٤- متى وردت لأول مرة بالمعنى الفلانى أو معنى آخر؟ ومتى اختفت لآخر مرة إن

* بذلك تعرف أولا درجة شيوع الكلمة جغرافيا فى وقت معين، وثالثا ترددها بالنسبة إلى عصر واحد أو مؤلف واحد. ويمكن أن يحصر السؤال: هل وردت (س) في العصر العباسي وأين؟ أو عند الجاحظ وأين؟ وما هي السياقات في كل حالة وغيرها من الأسئلة ؟

خرجت عن الاستعمال بهذا أو بهذه المعاني؟ الخ.

٢- تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكلم:

١- هل وردت المواد الأصلية أ ب ج د... في الإستعمال عند مؤلف أو متكلم بخاصة وما هي الكلم التي صيغت عليها واستعملها هذا المؤلف؟

٢- نفس السؤال بالنسبة إلى الصيغ أ ب ج د...

٣- اذكر جميع الكلم التي صيغت على صيغة أ أو ب أو ج أو د مع الإشارة إلى مدلول كل واحد من هذه الكلم (صيغة فُعلة بضم الفاء وسكون العين أو فعالية بفتح الفاء وغير ذلك)^(*)

٣- تحصيل معلومات تخص أجناس الكلم

١- ما هي أسماء الإعلام أو المصادر أو الأفعال الثلاثية أو الرباعية المجردة والمزيدة وغيرها) والصفات الخاصة بمجال مفهومي (الألوان والعيوب وأي حلية) وغير ذلك من أجناس الكلم؟ الواردة في نص معين أو عدة نصوص وعبر الزمان.

٢- ما هو تردد كل واحد منها بالنسبة إلى نص واحد أو عدة نصوص؟ وما هي سياقاتها؟

٤- تحصيل معلومات تخص حروف المعاني

نفس الأسئلة (وإحصاؤها بالنسبة إلى عصر واحد أو نص واحد أو عدة نصوص)

٥- تحصيل معلومات تخص المعرب عامة الذي ورد في الاستعمال.

أسئلة عن قائمة المعربات (وميادينها) التي وردت في عصر معين أو مؤلف معين أو عبر العصور.

٦- تحصيل معلومات تخص صيغ الجمل والأساليب الحية والجامدة منها (والصور البيانية العربية) نفس الأسئلة.

٧- تحصيل معلومات تخص بحور العروض والضروقات الشعرية والزحافات والقوافي وغيرها، وغير ذلك من الأسئلة.

٨- تحصيل معلومات تخص المفهوم الحضاري أو العلمي (البحث عن ألفاظ عربية لتغطية مفاهيم علمية):

(*) وبذلك يمكن أن تعرف المعان الأساسية الشائعة لكل صيغة بدون استثناء .

١- هل توجد كلمة عربية للدلالة على مفهوم معين (خاص بالطب أو البيطرة أو الهندسة المعمارية أو غير ذلك) المعبر عنه بالإنجليزية أو الفرنسية بكذا، وذلك في الإنتاج العلمى العربى المعاصر.

٢- هل يوجد هذا المفهوم وما يقاربه فى نص قديم معين (كتاب من كتب ابن سينا أو ابن الهيثم أو...)؟ وذلك من خلال الكلمة العربية التى جاءت فى الجواب السابق (ويمكن على هذا أن تبين الفوارق الدلالية بين مفهوم الكلمة العربية عند القدماء والمفهوم الحديث بالسياقات).

٣- ما هى الألفاظ العربية التى كانت تدل عند القدماء على مفاهيم ربما لا يكون لها مقابل باللغات الأجنبية (وهو شئ كثير مثل الحركة والسكون وحروف المد فى صوتيات العربية)

٤- ما هى الألفاظ الدخيلة التى لها ما يقابلها فى العربية وماذا كانت درجة شيوع هذه وتلك.

وفى كل واحد من هذه الأسئلة يمكن أن تكون الإجابة مرفوقة بذكر جميع السياقات التى ورد فيها العنصر اللغوى أو

بمجموعة خاصة منها فى عصر أو مؤلف وذكر مصدر كل واحد منها أو كل مجموعة منها (اسم الكتاب والصفحة والجزء وتاريخ الطبع).

ويحسن هنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى الأهمية الكبرى التى تكتسبها السياقات وحصرها باستفاضة فإنها تمكن الباحث اللغوى هى وحدها من تحديد مقصود مستعملها فى فقرة معينة من نصه أو فى أكثر من مكان وقد يكون مقصوده منها شيئاً آخر فى مكان آخر.

وهذا يتعذر أن يجده الباحث فى المعاجم العادية لكثرة المقاصد بل لعدم تناسلها، والمقصود غير المعنى المعجمى العادى، ولا سبيل إلى تحديد المقصود أو المقاصد إلا بالرجوع إلى جميع السياقات التى ورد فيها العنصر اللغوى والمقارنة بينها بالاعتماد على منهجية التحليل الدلالى الذى يعرفه بعض علماء اللسان المعاصرين وعلمائنا القدامى وخاصة أهل التفسير والبلاغيين الأولين. ولا يمكن أن يحصل الباحث على جميع سياقات المفردة فى نص كبير أو فى آلاف النصوص إلا باللجوء إلى ذخيرة آلية

ليس غير (وإلا قضى الباحث في جميع ذلك عمره كله).

ومن فوائد الذخيرة زيادة على شموليتها هو موضوعيتها لأنها مجموعة أحداث كلامية مدونة كما وردت وهي مثل شواهد اللغة والنحو لا يجوز ردها إذا كانت كثيرة في الاستعمال وعلى هذا الأساس يمكن أن تكون كثرة ورود الكلمة واتساع رقعتها (بمعنى من المعاني) أو عنصر لغوي مقياسا موضوعيا لاختيار المصطلحات وإقرارها. فإن كل المقاييس الأخرى مثل خفة الكلمة في النطق وتركيب حروفها وقابليتها للاشتقاق، وعدم تضمينها لمعنى منفور منه أو محظور اجتماعيا وعدم غرابتها، وغير ذلك من المقاييس الثانوية، فإن كل ذلك تستلزمه كثرة الاستعمال وهو إقبال الناطقين الكثرين على استعمال الكلمة لاجتماع كل هذه الصفات الإيجابية فيها. وبذلك تبتعد الجامع وجميع المؤسسات العلمية من الذاتية في اختيار المصطلح الأنسب، بل ويحصل التوحيد المنشود للمصطلحات العربية. فلا ينغلق كل قطر بل كل مؤسسة على نفسها بسبب عدم اكتراث أهل البلد أو أصحاب

المؤسسة بما يروج وما يشذ في استعمال غيرهم للعربية.

وفائدة أخرى للذخيرة أنها تمكن الباحث من تتبع تطور معاني الألفاظ عبر العصور، ولا يمكن أن يتبع أي باحث هذا التطور من خلال مطالعته لجميع النصوص التي ظهرت منذ العصر الجاهلي وأنى له ذلك؟ وقد تستغرق المدة التي يقضيها لتصفح الآلاف من النصوص عشرات السنوات، فالحاسوب هو الوحيد الذي يمكن الباحث من اكتشاف تحول المعاني بأن يضع تحت تصرفه كل النصوص التي ورد فيها بالفعل العنصر اللغوي الذي يهمله ولا يعطيه إلا تلك النصوص فهذا الاختيار للنصوص المعنية لا سبيل إلى تحقيقه إلا باللجوء إلى الحاسوب وحده.

ومن ثم فإنه لا يتصور أبدا أن يوضع معجم تاريخي للغة العربية إلا بالاعتماد على مدونة نصية تغطي كل العصور وكل البلدان العربية. فكيف يمكن أن نضمن شمولية ما يقرره الباحث من التحولات الدلالية إن لم يعتمد على عدد هائل من القرائن والسياقات تنتمي إلى كل عصر. ولهذا كانت المحاولات لوضع مثل

هذا المعجم قاصرة أو جزئية تقتصر على عصر واحد، أو على عدد محدود جداً من المصادر.

IV- أوصاف المعجم الجامع لألفاظ اللغة

العربية المستعملة

يستخرج هذا المعجم كما قلنا من الذخيرة الآلية فهي المصدر من المعطيات التي ينطلق منها ويعتمد عليها الواضعون لهذا المعجم الكبير، فإنه لا يختلف عن الذخيرة إلا بالترتيب الأبجدي وغيره لمحتواها المعجمي وبالدراسات والتحليلات الخاصة بكل مدخل من مداخلها فكل مفردة ثبتت في الذخيرة (في نصوص معينة) فلا بد أن يحرر لها بحث لغوي مستفيض.

إن لهذا المعجم الآلي عدة أشكال فهو ينقسم قبل كل شيء إلى مجموعات مرتبة لألفاظ الذخيرة، ثم إلى معجم موسوعي لغوي يخصص لكل لفظة دراسة علمية مستفيضة.

أما المجموعات المرتبة فهي عبارة عن جذاذات آلية كل واحدة منها تختص بترتيب معين وهي بحسب الترتيب كالتالي:

١- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من اللفظ)

٢- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).

٣- ترتيب بحسب تردد الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص) وتجزأ إلى ترتيبات بحسب العصور وفي مرحلة أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب النصوص.

٤- ترتيب بحسب شيوخ الكلمة أي ذيوخها في البلدان العربية في الوقت الراهن وفي كل حقبة (٥٠ سنة) مما مضى.

٥- ترتيب بحسب العلوم والفنون. وعنصر آخر للمعجم هو الخرائط الجغرافية التي تبين فيها ذيوخ الكلم العربية في مختلف الأقاليم (وكذلك في مرحلة أخرى ذيوخ التنوعات الصوتية في الأداء وغير ذلك).

أما المعجم المحرر فسيكون على غرار ما وضع من الذخائر اللغوية للفرنسية أو الإنجليزية فهو موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثاً حول كل لفظة فكل بلب أو مدخل من هذا المعجم يحتوى على ما يلي:

١- تحليل دلالي للفظ انطلاقا من

السياقات وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك بـ:

- التوضيح الدقيق:

. للمعنى الوضعى للمادة الأصلية (الجذر).
. للمعنى الوضعى والمعانى الفرعية لكل
كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين
المعانى الفنية وغير الفنية).

- ذكر المقابل الإنجليزى والفرنسى لكل

كلمة إن وجد أو ما يقرب منه مع بيان
الفوارق التصورية.

٢- تعليق نحوى صرفى وجيز (وصوتى

وهجائى إن اقتضى الحال)

بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو
قدما (مع ذكر المراجع)

٣- تعليق تاريخى للمادة وفروعها

(انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة
بينها):

- بيان أصل الكلمة إن كانت من
الدخيل وتفسير تكيفها.

- ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة فى
النصوص التى لدينا (الأصيلة
والدخيلة).

- ذكر تاريخ أول تحول دلالى للكلمة
(والسياقات التى ظهرت فيها المعانى
المستحدثة).

- ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت
فى الاستعمال.

- وصف إجمالى تفسيرى للتطور اللفظى
والدلالى للكلمة.

- بيان نظائر الكلمة فى اللغات السامية
(مع ذكر المواد الأصلية)

٤- ذكر درجة تردد الكلمة بحسب
العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية أو
الأدبية إن اقتضى الحال.

٥- بيان شيوع الكلمة الجغرافى (بحسب
العصور أيضا)

٦- ذكر المتجانسات والمترادفات
والأضداد إن وجدت للكلمة.

٧- ذكر الدراسات التى خصصها
العلماء لها قديما وحديثا إن وجدت.

٧- كيفية إنجاز الذخيرة : اقتراح منهج -
معين

١- الكيفية المثلى والأقل تكلفة

- مبدأ المشاركة الحرة

نظرا للضخامة المهولة التى تتصف بها
الذخيرة، وبالتالى ضخامة الجهد المطلوب
والتكاليف الباهظة التى يتطلبها إنجاز مثل
هذا العمل الجبار، ومن ثم أيضا عدم وجود
أى منظمة فى العالم تستطيع أن تتكفل

بإنجاز هذا المشروع، فإن المشاركين في الندوة الأولى التي عقدت في الجزائر من أجل إرساء المبادئ الأساسية لإنجاز مشروع الذخيرة (في جوان * ١٩٩١) قد أجمعوا على ما بدا لهم بأنه الحل الأنسب وهو إشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية العربية في إنجاز المشروع على أساس التمويل الذاتي. فكل مؤسسة علمية في الوطن العربي مثل الجامع اللغوية والجامعات بكلياتها ومعاهدها ودوائرها المتخصصة، ومراكز البحوث والشركات ذوات النشاط العلمي أو التقني والتطبيقي ترغب في المشاركة في إنجاز جزء من العمل تختص به دون غيرها، فعليها أن تخصص في ميزانيتها بنداً لإنجاز الجزء المخصص لها في كل سنة حتى ينتهي العمل .

- تكوين الفرق وإعداد التجهيز اللازم

كما اقترحت الندوة الأولى العدد الأدنى من الوسائل البشرية والمادية التي ينبغي لكل مؤسسة متطوعة توفيرها من اعتماداتها المالية وهي كالتالي:

١- إنشاء فريق من الممارسين والاختصاصيين يفرغ بعضهم أو كلهم للمشروع ويمكن أن يتكون من خمسة إلى

* جوان : هو شهر يونية .

عشرة ممارسين يكلفون بإدخال المعطيات في ذاكرة الحاسوب (أى تفريغ الكتب والدراسات والخطابات وغيرها في الأقراص الذاكرة). ويشرف عليهم مهندس في الحاسوبيات من الناحية التقنية ودكتور في اللغة العربية.

٢- اقتناء مجموعة أجهزة تتكون من خمسة إلى عشرة حواسيب صغيرة (ميكرو) وعدد كاف من الركائز الذاكرة المنقولة (الأقراص) وإن أمكن اقتناء آلة ماسحة للقراءة الآلية للنصوص (سكانير) وهذه الآلة تجعل الفريق يستغنى عن الملامس التي يدخل بواسطتها المعطيات مثل الآلة الكاتبة، وبالماسحة ستوفر الكثير من الجهود ومن المال لدخول المعطيات في الذاكرة بكيفية آلية.

وكلما كثرت الوسائل-في حدود هذه الأعداد الدنيا- كان المردود طبعاً أكبر والعمل التخزيني أسرع وأفيد وأصح. وكل هذا قليل في حق لغة القرآن .

٣- توزيع الحصص

لكل مؤسسة الحق في أن تختار المعطيات التي تريد تخزينها وهي بذلك أولى ولها أن تختار بعض أمالي أساتذتها

ودراسات باحثيها والكتب والمنشورات التي يرتبط محتواها بتخصصها أو اهتماماتها عامة، وذلك لتمكين من استثمارها وعلاجها كمعطيات علمية للاستفادة منها بمجرد ما يتم تخزينها لها، وهذا سيكون حافزا لها في العمل التخزيني .

ونقترح بهذا الصدد المبدأ التالي:

تتكفل كل مؤسسة تشارك في إنجاز المشروع بتخزين عدد من الكتب التراثية تقترحها اللجنة المؤقتة للمشروع من بين المؤلفات التي تعالج موضوعات لها علاقة باختصاص المؤسسة . وذلك لمدة خمس سنوات، وعلى هذا الأساس تقترح اللجنة المؤقتة للمشروع مخططا عاما يشتمل على قائمة عامة للكتب التراثية والمعالج اللغوية والاصطلاحية وغيرها من الوثائق مما ينبغي أن يحزن في ذاكرة الحواسيب وقوائم التخزين .

أما فيما يخص الخطابات المنطوقة مثل المحاضرات العلمية في الجامعات وغيرها والمحاضرات العمومية المهمة في شتى الموضوعات، كالأدب ومختلف الفنون (المسرح والسينما وغيرها) والرياضة والخطابات السياسية والاجتماعية المهمة

وغيرها مما هو منطوق فنرجو من المؤسسات المتخصصة الراغبة في تدوين المحاضرات الشفاهية، وكذا المؤسسات التي تهتم بتسجيل الخطابات الشفاهية أن تخبر اللجنة المؤقتة باستعدادها للمشاركة في تدوين المعطيات المنطوقة بعد تسجيلها.

٤- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه

تنشأ لجنة محلية دائمة في كل دولة من الدول العربية التي تتواجد فيها مؤسسات علمية مشاركة، وتتكون من ممثل واحد لكل مؤسسة، وينتخب هؤلاء الممثلون رئيسا للجنة لمدة خمس سنوات (بحسب مدة التخطيط المشروع)

وتكون مهمة اللجنة المتابعة العلمية والفنية للعمل والتنسيق بين المؤسسات المشاركة، ودورها الرئيسي ينحصر في السهر على استمرار العمل في أحسن الظروف، وبالنوعية المطلوبة، وذلك بتبادل الآراء والخبرات واقتراح الحلول للمشاكل الطارئة وخاصة التقنية منها، وكذا تفادي التكرار لنفس العمل بين مؤسسة وأخرى في داخل البلد الواحد. وتجتمع كل لجنة في كل بلد مرة واحدة في السنة على الأقل، وتقدم على أثرها تقرير للجنة العامة.

وتنشأ لجنة عامة دائمة على مستوى الوطن العربي تتكون من رؤساء اللجان المحلية، وينتخب هؤلاء رئيساً لهم لمدة خمس سنوات.

هذا ومن المعروف أن تخزين النصوص في ذاكرة الحواسيب هو عمل قد بادر إلى ممارسته عدد من الباحثين العرب والمؤسسات أو الشركات منذ زمان، وذلك مثل الشعر الجاهلي المنشور، والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والمعاجم الاصطلاحية وغير ذلك . ولهذا نرجو من المؤسسات العلمية أن تتكرم بإعلام اللجنة إن كانت تقوم بعمل مثل هذا أو قامت بها فيما مضى. وستقوم اللجنة بدورها بإحصاء

جميع الأعمال التخزينية التي تمت في الوطن العربي أو هي بصدد الإنجاز . ونأمل أن نتجنب بذلك تكرار الأعمال إن شاء الله. وستقام شبكة اتصالية بين المؤسسات لتبادل المعلومات في هذا المشروع، وسيخصص مركز البحوث والدراسات العلمية السوري من جهة ومركز البحوث العلمية والتقنية الجزائرية للغة العربية من جهة أخرى جهازاً حاسوبياً كاملاً لتجميع كل ما سينخزن في مختلف البلدان العربية.

عبد الرحمن الحاج صالح
عضو المجمع المراسل من الجزائر

الأسماء العربية لأجناس الحيوان وأنواعه *

للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

أسماء الأعيان، ومنها أسماء أنواع الحيوان ، هي في جوهرها رموز يُتفق عليها للدلالة على كل عين بذاتها ، حتى إن تجردت ألفاظ تلك الرموز من أى معنى مرتبط بذواتها. والمهم أن تكون تلك الرموز محدّدة ، معروفة بين مستعمليها، لا يكتنفها تداخل أو غموض.

والاسم - على إيجازه وبساطته وتجرّده - ينقل إلى سامعه أو قارئه صورة مركبة. من شتى الأوصاف والتفاصيل ، بل إنه قد يستدعى إلى وعيه ألوانا من الأحاسيس والمعلومات المحفوظة في ذاكرته. فالاسم ، على هذا النحو ، هو المسمّى ، كما يقولون. وهذا هو بعض ما نستشعره حين نقرأ قوله تعالى: "وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا..." (البقرة: ٣١) ، على أرجح ما قاله المفسرون.

ونشأت أسماء الحيوانات في المجتمعات الإنسانية المختلفة ، وأصبح لكل قوم "قاموس" لرموزهم ، حفظوه في صدورهم وتوارثوه ، ثم سجّلوه ، منقوشا أو مكتوبا ، في أزمنة تالية من تاريخهم. وكان الطبيعي أن تختلف القواميس.

ولما أراد الناس أن يدرسوا أنواع الحيوان دراسة علمية وضعوا لكل نوع تعريفا طويلا ، للاقتراب من التحديد العلمى المطلوب. ولكنهم ما لبثوا أن ضاقوا ذرعا بثقل هذه التعريفات، حتى خلّصهم منها ، في أواسط القرن الثامن عشر ، الشاب السويدي الأملعى كارل لينيوس ، فابتدع "التسمية الثنائية" لأنواع الأحياء ، التي تقضى أن يسمّى كل نوع منها باسم جنسه يليه اسم نوعه ، وكفى. وكانت هذه الأسماء العلمية لاتينية أو ملّتنة. فالأسد ، مثلا *Felis leo* (**) ، أما الببر والقط الأليف فيتفقان معه في جنس السنابير أو القطط *Felis* ، ويختلفان عنه في الشق الثانى من اسميهما: فالببر *Felis tigris* والقط الأليف *Felis domestica* ، وهكذا .

وفرّح العلماء بهذه الطريقة الجديدة البسيطة ، وانطلقوا يسمّون الحيوانات وفقا لأسلوبها . ولكن سرعان ما عمّت

* ألقى هذا البحث في الجلسة الثامنة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ ، الموافق

٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

(**) على الرأى المشهور .

الفوضى ، فقد اتضح أنه لابد من وضع قواعد لتنظيم إطلاق تلك الأسماء. ونشطت الهيئات والجمعيات العلمية في أوروبا يضع كل منها قواعده ، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن هذا لا يكفي ، وإنما يجب أن تكون هذه القواعد عالمية متفقاً عليها دولياً. وهنا انعقد المؤتمر الدولي الأول لعلم الحيوان في باريس عام ١٨٨٩ ووضع مجموعة من القواعد ، أخذوا ينقحونها حتى أقرها المؤتمر الدولي الخامس المنعقد في برلين عام ١٩٠٢ ، فظهرت الطبعة الأولى من قانون التسمية الحيوانية عام ١٩٠٥ ، وظلت سارية نحو ٧٠ عاماً حتى نقحها المؤتمران الدوليان الخامس عشر (في لندن عام ١٩٥٨) والسادس عشر (في واشنطن عام ١٩٦٣) ، فظهرت الطبعة الثانية من القانون عام ١٩٦٤. أما الطبعة الثالثة فقد ظهرت عام ١٩٨٥ ، بعد أن أقرته هذه المرة الجمعية العامة للاتحاد الدولي للعلوم البيولوجية التي عقدت في هلسنكي عام ١٩٧٩. وهذا القانون يضم "تقنيا" - كما علمنا الأستاذ الدكتور أحمد عز الدين عبد الله - فيه سبع وثمانون مادة مفصلة ، وستة ملاحق.

وعالم الحيوان الأصيل يجب عليه أن يلم إماماً حسناً بهذا التقنين ويلتزم التزاماً دقيقاً بقواعده الصارمة. أما الجهة القضائية التي تحكم فيما قد ينشأ بين العلماء من خلاف أو حل ما قد يصادفهم من مشكلات في تطبيقهم القانون ، فهي اللجنة الدولية الدائمة للتسمية الحيوانية ، ومقرها لندن. ومن أبرز مبادئ هذا القانون أنه لا يكون للجنس الواحد أو النوع الواحد من الحيوان إلا اسم علمي صحيح واحد ، وأنه إذا تعددت الأسماء تكون الأحقية لأسبقها نشرأ وفقاً لأحكام القانون ، ويكون حق التأليف لصاحب ذلك الاسم. ومنها أيضاً أنه لا يطلق الاسم المعين إلا على جنس واحد أو على نوع واحد ، فإذا تعدد السميون استقل بالاسم الجنس أو النوع الذي أطلق عليه ذلك الاسم أولاً ، وكان على العلماء أن يجدوا أسماء بديلة للمنافسات الأخرى. ويترتب على هذين المبدأين أنه لا يتكرر اسم الجنس في عالم الحيوان أبداً ، وأنه لا يتكرر البتة اسم النوع في الجنس الواحد. ومشاكل ترادف الأسماء وتطابقها من أعقد مشاكل المصنفين.

والتحديد العلمى الدقيق لمدلولات
 الأسماء كثيراً ما تكون له أوجه كثيرة من
 الأهمية. فمثلاً ، ما هى "السُّلوى" التى
 أنزلها الله على بنى إسرائيل فى التيه بين
 مصر والشام؟ أرجح أقوال المفسرين إن
 السلوى هى الطيور المعروفة بالسُّمَّانَى.
 وهذا هو ما يراه القزوينى فى "عجائب
 المخلوقات" وواضعو "قاموس الكتاب
 المقدس" أيضاً. أما الدِّميرى فقد نقل فى
 موسوعته البديعة عن ابن
 سيده: "السلوى: طائر أبيض مثل
 السُّمانى...". وذكر المعلوف ، فى معجمه
 القيم عن الحيوان ، أن "السلوى" التى
 تكلم عنها الدميرى طائر آخر ، لعله
 الواق الصغير الذى يسمَّى "السلوى" فى
 حلب ، أو الصُّفرد الذى يسمَّى أيضاً
 "السلوى" فى لبنان. ولكن هذا التشكك
 الذى أثاره الدِّميرى قد تسرب إلى "معجم
 ألفاظ القرآن الكريم" لجمعنا ، الذى جاء
 فيه أن السلوى "طائر يشبه السُّمانى".
 وهناك من الدلائل القوية ما يرجِّح أن
 سُمَّان بنى إسرائيل هى النوع المعروف
 باسم "السُّمانى" *Coturnix coturnix*.

وكلما فكرتُ فى الأسماء العريضة
 للحيوان تطوف بذاكرتى قصة طريفة
 مشهورة عن أبى العلاء ، فلما أردت
 توثيقها خفَّ إلى نجديتى أخى الكريم
 الدكتور محمد يوسف حسن ، حبيبُ أبى
 العلاء ، فأمدنى بكتاب أحمد تيمور باشا
 عن أبى العلاء ، الذى قدَّم له المجمعى
 العلامة الدكتور بدوى طبانة ، فوجدت
 فيه الخبر اليقين. وذلك أن عبقرى المعرَّة
 دخل على مجلس الشريف أبى القاسم
 المرتضى ، وهو ببغداد ، فلما تقدم عثوت
 قدمه بأحد الجالسين ، فصاح الرجل
 الصِّلَف: من هذا الكلب؟

ولم يكن هذا الرجل - الذى نسى
 التاريخ اسمه - سيِّئ الخلق فحسب ، بل
 إنه كان سيِّئ الحظ أيضاً ، فإن عشرة لسانه -
 كانت أضرب به من عشرة قدم أبى العلاء ،
 الذى ردَّ عليه فى ثقة واعتداد بالنفس :
 الكلبُ من لا يعرف للكلب سبعين اسماً!
 فأفحم الرجل وسُقِط فى يده . وسمع
 المرتضى ردَّ أبى العلاء فأدناه واختبره ،
 ولما وجده عالماً فطناً ذكياً ، أقبل عليه
 إقبالا كثيراً. ولا تحكى القصة أن أبا العلاء
 ذكر أسماء الكلب السبعين فى ذلك المجلس.

ولكن هذه السُّبَّة ظلت قائمة ، على أية حال. وتصدَّى لهذا التحدَّى "بلدياتي" جلال الدين السيوطي، بعد ذلك بأكثر من أربعة قرون ، فألف أرجوزة أسماها "التبري من معرة المعري" تضمنت سبعين اسماً للكلب، وأوردها أحمد تيمور في كتابه وشرحها ، بعد أن رجع إلى القاموس واللسان والمخصص وحيوان الجاحظ ، وحياة الحيوان الكبرى للدُميري وغيرها ، ثم استدرِك عليها.

وقد فحصت هذه الأسماء فوجدتُ منها ما يصف الكلاب ببعض ألوانها ، كالباقع والأبقع والأعنق ؛ أو وفقاً لأحجامها ، كالعُربَج والفرني للضخام ، والقُطْرُب أو القُطْرَب للضئال ؛ أو بعض خصائصها ، كالدرباس للعقور والعواء والصُّمات ؛ أو نسبةً إلى بلد ، كالسُّلوقي والنَّصيبسي ، ومنها أيضاً الدُّرس (مثلثة الدال) والجُرو (مثلثة الجيم) لأولاد الكلاب. وفي القائمة أسماء لهجائن حقيقية أو متوهمة بين الكلب والدُّب والثعلب بل والدُّب أيضاً ، كالسَّمع والدَّيسم . بل إن فيها أيضاً: الهراكلة والقنيس والقضاعة، وهي لو اُسمت تعرف في العربية بكسلاّب

الماء، ليست من جنس الكلب *Canis* ، بل ولا حتى من فصيلته *Canidae* ، وإنما هي من فصيلة السراغيب أو بنات عرس *Mustelidae*. وتضم القائمة أيضاً خمسة عشر اسماً لبنات آوى *jackals* ، وهي بضعة أنواع من جنس الكلب ، ولكنها ليست من الكلاب أو الذئاب. وقد زاد أحمد تيمور على قائمة السيوطي خمسةً وثلاثين اسماً للكلاب وبنات آوى وأولادهما وكُنَى ذكورها وإناثها ، وأكثر من عشرين علماً لكلاب مشهورة في كتب التراث.

وهذا الولع الشديد بالمكاثرة في أسماء الحيوان ، مع الشعور بالزهو بسعة العلم اللغوي وثرأ اللغة العربية نفسها ، فيه كثير من التغالي ، ولا يبرأ - كما رأينا - من التخليط ، ولكنه قد نفعنا - بعد تمحيصه - في وضع المقابلات العربية لأسماء سلالات الكلب أو أصنافه التي لُجِح في استنباطها المرهُون ، وتربو على المثة ، وهي كلها أصناف من نسوع الكلب المألوف أو المستأنس *Canis familiaris*. وهذا الأمر ليس مقصوراً على الكلب. فالدميري ، مثلاً ، يبدأ موسوعته

الفريدة قائلا إن للأسد أسماء كثيرة ، وإن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ونقل عن ابن خالويه أن للأسد خمسمئة اسم وصفة ، وذكر أن علي بن القاسم بن جعفر اللغوي زاد عليها مئة وثلاثين اسما . وذكر الدميري من هذه الأسماء خمسة وعشرين ، ولكنة - لحسن الحظ - لم يسب من يجهل سائرهما . وقل مثل ذلك أو بعضه عن الإبل والخيول والذئاب ، وغيرها . وهم يخلعون على الحيوانات المشهورة شتى الكنى ، فالثعلب أبو الحصين وأبو نوفل ، والذئب أبو جعدة ، والهدهد أبو الأخبار ، وهكذا .

وعندنا في الطرف الآخر من تراثنا اللغوي ، أسماء لانكاد نحدد لها مسمى . وذلك من قبيل : "الجلف" : طائر معروف ؛ و "الحرقصى" : دويبة ؛ و "الحرقوفة" : دويبة من الحشرات . و "دويبة" لا تعنى إلا كائنا صغيرا يدب على الأرض ، فهي لا تكاد تفيد إلا الحيوانية وصغير الحجم ، وتتسع حتى تشمل القنافذ من الثدييات ، مثلا . وهذا بعض مما يُحال إلى لجنة علوم الأحياء من لجنة المعجم الكبير ، في حرصها المشكور على التحقيق والتوثيق

والشمول . ولكننا كثيرا ما نعتذر ، في مثل هذه الأحوال ، عن عدم تمكننا من الاستدلال على تحديد مسميات تطمئن إليها نفوسنا . وأمثال هذه الأسماء كأنها تقابل ما يدعو قانون التسمية الحيوانية "أسماء عارية" (*nomima nuda*) ، أى أسماء أصبحت بلا مسمى ، سوف تظل محفوظة في كتب اللغة التراثية ، كما أننا نرى أن تسجل كما هي في المعجمات الحديثة الواسعة ، كالمعجم الكبير ، إلى أن يُهتدى إلى تحديد مسمياتها ، في ضوء بعض الشواهد والقرائن ، أو أن تخصص لمسميات محددة ، وهذا - فيما نظن - أولى من الابتداع ، وفيه إحياء لتلك الألفاظ .

ولكننا نوفق في أحوال أخرى ، بفضل الله ، إلى التوصل إلى تحديد علمي مقبول معتمد على شئ من الاجتهاد والتأويل . ويكفى أن نضرب لذلك بعض الأمثلة :

١- الجَلَعَلَعَة : "خنفساء زعموا أن نصفها طين ونصفها حيوان" . ونستطيع أن نتقصى أصل هذه الخرافة : فالمعروف أن الجعلان حشرات من غمديات الأجنحة

تُعَدُّ من الخنافس ، وأن من أنواعها جعلان الروث ، التي تصنع إناثها كرات كبيرة من الروث (أو "الجعر") لتضع فيها بيضها، ثم تمسك بها وتدحرجها أمامها ، فتبندو وكأن نصفها من الطين ، ولذا تكتنى بأبي جعران وتعرف بالجعارين. ولذلك نستطيع أن نلحق بالتعريف المأثور قولنا: "ويحتمل أنها أنثى الجعل بكرة الروث التي تضع فيها بيضها".

٢- جمل البحر: ينقل الهميري عن ابن سيدة أنه "سمكة طولها ثلاثون ذراعا" ، ويشير إلى حديث أبي عبيدة ، رضى الله عنه ، أنه أذن في أكل جمل البحر ، وهو سمك شبيه بالجمل. ثم يشير أيضا إلى رجز للعجاج مذكور في كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ. ويقول صاحب القاموس إنه "سمكة طولها ثلاثون ذراعا". أما المعلوف، في معجم الحيوان، فيدور مئة وثمانين درجة ويقول، نقلا عن جفروى ، إن جمل الماء "نوع من السمك صغير رقيق جدا كأنه الشفرة" ، ولكنه يضيف ، وهو أيضا حوت عظيم اسمه الكُبع. وعن الكعب، ينقل الهميري عن ابن سيدة أن الكُبعَة: دابة من دواب البحر.

ويتجه الفكر بعد هذه الجولة إلى حوت طوله ثلاثون ذراعا يشبه الجمال. ويتركز النظر في الحوت الأحدب (humpback whale) ، له زعنفة كالسنام ، ويبلغ طوله بين ١٥ و ١٩ مترا. والذراع الهاشمية تساوى اثنتين وثلاثين إصبعاً أى ٦٤ سنتيمترا. وعلى هذا تكون الثلاثون ذراعا مساوية لتسعة عشر مترا. وهكذا نستطيع في النهاية أن نقول ، بدرجة مقبولة من الرجحان ، إن جمل البحر هو الحوت الأحدب *Megaptera novaeanglia* من فصيلة *Balaenopteridae* . ويؤيد هذا الرأى أن الحوت الأحدب يجوب المحيطات كلها، ومن ثم كان متاحا لأن يراه العرب.

٣- الجيهر: لانجدها عند الهميري ولا عند المعلوف ، ولكن القاموس المحيط يفسرها بأنها: "الذباب الذى يفسد اللحم". ونستطيع أن نعتمد على هذا في قولنا: الجيهر اسم يدل على أنواع الذباب من جنس *Sarcophaga* من فصيلة *Sarcophagidae* (أى: آكلات اللحم) ، من رتبة الحشرات ذوات الجناحين ، يضع يرقاته في اللحم أو في جثث الحيوانات أو

في الجروح المكشوفة، حيث تحلل اللحم وتذيقه لتغذى به.

٤-الحصائيات: "ضرب من الطير ، يصيد الذباب اختطافا واختلاسا". وينطبق هذا الوصف على أنواع كثيرة من الطيور منها جنسُ خاطف الذباب *Muscicapa* الذي يضم أكثر من عشرين نوعا. تعيش في آسيا وإفريقيا وأوروبا ، وتصيد الذباب وغيره من الحشرات وهي طائفة .

وتسجل كتب اللغة حالات صارخة من الكائنات السَّمِيَّة ، فتذكر مسميات متعددة لبعض الأسماء ، فمن ذلك: "الأطوم" ، فهو سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، والزرافة ، والبقرة ، والصَّدف ، والقنفذ (المعجم الكبير ، الجزء الأول ، ص: ٣٥٤). ولكن المعجم الكبير يضيف إلى هذه المعاني تخصيصا حديثا ، فيقول: "وفي علم الأحياء: حيوان بحري من الفصيلة الأطوميَّة ، من رتبة الخيلان ، أى بنات الماء ، من الثدييات... إلخ". والمعجم لا يبرر هذا التخصيص ، الذي يبدو كأنه لون يجوز أن نصفه بالاعتساف الاصطلاحي المقبول. فهذه الحيوانات ، التي تعرف أيضا باسم "بقر البحر" و

"عرائس البحر" ، لها جلد غليظ كجلد السلحفاة ؛ فالمعجم الكبير يذكر أن البقرة [أى بقرة اليابسة ، من الأنعام] سُميت أطوما على التشبيه بالسلحفاة البحرية لغلظ جلدها. ولكنني وجدت سندا آخر تحت اسم "الحنفاء" - في جزء آخر من المعجم - التي من معانيها: "سلحفاة الماء"، و "سمكة بحرية ، يقال لها الأطوم ، وهي سمكة في البحر كالملكة". ومن المعروف أن عرائس البحر ثدييات تشبه الأسماك شبيها ظاهريا. ولكن العجيب أن كتابا مترجما عن الحيوانات اللاقارية ، يطلق اسم "الأطوم" على حيوانات قشرية (barnacles) تلتصق بالصخور والسفن والحيوانات وغيرها من الأجسام المغمورة في ماء البحر ، وتفرز قشورا جيرية . سميكة (رالف بكسباوم، ١٩٦٠). ولعل المترجم - رحمه الله - تعلق بشأن من معاني الأطوم "الصدف" ، كما تقدم ، ولكن الأفضل أن يُعَرَّبَ هذا الاسم إلى "برنقيات" ، إذا لم نعثر على اسمها في ذخيرتنا العربية.

وقد أثار الضفدع الشائعة في مصر ، والتي يدرس تشريحها كل طالس

لعلم الحيوان في مصر ، مشاكل لغوية علمية معقدة . على هامشها أولا ضبط الاسم : المفرد : ضفدع ، وضفدع (وينقل الدميري عن ابن الصلاح أن أشهرهما من حيث اللغة كسر الدال ، أما فتحها فهو أشهر في السنة العامة وأشبه العامة من الخاصة ، وقد أنكره بعض أئمة اللغة) وهي أيضا : ضفدع ، وضفدع ، وضفدع ؛ والجمع فيها كلها : ضفادع ، وضفادى .

والضفادع ، بصفة عامة ، برمائيات بترافات قوافز ، تنقسم قسمين : مجموعة جلدها رطب أملس ، ورجلاها الخلفيتان طويلتان ، وبطرف لسانها ثلثة ، ومعظمها مائى . وتعرف أنواعها الكثيرة (نحو ٥٠٠ نوع) في الإنجليزية باسم frogs وتنسب إلى الجنس *Rana* والفصيلة الرانية *Ranidae* أما المجموعة الثانية ، فجلدها جاف نحشن ذو ثآليل ، وبه غدد تفرز سما ، ورجلاها الخلفيتان أقصر ، ومعظمها أدرد الفكين . ويعيش معظم أنواعها — في طور البالغ — على اليابسة أو في الطين . وتعرف الأنواع الكثيرة من هذه المجموعة (نحو ٣٠٠

نوع) في الإنجليزية باسم toads ، تنسب إلى الجنس *Bufo* وأجناس أخرى من الفصيلة البوفوية *Bufo*.

فعندنا في الإنجليزية إذن : toads وfrogs (وفي الفرنسية grenouilles و crapauds) وكان علينا أن نجد لفظين مقابلين لهما في اللغة العربية . أما frogs فقد حظيت باسم "الضفادع" الشائع على الألسنة ، وإن لم تكن هى البرمائيات الشائعة في مصر ، مثلا . وأما toads فقد أسماها بعض المؤلفين "العلاجيم" ، وانتشرت هذه التسمية في بعض المؤلفات الجامعية باللغة العربية .

فإذا رجعنا إلى معنى "علاجيم" في كتب اللغة ، وجدنا في القاموس ، مثلا ، : "الضفدع الذكر ، والقراد ، والظبي الآدم ، والظليم ، والكبش ، والوعل ، والثور المسن ، والبطة الذكر ، وطائر أبيض ، والماء الغمر الكثير" . يأخذ الوسيط بعض هذه المعاني ويزيد عليها : "الأتان الكثيرة اللحم" . ولا يورد الدميري "العلاجيم" في موسوعته ، ولكنه يذكر في مدخل "ضفدع" أن العلاجيم هو ذكر الضفدع . ويبدو أن هذا هو أشهر المعاني ، وهو المعنى

الأول في القائمة الطويلة التي أوردتها
القاموس ، فهو اختيار له ما يبرره.

أما ترجمة toads بعلاجيم ، فالذى
ابتدعها هو المعلوف ، في معجمه القيم ،
حيث يقول إن معنى العلجوم الضفدع
الذكر ، ولكنه يضيف (ص: ١٠٩): "...
وأرى أن العلجوم حيوان آخر من الرتبة
نفسها". (وموضع التساؤل ليس حيوانا
واحدا). ويوضح في موضع آخر:
(ص: ٤١) وجهة نظره قائلا: "... ولاشبهة
أنهم أرادوا في قولهم الضفدع الذكر أنه
جنس من الضفادع الكبار لا أنه الذكر
بالمعنى المفهوم. وهذا الاستعمال كثير
عندهم". وأرى أن المعلوف قد جانبه
التوفيق في هذا التخريج. فليس كل
حيوانات المجموعة الثانية (toads) أكبر
أحجاما من حيوانات المجموعة الأولى ، ثم
إن الضفادع من الحيوانات التي تتميز
ذكورها من إناثها تميزا واضحا ، فهي التي
تنق دون الإناث ، فضلا على بعض
الفروق في الشكل. (وكذلك الحال في
البط ، فذكوره في معظم الأنواع أجمل
وأهين ريشا من إناثه ، وإلا لزم أن نقول
- على هذا القياس - إن العلجوم هو نوع

أو جنس معين من البط أيضا). فواضح أن
العلجوم اسم للذكر ، كالديك والثور
والكباش ، ونحوها.

وقد فكرت في الأمر منذ سنين ،
فلم أجد مندوحة من تعريب toads إلى
"تودات". وهكذا يكون عندنا ضفادع
وتودات ، فلسنا أقل فطنة ودقة من الذين
يفرقون بين هاتين المجموعتين في اللغات
الأخرى. وقد أعلنت هذا في عملين
بناكرين (في الموسوعة
الذهبية: ٦٣/١٩٦٤ ، وفي موسوعة
الأهرام: ١٩٦٤). والذي يؤيد هذا المنحى
أن لفظ toad في الإنجليزية اسم جامد من
اللغة الإنجليزية القديمة ، وليس له معنى
يترجم. وليس تعريب الأسماء في عالم
الحيوان بغريب ، فأسلافنا قد أدخلوا ،
مثلا: الأخطبوط ، الإسقمري ، الأنكليس ،
البلبل ، الجرّي ، السقنقور ، القريدس ،
والقندس.

وهذه التفرقة بين الضفادع
والتودات واجبة في الكتابات العلمية ،
على وجه الخصوص. أما في الحديث
العادي فيمكن استعمال لفظ "ضفدع"
و"ضفادع" للإشارة للبرمائيات البتراوات،

بصفة عامة. وشبيه بهذا قَدَرْنَا في ترجمة مجموعتي حرشفية الأجنحة: الفراش وأبي دقيق ، ففي كلامنا المعتاد ، ونثرنا، وشعرنا، لا نتحدث إلا عن الفراشات. بل حتى في الأسماء العلمية التي لا يقصد فيها التفرقة بين المجموعتين ، نستعمل لفظ "الفراش" أيضا لترجمتنا لاسم butterfly fishes إلى الأسماك الفراشية ، دون حرج. وعكس ما ذكرناه بشأن التودات، حدث عند ترجمة لفظ "skunks" التي تدل على أنواع من اللواحم الأمريكية لها غدتان عند قاعدة الذيل ، تنقبض العضلات المحيطة بهما ، إذا أثير الحيوان ، قاذفة إفرازها السائل رذاذاً دقيقاً له رائحة خانقة كريهة لا تطاق ، تقزّر النفس وتثير الغثيان ، كما أن له فعلاً كاوياً قد يصيب العينين بعمى مؤقت. ويحرص الحيوان على ألا يعلق بجسمه من هذا الإفراز شيء ، ويمضى "طاهر الذيل" بعد أن يفعل فعلته النكراء . وهذه الأنواع تشبه أنواعاً أخرى مماثلة في العالم القديم، منها ما يعرف في مصر والسودان بأبي عفن وأبي المثنى (مع أنه لا ينفرد بهذه الوصفة)، وفي بلاد العرب باسم الظربان (عبد الحافظ حلمي

محمد، ١٩٦٥)، ويعرفه الدميري بأنه "دويبة فوق جرو الكلب ، منتنة الريح ، كثيرة الفسو!" وهكذا كان من الطبيعي أن يسمى المألوف الـ skunks "الظربان" الأمريكية" (معجم الحيوان ، ص : ٢٣١). وكذلك نلجأ أحياناً إلى ترجمة معاني الألفاظ الأجنبية إلى اللغة العربية ، كما فعلنا في ترجمتنا للأسماء: puffbirds إلى الطيور المنتفشة ، و hornbills إلى قرينة المناكير، button quails إلى السُّمانى الزرّية ، و caecilians إلى العمياوات ، و frogfish إلى الأسماك الضفديعية ، و toadfish إلى الأسماك التودية ، وهكذا.

والحذر الحذر من الأخطاء الشائعة عند وضع المقابلات العربية لأسماء الحيوان الأجنبية. فمن ذلك ترجمة tiger إلى "نمر"، وصحته: "البير" ومن ذلك أيضاً ترجمة swans إلى بجمع ، كما يحدث في ترجمة الباليه المشهور Swan Lake إلى "بحيرة البجع". وانتقل هذا الخطأ إلى الفلاسفة والمناطق في مثاهم المشهور: كل البجع أبيض ، بل إنه تسرب إلى بعض معاجمنا ، فهي تورد مقابل لفظ "بجع" وصفاً ورسماً لطائر آخر هو التَّم (المشهور

في مصر أيضا بالوَزَّ العراقي) وهو الذي
يسمى بالإنجليزية swan ، أما البجع
فمقابله بالإنجليزية هو pelicans، وقد
برئ المعجم الكبير من هذا الخطأ الشائع
فأورد أمام لفظ "بجع" الوصف والرسم
الصحيحين لهذه الطيور التي تُعرف أيضا
باسم "الحوصل" أو "جمل الماء". وبهذه
المناسبة ، من مآثر المعجم الكبير أيضا
إثباته للأسماء العلمية لأنواع النبات
والحيوان وأجناسهما وفصائلهما ، أيضا.

وبعد.. أيها العلماء الأجلاء

لا أزعم أنني قد شفيت الغليل في هذا

الموضوع المتشعب الطويل ، وكان
قُصارى جُهدى أن أعرض عليكم - في
حدود الوقت الضيق المتاح للإعداد
والإلقاء - بعض ما عَرَضَ لى منه في أثناء
عملى المتواضع فى الترجمة أو التحقيق ،
وقد يكون لنا إليه عود ، إن شاء الله. وإنما
يكفينى أننى بثتكم بعض ما نكأبده فى
هذا الباب من عناء يعذبنا ونستعذبه ، فى
سبيل خدمة لغتنا الشريفة ، وإرساء قواعد
نهضة علمية عربية شاملة.

عبد الحافظ حلمي

عضو المجمع

المراجع

- أحمد تيمور ، ١٩٧٠ . "أبو العلاء المعري : نسبه وأخباره، شعره، معتقده" . ط ٢ .
الأنجلو المصرية : القاهرة .
- أمين المعلوف ، ١٩٣٢ . "معجم الحيوان" . دار الرائد العربي ، بيروت .
- الدّميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، ١٩٦٥ . "حياة الحيوان الكبرى" - الجزء
الأول. دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة .
- الدّميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، ١٩٦٦ . الجزء الثاني .
- رالف ، بكسباوم ، ١٩٦٠ "الحيوانات اللاقارية" . ترجمة : محمود محمد رمضان،
مراجعة : كامل منصور . الأنجلو المصرية ، القاهرة .
- عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٦٤/٦٣ . "ضفدع" ، في : الجزء السابع من "الموسوعة
الذهبية" ، إشراف إبراهيم عبده . سجل العرب ، القاهرة .
- عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٦٤ . "الضفدع" "دائرة معارف الأهرام" . جريدة الأهرام.
القاهرة ، عدد ١٥/١٠/١٩٦٤ .
- عبد الحافظ حلمي محمد ، ١٩٦٥ . "الظربان" : دائرة معارف الأهرام ، جريدة الأهرام،
القاهرة ، عدد ٢٣/٥/١٩٦٥ .
- الفيروزابادي ، مجد الدين ، ؟. "القاموس المحيط" ، مجلدان . المكتبة التجارية الكبرى،
القاهرة .
- "قاموس الكتاب المقدس" ، ١٩٩٤ . تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن
اللاهوتيين . الطبعة التاسعة . دار الثقافة ، القاهرة .
- القزويني ، ذكريا بن محمد ، ١٩٦٥ . "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" . دار
التحرير للطبع والنشر ، القاهرة .
- "معجم ألفاظ القرآن الكريم" ، ١٩٨٩ . الجزء الأول (طبعة منقحة) . مجمع اللغة
العربية ، القاهرة .
- "المعجم الكبير" ، ١٩٧٠ . الجزء الأول - حرف الهمزة . مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

المعجم الكبير ، ١٩٨١ . الجزء الثاني - حرف الباء . مجمع اللغة العربية ، القاهرة .
المعجم الوسيط " ، ١٩٨٥ . جزءان (الطبعة الثالثة) . مجمع اللغة العربية ، القاهرة .
The International Commission on Zoological Nomenclature, 1985.
International Code of Zoological Nomenclature , 3rd ed. International
Trust for Zoological Nomenclature, London.

بين الفصحى والعامية المصرية *

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

الزملاء الأجلاء :
السيدات والسادة :
اللغة هي المرأة التي تحمل شخصية الأمة وهويتها على مر التاريخ ، إذ تستوعب جميع جوانب حياتها العملية والدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية . وهي تتطور من الزمن صورا مختلفة من التطور على نحو ما تطورت العربية في الجاهلية ، وتفرعت منها لهجات كانت أسماءها لدى العرب لهجة قريش حامية دينهم الوثني ، وتأزرت مع الدين عوامل اقتصادية وسياسية جعلتها تسود في الجاهلية جميع لهجات العرب القبلية كما تسود ألسنتهم في الشعر والخطابة. وما هذه اللهجة القرشية إلا الفصحى التي ننطقها اليوم ، وقد نزل بها القرآن الكريم ، فزادها تمكينا في ألسنة العرب وأضفى عليها بياضا رائعا ببلاغته المعجزة. وأخذت منذ الفتوح الإسلامية تكتسح لغات البلدان التي

افتتحها المسلمون شرقا وغربا ببلاغتها الآخذة بمجامع القلوب، واكتسحت الفارسية في إيران، والنبطية والآرامية في العراق، والسريانية واليونانية في الشام والقبطية واليونانية في مصر، والبربرية واللاتينية في المغرب، واللاتينية وفرعها من الرومانية في الأندلس. وكل هذه اللغات قهرتها الفصحى في جميع تلك الأقطار وحلت مكانها في ألسنة سكانها فهم يتكلمون بها ويتخذونها للتعبير بها عن مشاعرهم وعواطفهم وعقولهم وأفكارهم. وأكب العرب - ومعهم الشعوب الإسلامية المستعربة - على وضع العلوم تلبية لدعوة القرآن والحديث النبوي إلى العلم والتعلم ، وأخذت توضع العلوم الإسلامية من تفسير للقرآن وفقه وغير فقه، وبالمثل العلوم اللغوية من نحو وغير نحو. ونقلوا إلى الفصحى كل ما لدى الأمم الأجنبية من علوم الكيمياء

* أقيمت هذه المحاضرة في الجلسة التاسعة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق

٣ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

إلهية لا تنفصم عراها ، استقرت في
ضمائرهم وضمائر أسلافهم على تعاقب
العصور ، وحدة لها قداسة تستمدّها من
القرآن الكريم الذي أكرم الفصحى باتخاذها
لغته ، وأضفى عليها من جلاله ما جعلها
خالدة بخلوده ، وإنها لعنوان حضارتنا ،
ولسان علومنا وآدابنا، وستظل الأمة العربية
- في مصر وغير مصر - تضمها - كما
ضمتها طوال أربعة عشر قرناً أو تزيد -
إلى قلوبها وأفئدتها ، وستظل تعتزُّ بها في
المستقبل كما اعتزت بها في الماضي ، لأنها
جوهر كياننا القومي العربي الإسلامي ،
جوهر ثابت إلى أبد الآبدين.

وإن العامية المصرية لترمقها في
تجلة، وتتطلع - منذ أوائل القرن الحاضر -

للحاق بها مستعيرة منها كثرة من ألفاظها ،
وهي كثرة ازدادت كلما قطعنا شوطاً من
السنين ، ومن المؤكد أن عاميتنا - الآن في
جيلنا - أقرب إلى الفصحى مما كانت عليه
في الجيل الماضي، وستظل تقترب منها جيلاً
بعد جيل متخطية إليها الفوارق والفواصل
حتى تذوب فيها نهائياً. وإن واجب
وزارات الإعلام في الديار العربية : مصر
وغير مصر أن تتسع في استخدام الفصحى
بجميع وسائلها الإعلامية، وخاصة في
مسلسلاتها الإذاعية والتلفزيونية، وبذلك
تستجيب تلك الوزارات لرغبة عميقة في
نفوس الشعب المصري والشعوب العربية.

شوقي ضيف

نائب رئيس المجمع

الأحزاب في العشرينيات من القرن الحاضر، وعُنت من حينئذ بشئون الأدب والثقافة ، وأفردت للأدب مجلات أسبوعية وشهرية ، وعُنت مجلة المقتطف منذ ظهورها بالعلوم الغربية. وقد استطاعت الصحف أن تبسط فصحاناً الحديثة إلى أقصى حد ، وأن تقترب بها قريباً شديداً من لغتنا اليومية.

وازدهرت للفصحى الحديثة الخطابة السياسية وما تناولته من مبادئ في الحريات وحقوق الشعب السياسية على لسان زعمائنا وخطباء الأحزاب الناهيين. ونشأ في مصر نظام القضاء الحديث ومعه نظام المحامين والمدعين العامين ، ونشأت معهما للفصحى الحديثة الخطابة القضائية ، واشتهر فيها كثير من الخطباء القانونيين ، ونشأت الخطابة الاجتماعية في النوادي والحفلات العامة.

ولم يكن بمصر في العصور الوسطى قصص بالفصحى سوى قصص الأنبياء والمقامات ، وهي قصص قصيرة مسجوعة، فلما اطلع المصريون - في العصر الحديث - على ما في الآداب الغربية من قصص طويلة أخذوا ينقلون بعضها إلى الفصحى مع محاولة تجميعه ، وأمضوا في ذلك فترة ، ثم

أخذوا - في القرن الحاضر - يضعون قصصاً طويلة على غرارها. ونشط وضع هذه القصص مع نهضة الأدبية ، فتكاثر كتاب القصة الاجتماعية والنفسية والتاريخية. وتكثر بجانبها مجموعات الأقاصيص الفصيحة القصيرة ، ويبرز فيها وفي القصة الطويلة أسماء كثيرين من القصاص الناهيين.

وبدأنا - منذ أواسط القرن الماضي - بإقامة مسارح على شاكلة المسارح الأوربية وظللنا طويلاً نمثل عليه مسرحيات غربية محصورة ، ثم أخذ كتابنا - في القرن الحاضر - يؤلفون بالفصحى مسرحيات تراعى أصول الفن المسرحي ، وازدهر هذا الفن منذ الثلاثينيات في هذا القرن - وكثرت الأعمال المسرحية القيمة التي تُعدُّ بالعشرات، وكثر معها الكتاب المسرحيون البارعون.

وعلى نحو ما حدث لنثر الفصحى في العصر الحديث من نهضة أدبية كبرى كذلك حدثت لشعرها نهضة مماثلة، كان رائدها محمود سامي البارودي الذي رد للشعر المصري حيويته، وخلّصه من أثقال البديع وقبوره، وخلفه حافظ وشوقي

١٠ وشعرهما يفيض بالعواطف الوطنية والدينية والقومية . وتحدث في الشعر المصرى موجة متأثره بالمترع الرومانى الغربى ، وتعقبها موجة ثانية هى موجة شعر التفعيلة المتحرره من الإيقاع المتكامل للشعر العربى . والفصحى فى هاتين النهضتين الكبيرتين لشعر مصر ونثرها حققت لها أعمالا أدبية عظيمة.

واقترنت بالفصحى فى البلدان العربية المختلفة عاميان تفرّعت منها متخذة طوابع خاصة فى كل بلد، نشأت من التقاء الفصحى بلغات تلك البلدان المحلية وأوضاعها فى نطق الكلام مما أدخل على ألفاظ الفصحى صوراً مختلفة من التحريف، وأيضاً فإن تلك العاميات لم تكن تعرف الإعراب الذى تتميز به الفصحى ، فأهملتها فيها. وبذلك أصبحت لكل بلد عربى عامية متميزة ، بها بعض ألفاظ استبقتها من لغاتها المحلية الأصلية ، وخاصة أسماء البلدان وبعض المواضع. ولا نعرف بالضبط التاريخ الذى شاعت فيه عامية كل قطر عربى على لسان أهله وشعبه، ومن المؤكد أنها بدأت فى مصر منذ القرن الثالث الهجرى، غير أن أول نصوص وصلتنا منها إنما وصلتنا من

القرن السادس الهجرى، إذ نجد ابن سناء الملك شاعر صلاح الدين يودع كثيراً من نهايات موشحاته أو أقفالها الأخيرة بعض ألفاظ عامية مصرية ، ويكتب أسعد بن ممتى الشاعر الموظف فى دواوين صلاح الدين وخلفائه من أبنائه كتاب " الفاشوش فى حكم قراقوش " محافظ القاهرة لعهد صلاح الدين ، وفيه كتب باللغة الدارجة المصرية مجموعة نواذر ساخرة مضحكة من أحكام قراقوش الدالة على حمقه وعقلته المفرطة.

ونلتقى فى مصر - منذ القرن السابع الهجرى - بسير للبطولة العربية ، منها سيرة الهلالية ورحيل بنى هلال وبعض القبائل القيسية إلى المغرب فى القرن الخامس ونشوب حروب بينهم وبين المغاربة، ويستولون على بعض مدائنهم ، ويقودهم فى تلك الحروب بطلان عرييلان: أبو زيد الهلالي ودياب بن غانم والأحداث فى السيرة غائمة ، وهى مكتوبة باللغة اليومية شعراً ونثراً ، وتعلق بها الشعب المصرى فى حضره وريفه ، وعاده يلقيها منشد على ربابة وتسميه العامة الشاعر . ومما كتبه مصر بالعامية سيرة سيف بن

ذى يزن وبطولته فى حروبه مع الأحباش فى
أواخر العصر الجاهلى ، وسيرة عننترة ،
وهى ملحمة كبرى للبطولة العربية وفيها
يحارب عنتر كما يسمّى فى السيرة - بجميع
الميادين التى حارب فيها العرب منذ الفتوح
الإسلامية، وتمتد بطولاته وحروبه إلى عصر
الحروب الصليبية وميادينها وإلى إسبانيا
وبعض المدن الأوربية. وتكتب بالعامية
سيرة الظاهر بيبرس سلطان مصر المملوكى
ساحق التتار والصليبيين ، مصورة بطولاته
العظيمة. وكتب فى عصر المماليك بالعامية
المصرية ألف ليلة وليلة مع إضافة طائفة
كبيرة من القصص المصرية إليها مثل قصه
علاء الدين وعلى الزيق والمصباح العجيب
وحكاية الصعبدى وزوجته الإفرنجية وهى
تصور الصراع بين المسلمين والصليبيين.
وكل من أضافوا القصص المصرية الكثيرة
إلى ألف ليلة وليلة وكذلك كل من كتبوا
سير البطولة والقصص الشعبية السالفة لا
تعرف أسماؤهم لأنهم من أبناء الشعب.
المصرى الذين يقدمون أعمالهم للشعب ،
ولا يهمهم أن تعرف أسماؤهم إذ لا يهتمون
بها شعره ولا ما يشبه الشهرة.

وكانت تمثل بالعامية بعض
مسرحيات هزلية على مسرح خيال الظل ،
وهو مسموح دمي متحركة متحاوره ،
ومن أطرفها مسرحية طيف الخيال التى
كانت تمثل فى عصر السلطان الظاهر
بيبرس، وهى مسرحية شعرية نثرية تعرض
مشكلة الخاطبة - حيثل - وما كان ينشأ
عنها من أغلاط ومفارقات فى حقائق
الزوجين ، وتكتظ بالهزل والفكاهة
والدعابة. وتكثر الأزجال بمصر منذ القرن
الثامن الهجرى ويشتهر فيها غير زجال.
ونلتقى فى القرن التاسع الهجرى بإمام
واعظ فى أحد المساجد بالقاهرة وكتابه
نزهة النفوس ومضحك العبوس وهو يمجج
بأزجال وأقاصيص ونوادى عامية فكهة.
ويكتب فى العصر العثمانى شيخ واعظ
كتابا عاميا يسميه هز القحوف يصور فيه
ظلم العثمانيين للمصريين فى نوادر لاذعة
لدعا شديدا ونمضى إلى العصر الحديث
ويخرج يعقوب صنوع صحيفته العامية
"أبونضارة" ويصحبها نارا كاويه مملوءة
بالسخرية المرء على الخديوى إسماعيل
وسياسته الحمقاء وعلى الخديوى توفيق
والامتيازات الأجنبية والإنجليز . ويخرج

عبد الله نديم في عهد توفيق صحيفته
"التنكيت والتبكيت" ثم "الأستاذ" ويفرد
فيهما صحفا عامة لمحاورات وأزجال
تعرض عيوبنا الاجتماعية والسلوكية،
والانسياق الشديد نحو الحضارة الأوربية
بصور ساخرة متهكمة تمكنا شديدا.
وتكثر المجلات العامة الهزلية منذ أوائل
القرن الحاضر، وتكتظ بالأزجال والنوادر
والنكت والقفش مثل الأرغول والسيف
والمسامير وخيال الظل، ثم الكشكول
ومجلة الفكاهة، وكان يرأس تحريرها
حسين شفيق المصري مبتدع شخصية
الشاويش شعلان عبد الموجود وابتدع
أبوها كثيرة فكهة. ويتكاثر الزجالون من
مثل محمود رمزي نظيم وبديع خيرى، وله
تمثيلات عامة فكهة مثلها لجيب الريحاني،
ومن أبدع الزجالين - منذ العشرينيات -
في القرن الحاضر - بيرم التونسي، ولا يزال
زجالون بارعون يطفروننا - اليسوم -
بأزجالهم.

وفي القرن الحاضر - وخاصة منذ
منتصفه - يكثر الكتاب الذين يؤثرون
العامة في كتابه قصصهم وأقاصيصهم
وكأنهم يعيدون لنا ذوق أسلافهم في

الحقب الماضية حين اختاروا العامة لكتابة
السير والقصص الشعبية. وينشئ يعقوب
صنوع - لعهد الخديوى إسماعيل مسرحا
بالقاهرة على شاكلة المسارح الأوربية،
وألف له فرقة مثلت عليه بالعامة ما زودها
به من مسرحيات غربية ممصرة. ولم تلبث
الفرق المسرحية السورية واللبنانية أن
وفدت على مصر ومثلت مسرحيات
فرنسية ممصرة كثيرة. ويعنى المصريون منذ
أوائل القرن الحاضر بتأليف الفرق
المسرحية، ويأخذون في تأليف مسرحيات
كثيرة، ويزدهر التأليف للمسرح منذ
منتصف القرن الحاضر، ويرى كثيرون من
المؤلفين له أن تكون العامة أداة التعبير في
مسرحياتهم على السنة شخصياتها
المختلفين.

ومن حين إلى حين منذ أواخر
القرن الماضى إلى اليوم يدعو بعض
أصحاب العامة إلى استبدالها بالفصحى في
الكتابة الأدبية محتجين بأنها لغة التخاطب
والحديث في الحياة اليومية وأنها ألصق
بالنفوس وأصدق في التعبير عن الخواطر،
وفاتهم أن ذلك إنما يشعر به من لا يتقن
الفصحى ولا يستطيع الإنابة بها عن

نحوالجه، ومن المؤكد أن العامية على الرغم من طواعيتها لنا في الحديث كل الطواعية لا تحمل لنا علما ولا فكرا عميقا ولا نظريات سياسية أو اقتصادية ولا تشريعات وقوانين ولا دراسات سيكولوجية أو اجتماعية ولا دينا وأعمالا روحية، إنها لهجة قلما تحمل لنا أعمالا وراء مطالب الحياة والفكر اليومي ، وفيه إذن هذه الخصومة التي يثيرها في الحين بعد الحين ضد الفصحى بعض كتاب العامية؟ وفيه هذا النضال؟. وأنا موقن أن هذه الخصومة لم تحدث في العصور والحقب السالفة قبل العصر الحديث فلم يحدث أن أحدا ممن كان يكتب الأزجال أو يكتب السير والقصص الشعبية في العصور الوسطى لهج ضد الفصحى مطالبا بأن تحمل العامية في أدب أسلافنا محلها ، وبالمثل لم يدع أحد من أصحاب الفصحى ضد العامية وأعمالها، بل كانت دائما الطائفتان مسن الكتاب بالفصحى والكتاب بالعامية يتعايشان في وئام وسلام. وظل أهل الفصحى إلى عصرنا يرتضون من الكتاب بالعامية ما يكتبونه أزجالا أو أشعارا عامية أو قصصا وأقاصيص أو مسرحيات ، فلم

حريتهم كاملة فيما يكتبون ولا يتعرضون لهم أى تعرض، وكان ينبغي أن يجاريهم من يدعون للكتابة بالعامية فلا يثيرون ضد الفصحى أى خصومة لأنها هي الأم وهى الأقوى بكنوزها الأدبية والعلمية ، وهى التي تملك من أفراد الشعب المصرى - ومن أفراد دعاة العامية أنفسهم في رأينا - أفئدتهم وعقولهم وقلوبهم ، بدليل نراه تحت أبصارنا ولا يغيب عنا ، وهو أن الصحف التي تخاطب الشعب المصرى - منذ أواسط القرن الماضى إلى اليوم - تتخذ الفصحى أداة في مخاطبته ، ويقرأها يوميا في مصر صباح مساء أعداد وفيرة تعد بالملايين.

ويزعم دعاة العامية أن الفصحى والفدة غريبة على مصر ، وهى لغة المصريين منذ ألف وأربعمائة عام ، وليس في العام كله لغة حيه اليوم أطول حقا تاريخية من تاريخ الفصحى في مصر ، وهم في ذلك الزعم كأنهم لا يعرفون أن العامية السق يطالبون بأن تحمل الفصحى هى بنسبها نشأت من ثقافتها بالشعب المصرى السدى لم يكن يعرف الإهراب في لغة الديموطيقية الشعبية القديمة ، ودخلت معها تحريفات في قواعدها ولطقت بعض حروفها بسبب سلبية

المصريين الموروثة وبسبب لهجات بعض القبائل النجدية التي استوطنت مصر ، وهى بذلك لهجة عربية أحدث من الفصحى تداولها على ألسنة المصريين.

ويقول أصحاب الدعوى إلى العامية إن التمسك بالفصحى يؤول بنا إلى أن تكون لنا دائما ازدواجية أو ثنائية فى اللغة التى نستخدمها ، وينبغى أن نكتفى باللغة اليسيرة السلسة وهى العامية الخالية من الإعراب ومشكلاته ، والتى لا تحتاج معها إلى تعلم، والتى يجيدها أفراد الشعب سليقة وطبعاً ، والتى نستطيع أن نصور بها كل ما يجرى فى نفوسنا وخواطرننا دون أى مشقة ، والتى يستعملها أفراد الشعب ويتفاعلون معها مباشرة.

والقول بأن وجود العامية مع الفصحى عندنا يحدث ازدواجية لغوية أو ثنائية قول من لا يعرفون أن اللغات العالمية قديماً وحديثاً كانت فيها ولا تزال هذه الثنائية ، فقديمًا كان للغة اللاتينية فى إيطاليا التى كتب بها فرجيل وسنيكا وشيشرون لهجة عامية يتخاطب بها أفراد الشعب فى روما ، وحديثاً كان راسين وكورني وموليير وفيكتور هيجو يكتبون أعمالهم

بالفرنسية الأدبية لا باللهجات الفرنسية السوقية ، تماماً مثل أدبائنا حين يرتفعون عن العامية ويكتبون بالفصحى.

وأما ما يقولونه من أن العامية لا تحتاج إلى تعلم مثل الفصحى، وأنها تعيش فى الأفواه والأسماع دون الفصحى التى تحتاج معها إلى الدرس والتعلم ، فهو قول غير دقيق لأن كل اللغات الحية يدرسها أبناءها ويتعلمونها تعلمًا صحيحًا، ويتذوقون أدبها. وأيضاً فاقم أن الفصحى تمرنت طوال أربعة عشر قرناً على أداء الأفكار، وأنها لم تستعص يوماً على أداء فكرة علمية أو فلسفية ، وقد اتسع مجالها واتسعت ليونة ألفاظها وأساليبها على أيدي كبار كتابنا وشعرائنا طوال العصر الحديث، سوى ما أحدثته الصحف فيها منذ أواسط القرن الماضى حتى جعلتها اليوم تقترب قرباً شديداً من لغتنا الدارجة اليومية.

ويقول دعاة العامية إن الفن يقوم على محاكاة الواقع ، ومحاكاته فى الأزجال والقصص وحوار المسرحيات إنما يتم - بدقة - عن طريق التعبير بالعامية التى تحاكي الواقع فى المجتمع المصرى محاكاة تامة فى أحاديث أهله . والقول بأن المحاكاة

في الأذنب تستلزم أن ينقل الواقع فيه بلغته العامة قول غير صحيح ، لأن المحاكاة في الأدب والفن لا تقتضى دقة النقل فيهما عن الواقع بحيث يكون العمل الفني أو الأدبي مطابقا له تمام المطابقة ، بل إن اكتمال الدقة في المطابقة فيهما قد يفسدهما، إذا قد يتحولان إلى ما يشبه النقل في التصوير الفوتوغرافي إذ هذا النقل الآلى لا يعد فنا ، فالفن دائما تحرير في الواقع على نحو ما يعرف في لوحات الرسامين وألحان الموسيقيين، لأن الفنان دائما - ومثله الأديب - لا ينقل الواقع نقلا أصم وإنما يستوعبه ويتمثل روحه ويضفي عليه من خياله وذهنه ما نتمثله به ونجد فيه متاع فنيا أو أدبيا ، وكأنما يرفع عنه حجابا كان يغلقه ويستره عن أبصار الناس العاديين ، والفنان بذلك - ومثله الأديب - كأنما يصنع الواقع من جديد. ليس عمل الأديب - إذن - نقل الواقع وإنما صناعته صناعة جديدة ، تحاكيه بصورة أقوى ، وما قوتها إلا ما يضيفه إليها الأديب من مخيلته وفكره وأدواته الأدبية ، فالزجال - مثلا - حين يحاول نقل واقع شعورى أو حدث اجتماعى يبرزه في عبارات سائغة موقعه

بنغم يؤثر به في قارئه بحيث يصبح عملا فنيا تاما ، ومثله الوشاح صانع الموشحات، غير أنه يتفوق عليه من حيث الفن الخالص، لأنه ينظم موشحه بالفصحى التى طالما بث فيها الوشاحون والشعراء على مدى أربعة عشر قرنا من السمات والصفات الجمالية ما يعوز الزجل إلى حد كبير. وما يقال في الزجل والموشحة يقال مثله في القصة الفصيحة والعامة ، وقد يُظنُّ أن العامة تستحب في القصة بأكثر من الفصحى ، لأنها تتناول جوانب الحياة في المجتمع وهى في متناول الأفواه والشفاه ولا مشقة فيها ولا عُسرَ ، ومن يقولون ذلك يتناسون ما في القصة الفصيحة من البيان العربى القويم الذى تُصغى إليه القلوب: قلوب المثقفين والعامة جميعا ، وأيضا فليس الأساس في روعة القصة قائما على اللغة وحدها ، فأهمُّ منها بناء القصة بناءً فنيا محكما بحيث تترابط جزئياته ووحداته ترابطا عضويا بما تعتمد عليه من أحداث مثيرة وحبكة قصصية متقنة ، وهى تختلف من قصاص إلى قصاص بما يُضفى عليها من ومضات شعوره وفكره. وقد يُظنُّ أن لغة المسرحية تناسبها العامة لا

الفصحى لأنها شفوية مثلها ، أما الفصحى
فلسفة التعبير الكتابي ، والعامية لذلك أكثر
مواءمة للمسرحية، غير أن من ينعم النظر
في فن المسرحية يراها تلتزم قواعد فنية
كثيرة ينبغي توفرها فيها ، كما ينبغي أن
تتوفر فيها الألفاظ الموحية، والفصحى
تتفوق على العامية فيما تحمل من هذه
الألفاظ ، وأيضاً فإن العامية لا نظام لها في
التعبير يجعلها سهلة الانقياد للممثل بينما
الفصحى مذلة لما يحتاجه الممثل من
أوضاع مختلفة في الصياغة.

فقول دعاة العامية بأن الحوار
المسرحي والقصصي ينبغي أن يكتب
بالعامية طلباً لدقة المحاكاة بجانب حقائقهما
الأدبية - وقد نقل إلى الفصحى كبار
الترجمين من المصريين مسرحيات شكسبير
وراسين الشعرية وأعمال القصاص
الفرنسيين والإنجليز وغيرهم من أدباء
الغرب ، وأدوا معانيها وأفكار الشخص
المختلفين فيها بفصحى سديدة أدقها أداء
دقيقاً - وبذلك تسقط دعوى دقة المحاكاة
في العامية بالقياس إليها في الفصحى كما
سقطت الدعاوى السابقة.

ويقول دعاة العامية إنها لغة الشعب
بينما الفصحى لغة فئة مثقفة محدودة ،
والعكس هو الصحيح إذ العامية لا تطرد
بصورة واحدة لا في الشعب المصري ولا
في غيره من الشعوب العربية ، وفي مصر
عامتان كبيرتان : عامية صعيدية لأهل
الصعيد ، وعامية بحرية لأهل الدلتا ،
وللمدن المصرية عامية تختلف كثيراً أو قليلاً
عن عامية أهل الريف ، وللقاهرة عامية
تختلف عن عامية أهل الإسكندرية ، بينما
كل أهل العاميات في مصر تتخذ الفصحى
لغة لها لا في التعليم والثقافة فحسب ، بل
في جميع شؤونها الدينية وفيما تقرأ من
الصحف اليومية ، فهي اللغة الجديرة بأن
تسمى لغة الشعب المصري لا العامية
المحصورة في فئة محدودة تستخدمها أرجالاً
أو قصصاً وأقاصيص أو تمثيلات مسرحية.
ومن المؤكد أن كل ما ينتجه
أدباؤنا في العامية أدب محلي لا يعدو
انتشاره أسوار مصر، إذ لكل بلد عربي
عاميته بحيث لا يفهم الشامى ولا العراقي
ولا المغربي فهما واضحاً ما يكتب بالعامية
المصرية ، بينما كل ما ينتجه أدباؤنا
الفصحى أدب عربي يخترق هذه الأسوار

إلى البلدان العربية منتشرا فيها من الخليج إلى المحيط بيان واضح تمام الوضوح، ولو كان أدباؤنا الكبار اصطنعوا العامية فيما كتبوا من آثار لأعرض الناس من الشرق الأوسط جميعه عن قراءتهم، ولما أقبلوا هذا الإقبال العظيم على اقتناء أعمالهم نثرا وشعرا، ولما حظيت مصر بزعامتها الأدبية بين البلاد العربية، كما تحظى بها اليوم وهي زعامة تتبوؤها طوال العصر الحديث، ولن تتنحى عنها في أدبها، لأن أدباء العامية لا تعنيهم هذه الزعامة وهمهم في شيء، بل ستظل - بكل ما تستطيع - تحافظ عليها بفضل الفصحى وما ينتجه أدباؤنا الأفاضل فيها من أعمال أدبية قيمة.

وإن في تمسك أدبائنا الكبار وصحافتنا بالفصحى التي تجمع بينا وبين البلاد العربية في لسان عربي واحد لشعورا قويا بأننا جميعا أسرة واحدة وهي أسرة في حاجة إلى التعاون في مضمار المصالح والمنافع وما قد يلم بنا من أحداث وخطوب. وإن شعب مصر والشعوب العربية اليوم لفي حاجة قصوى لتوثيق هذه الرابطة اللغوية حتى تحسب الدول الغربية في عصرنا حساسهم، وقد أصبح واضحا أن

الدول الغربية لا تعيش اليوم منعزلة بعضها عن بعض، إذ تجمع شملها في تكتلات على فكر اقتصادي أو سياسي واحد، على نحو ما نرى من تكتل الدول الأوربية في السوق الأوربية المشتركة، وفي اتحاد التعاون الأوربي، وتكتلها مع أمريكا في حلف الأطلسي. ومن المؤكد أن تكتل مصر والدول العربية في لسان عربي واحد من شأنه أن يجعلهم قوة متحدة كبرى في مضمار السياسة العالمية، ولنا عبره بالوحدة اللغوية بين إنجلترا والولايات المتحدة، فإن الرابطة اللسانية بينهما هي التي جعلت الولايات المتحدة في القرن الحاضر تدخل في الحربين العالميتين اللتين اشتعلتا فيه ضد ألمانيا لحماية إنجلترا شقيقتها الناطقة بلغتها. وفي ذلك ما يصور بقوه حاجة مصر وشقيقتها العربية إلى التمسك بالفصحى حتى تحميها في معارك السياسة وتنازع البقاء.

أيها السادة :

إن الفصحى أوثق الروابط التي تربط أبناء الأمة العربية مصريين ومصريين في جميع بقاع الأرض شرقا وغربا، ولها لتجمعهم في وحدة روحية

مخطوطة فريدة مجهولة

للأستاذ الكبير فهمي المدرس(*)

للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين

فهمي المدرس وبخط يده ، أراد جمع شعره مرة واحدة ولكن ظروفه لم تسمح له بذلك ، لأنني وجدت بعض القصائد في أوراق متفرقة معها لم يدونها فيها.. من هذه القصائد قصيدة عنوانها ((في مدح صاحب السماحة والسيادة السيد داود أفندي قادري زاده)) منها:

وصف المخطوطة:

كتبت على ورق صقيل ودفتر ممتاز مجلد سميك مبطن. طول المخطوطة ١٩ سم، وعرضها ١١,٥ سم. ولصغر حجم المخطوطة كتب كل شطر في سطر واحد ، وأكثر الصفحات فيها ١٦ سطرا. المدرس:

كان (١٩٤٤م) سياسياً مشهوراً وتربوياً معروفاً. ولم يعرف عنه أنه شاعر، كان رئيس أمناء بلاط الملك فيصل الأول^(٢) ، وأصبح مديراً عاماً للمعارف وأول أمين لمشروع جامعة حديثة في العراق. في المخطوطة اتجاه واضح في ذم الاتحاد والترقي الذي قام بالانقلاب العثماني

برزت بمنظرها البهي الأنور ورنّت بطرف ناعس متكسر

كشفت نقاب الحسن عن وجنتها

ومشت بفرط دلالها بتبخر

وهي قصيدة أقرب إلى شعر القرن التاسع عشر أسلوباً ومعنى .. أو من شعر عبد الغفار الأخرس .. وقصيدة أخرى نظمها إبان معركة السفور والحجاب التي ثارت عندما أصدر قاسم أمين كتابه ((تحرير المرأة)) ولكنه لم يتخذ موقفاً واضحاً إنما جاء برأي جديد هو الدعوة إلى

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة العاشرة لمؤتمر المجمع بتاريخ ٤ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٤ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

(١) الحديث عن السفور والحجاب موجود في كتابي ((الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية)).

(٢) عين في ٣١ آب ١٩٣١ م.

وأعلن الدستور سنة ١٩٠٨م وغير الاتجاه
الإسلامي إلى القومية الطورانية ومحاربة
الإسلام والعرب بعنف .

في العراق:

بعد سقوط الدولة العثمانية ذهب
إلى دمشق لبناء الدولة العربية الجديدة التي
شكلت برئاسة الملك فيصل، ولكنها
أسقطت بيد الجنرال (غورو).

وكان المدرس في باريس مع الوفد السوري
للدفاع عن حق العرب وبقي فيها، وأخذ
يجمع شعره فيها ... ثم عاد إلى العراق ،
وعين في بلاط الملك فيصل ورأى العراق
تحت سيطرة الإنكليز ، واختلف معهم
فأبعد عن البلاط . أحس بنفسه أثر معاهدة
"سايكس بيكو" في تمزيق الدولة العثمانية
والعرب.. وأحس بوطأة الاستعمار
على بلده فلم يرض عن الحكم البريطاني.

محتويات المخطوطة:

بدأ جمع شعره في باريس وأرخ
بعض هذه القصائد ، وحوث المخطوطة
سبع قصائد، وأول قصيدة هاجم فيها
العهد الطوراني مطلعها:

سارت تؤم سراة القوم مرقال

أدما دلبة ضاقت بها الحال

وعدد أبياتها ١٨٢ بيتاً. أما القصيدة الثانية
فمطلعها:

جَسْرُ حَسَامَك وَا رَكِب هَامَة الْخَطَر

واضرب رقاب العدا إن كنت من مضر
وترك خمس صفحات بيضاء وكتب
القصيدة الثالثة ومطلعها:

يا أنجما في سماء العلم قد طلعت

لنشر نور على الآفاق في الظلم
وعدد أبياتها ١٢٧ ، ثم قطع خمس
ورقات وترك ثلاث صفحات بيضاء على
صفحة منها بالقلم الرصاص:

يا بنت باريس تنحي واذهي

عني وكُفِّي يا فتاة ملامي
ولكن القصيدة لا وجود لها في
المخطوطة ويظهر أنها قصيدة غزلية أتلّفها
فيما أتلّف من شعره. ووجدت في بقايا
الصفحات المتطوعة (وأبيت ليلي لا) وكلمة
(ألا تفوزا) وقطع أربع ورقات وترك صفحة
بيضاء وكتب القصيدة الرابعة وعنوانها (من
المستنصرية إلى صوروبون) ومطلعها:

سلام على ربع العلوم وأهله

سلام على عهد الولاء يجدد
وعدد أبياتها ٢٢ بيتاً وترك ٧
ورقات وصفحة واحدة وكتب قصيدة بلا

عنوان، لكنه كتب في أعلاها ((١٩٢٠-
مارس (Paris 14 Rue Lalo) ، وفي
السطر التالي "تليت بمحضر سادات العرب
في باريس قبل الاستقلال في الشام" ،
ومطلعها:

حَيَّ الطلول الدارسات دهورا

وقَفْنُ قُلُوصَك عندها والعيرا
وعدد أبياتها ٤٦ بيتًا وهي القصيدة
الخامسة ، ثم قطع ثلاث ورقات وترك
ورقة بيضاء ، وكتب القصيدة السادسة ولم
يضع لها عنوانا، ولكنه أثبت عنوانه في
باريس وكتب في أعلا القصيدة "محضر
جماعة من العرب في دار المدرس في باريس
١٥ مارس ١٩٢٠" ومطلع القصيدة:

جاء البشير وولت الأعداء

قوموا سراعا أيها الشهداء

ويظهر أنه كتبها بعد سقوط الاتحاد
والترقي ، وعدد أبياتها ٣٢. ثم ترك بعض
الأوراق البيضاء وبذلك نظم ثلاث قصائد
في شهر واحد في ١ و ١٠ و ١٥ من شهر
مارس وكتب اسم الشهر مرتين (مارس)
ومرة واحدة (مارت).

أما القصيدة السابعة فقد جاءت
بعد أن ترك صفحة واحدة ودون عنوانه في

أعلاها وهو ((باريس سه ن كلو - البيت
الأزرق ١٠ مارس ١٩٢٠) ومطلع
القصيدة:

طاب النسيم وطاب الأرواح

فخذى العقول وصفقى يا رياح
وعدد أبياتها ١٣ بيتًا وبقي في
الدفتر ١٧ ورقة بيضاء.

والخلاصة المخطوطة حوت سبع
قصائد: وإذا جمعنا عدد الأبيات فتكون:
١٨٤، ١٢٧، ٣٨، ٢٢، ٤٦، ٣٢، ١٣ = ٤٦٢
وإذا أضفنا إلى المخطوطة القصائد التي لم
يدونها الشاعر فيها وهي:

١- إن يكن في الفتاة ما تدعيه. وعدد
أبياتها ١٢

٢- إن يكن في الفتاة يا شيخ نقص. وعدد
أبياتها ٣٢

٣- ماذا يحاول من يعادى المعهدا. وعدد
أبياتها ٨٧

٤- هو الموت لا يبقى من الناس باقيا. وعدد
أبياتها ١٨٨

٥- برزت بمنظرها البهى الأنور. وعدد
أبياتها ٥٥

وعدد الأبيات التي لم تدون في المخطوطة
تكون ٣٧٤

فيكون مجموع شعر الشاعر في
المخطوطة وخارجها $384 + 374 = 836$.
وهي حصيلة شعرية جيدة بالقياس إلى
بعض المجموعات الشعرية المعاصرة.
أدبه:

كان فهمي المدرس كاتباً بارزاً
وذكياً لامعاً، وإدارياً معروفاً، درس
الأدب الجاهلي في إستانبول في الجامعة،
باللغة التركية^(*)، وطبع هذه الكتاب وبقي
طلابه يحتفظون بنسخ منه. كان شديد
الاعتزاز بالعرب والإسلام وأشاد بهم
وبمواقفهم وانتصاراتهم في الجاهلية
والإسلام. وشاهد تدهور الخلافة العثمانية،
وحكم الاتحاد والترقي، وتأسيس دولة
عربية في الشام، ورأى كيف أجهضت
معاهدة سايكس - بيكو السرية أحلام
العرب عندما زحف الجنرال غورو على
دمشق وسحق الجيش العربي في واقعة
ميسلون.

وكثر في شعره أسماء الشعراء
العرب والقادة والأماكن التي وردت في
تاريخ العرب مثل امرئ القيس وعمرو بن
كلثوم وعنترة وقُصَّ بن ساعدة وذو يزن
وقحطان، والخورنق والسدير، وكيف كان

(*) تاريخ أدبيات عربية الآستانة.

المسلمون يحكمون العالم وأصبحوا اليوم
شعوباً وقبائلَ وأُمماً تتحارب وتتقاتل، فأراد
أن يحث العرب على النظر إلى تراثهم
ويبعث الثقة والعزيمة بذكر تاريخهم، فذكر
موقعة ذي قار، وخسارة الأحباش في
الاستيلاء على مكة المكرمة، وذكر علاقة
هارون الرشيد بشارلمان، وتقديم العلوم
والفنون والآداب عند العرب والمسلمين
وعدل الإسلام في قصة جبلة بن الأيهم
وعدل عمر بن الخطاب في قصة القبطي .
كما أشار إلى الأماكن التي وصلها الإسلام
لهداية الناس، مثل جيحون والوادي الكبير
وهمدان وهرات وقسطل وشريش وقرطبة
ونيسابور، وذكر حرية الرأي في حكاية
الأعرابي مع عمر بن الخطاب، وقوة الدين
الإسلامي عندما قيل: لو وجدنا فيك
اعوجاجاً لقومناه بسبيوفنا، وجواب
الخليفة الذي حمد الله على أن يجد من يقوم
اعوجاجه.

إنها إشارات يعرفها التاريخ الإسلامي،
أراد أن يبعث الثقة بالنفوس الحائرة والجيل
المغترب المضطرب الحائر فقال:
سادت بكم أمة سادت مفاخرها
على المفاخر من عادٍ إلى إرم

سادت بكم أمة في العلم دان لها
أولو الفصاحة والآداب والحكم
سادت بكم أمة والله ما خضعت
للضيم يوماً ولا ذلت لدى عظم
قوم هم شيدوا للمجد منزلة
قبل النبوات في عهد وفي قدم
أراد الأديب أن يذكر العرب المتناحرين
والمتمزقين بالعرب الذين كانوا كتلة واحدة
يلفها الإيمان والحب، وقد اعتصموا بجبل
الله في ظل مساواة الإسلام وعدله بالافتداء
بالرسول الكريم وهدى القرآن فقال:
هذا محمد خير الخلق من مضر
هدى المفاخر هذى غاية النعم
فالله يحكم والقرآن شاهدنا
والدين يعدل بالأحكام للأمم
وإن من ينكر الآيات ساطعة
فعينه عميت والأذن في صمم
والرجل أستاذ يرى للعلم المتزلة
الأولى على أن يقوم على التراث الأصيل
والجد والإخلاص.
وجدّدوا لقدم العلم مثلة
وشمروا شمروا عن ساعد الهمم
واستنجدوا العلم في إيقاظ قومكم
فغاية الجهل مهواة إلى العدم

وفي هذه الفترة كان العربي والمسلم
والشرقي يحسون إحساساً واحداً مترابطاً
فلم تكن الحدود قد وضعت والإقليمية قد
غرست وجوازات قد طبعت، فكل مثقف
يرى وحدة الشرق والعرب والإسلام تضم
الجميع، فقد كان الشرق والعروبة
والإسلام في اتحاد وقوة فقال شوقي:
إن العروبة لفظ إن نطقت به
فالشرق معناه والإسلام والضاد
وكان همّ العرب وحدة الجزيرة
العربية بما فيها العراق والشام ومصر،
لذلك فعندما تحل بمصر مشكلة أو بأية
قطعة من الوطن العربي نرى كل العرب
يحسون بها، فقال الشاعر يخاطب مصر:
لاتخشين يا مصر كيذا للعدا
إن ضلت الآراء والأهواء
يا مصر لست عن البلاد وأهلها
ببعيدة إن حانت الشحناء
ونجد ذلك الفكر الشرقي العربي
الإسلامي عندما يقول:
لبنان منى والبقاع وصورها
وطنى وعندى كلها زوراء
لا فرق بين حجازنا وشآمننا .
جسد يشن وكلنا أعضاء

إنه عصر كان الفرنسيون في السلم
والإنكليز في العراق ومصر، والطيحان في
ليبيا.

الاتحاد والترقي :

لا أريد الحديث عن مؤامرة العرب
والصهاينة ضد الدولة العثمانية، ولعل
السلطان عبد الحميد، فقد ذكرها التاريخ
وكان نتيجة المؤامرة ، سيطرة الاتحاد
والترقي، وتمزيق الدولة وتحويلها من دولة
مسلمة إلى دولة طورانية جعلت القومية
التركية فوق كل شيء، ونبتت كل
الشعوب وعادتها، وجعلت أنصارها في
الوظائف الكبيرة من الجبهة والأميين ..
وبدلت مظاهر الدين الإسلامي وغير
رجال الاتحاد والترقي أسماءهم العربية إلى
أسماء طورانية ، مثل جنكيز وتيمور
وأرطغرل وتركوا الأسماء العربية مثل محمد
وعليّ والحسن وسعد وعمر والعباس
وأخذوا يحكمون بما تشاء أهواؤهم بلا
شرع يردعهم، أو لا قانون يوجههم، حتى
الدستور الذي أعلنوه أهملوه فكان الحاكم
كما قال:

فحاكم الشعب زنديق وحارسه

مضلل وأمين الملك دجال

يسدّ خرقاً بخرقٍ وهو راقعه
كما إذا سد وجه الشمس غربال
من ذا يقوم بأعباء العباد ومن

يحمي البلاد ومن للخطب يحتال؟
فالمدرس وضع النقاط على الحروف
بعد أن رأى إصبع الغرب في كل ما يحدث
للدولة العثمانية ... من ضياع للمثل
والأخلاق والمعايير ... فقد عبث الاتحاد
والترقي بالدولة ، لضيق الفكر والمكتسب
الفردى، وتألم عندما رأى الجبهة يحكمون
البلد فقال:

أعرش هارون يعلوه على سفه

من آل جنكيز أوغاد وأدغال؟
أف لتاج علا هاماً مضللة

من بعد هام عليها الحكم ينهال
الإنسانية في شعره:

وفي قصائده الإنسانية الرائعة تختلط
بالمشاعر العربية والإسلامية ... إذ أن
الاتحاديين لم يكتفوا بالحكم، بل أخذوا
بالفتك بالعرب وشنقوا جماعة في دمشق
وبيروت بعد محاكمة عسكرية صورية في
عالية .. وكان هذا الفكر المحدود المتعصب
سبباً في ضياع الدولة وتمزقها .. وندامة
هؤلاء من حيث لا ينفع الندم، وقتلهم في

كل مكان حلوا فيه لاسيما القيادة الذين قاموا بالانقلاب، ورأى المدرس هذه النهاية وهو في باريس فقال:

زال العدا ثم زال الملك واندرسوا
وهم علي الرغم أحياء ومازالوا
أجل إنهم (أحياء عند ربهم يرزقون)...
العراق:

وقد فتك الاتحاديون في العراق
وأخذوا النساء والأطفال إلى الأناضول ،
فتركوا في كل بيت رنة حزن وصوت
عويل وأسى عميقا، وتحول العراق جنّة
الأرض إلى أطلال وخرائب فقال:
إن الجنان التي كانت تُظِلُّه

أضحت هشيماً فلا ظل ولا ضال
كم قتلوا سادة واستحقروا أئمة
فويل لهم معشر للنمجد قتال
الشريف حسين:

إن ما حاق بالدولة العثمانية من
أعمال الاتحاد والترقي ترك أثراً عميقاً في
نفوس العرب، وكان من جراء ذلك ثورة
الشريف حسين في التاسع من شعبان،
وكان المدرس قد آله تخريب الاتحاديين
ورأى في الشريف حسين وسيلة إنقاذ
فانضم إليه وناصره ومدحه.

الحرية وباريس:

إن الظلم الذي سيطر على الدولة
من حكم الاتحاديين وعبثهم في مقدرات
الناس كان واضحاً أصاب كل عربي، ولم
قارن المدرس حالة هؤلاء بالحالة العامة في
باريس وجد البون شاسعا، فقد وجد حرية
التنقل والخطابة والصحافة في فرنسه حرة
ككل الحرية، لا يخاف زائر الليل ولا مراقبة
الأمن ولا تدخل الشرطة، لهذا فباريس جنة
الحرية ، القانون هو المسيطر لا سطوة
حاكم ولا رأى سلطان عليه فقال:

تعالوا تعالوا إن باريس معبد
به الناس أحرار به الحق يقصد
ولن تحرر الشعوب إلا بالثورة ولن تحصل
على الحرية إلا بالقوة فقال:
إن الحقوق تمردت إلا على
من جرد العضب الصقيل وجدا
لاتدل إلا بالسيوف أدلة
فالحق في حد السيوف تولد
تأسيس الجامعة:

أراد المدرس أن يحقق حلمه أستاذاً
بتأسيس جامعة حديثة علي غرار جامعات
أوروبا التي زارها، مثل كامبردج وأكسفورد
وباريس (السوربون) لأنه آمن بأن الأمة لن

تتطور إلا بالعلم ... كان واسع الأحلام
سبق عصره .. لكن قوبل بمعارضة شديدة
وأخفق المشروع برغم الإعداد له ، وبناء
أول بناية له وتخطيط جميع مرافقها، لهذا تألم
الشاعر فقال:

يا غافلاً مما يراد به أفقٌ

من غمرة السكرات فالخادى حدا

ومنها

يا شرقُ جدّد ما استطعتْ، على الذى

ضاق الخناق عليه أن يتنهذا

وبكى تدم آماله فى رفع مستوى أمته، لأن

العلم هو الذى رفع من قدرة الغرب الذى

أخذ حضارته من العرب فقال:

لو كان للدمع الخلود مُقدّراً

لأقمتُ منه نائحاً ومُعَدّدا

بجد طواه الدهر مجداً شامخاً

لله طودٌ صار يوماً فدفا

وتلفت يمنية ويسرة فرأى ما حاق بالأمة من

تخاذل وتمزق، وقارنه بعهد الرسول الكريم

فاستنجد به فقال:

أحمدٌ أدركُ بطانة أمة

لولاك ما بسطتْ على الدنيا يدا

جار الزمان وما وعوا وتفرقوا

شيعةً، فعاد عليهم فاستعبدا

لم يبق للعربى مأوى آمن

يأوى إليه مُتَّهِماً أو مُنْجِداً

لله ذلك العربى الضائع التائه الذى

لا يجد له مكاناً يحتوى به أو مأوى يلسوذ

به، ما أشد قساوة الأيام عليه!

الحجاب والسفور:

ومن الأمور التى جاءت فى

المخطوطة معركة السفور والحجاب التى

ظهرت فى مصر عندما نشر قاسم أمين

كتابه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) وتأثر

بها كتاب العراق، ودارت معارك فى

الجرائد والمجلات بين مناصر ورافض،

ولكن المدرس وقف موقفاً جديداً .. فلم

يناصر السفور أو يقف مع الحجاب، إنما

عالج المشكلة العامة التى سيطرت على

الشعب كله، إنها مشكلة التأخر العقلى،

والأمية التى رانت على الرجال، أراد أن

يتعلم الشعب قبل أن يبحث فى قضية

الحجاب والسفور التى ليست ضرورية فى

هذه الفترة، فقال للأدباء والأولياء:

أصلح الشعب. إن أردتَ صلاحاً

كل قوم صلاحهم نفسى

ما يُفيد الحجاب عبداً رقيقاً

ذلتهم أكفهم والعصى

ولعاه يرد على الزهاوى الذى نشر
قصيدة قال فيها:

مزقنى يا ابنة العراق الحجابا

واسفرى فالحياة تبقى انقلابا

فن الشاعر:

يمتاز شعر الشاعر بجزالة الأسلوب وقوة
النسج، متأثراً بالشعر الجاهلى والحياة العربية
فيه، وبعض الآثار من الشعر العباسى
والعصر الأموى، لكن السمات البدوية فى
الصحراء هى الغالبة، فقد وصف الناقة بأنها
أدماء، وسرداحة، لأنه درس الأدب
الجاهلى فترة طويلة .. إضافة إلى أن عصره
لم يكن قد انتشرت فيه المواصلات الحديثة،
حتى انه نقل كتبه بعد سقوط الدولة العربية
فى الشام على أربعة جمال إلى بغداد وأخذ
الجمال منه (١٦٠ ليرة ذهبية). ومن تأثره
بالعصر الجاهلى قال:

سارت تؤم سرّاة القوم مرقالُ

أدماء دلعة ضاقت بها الحالُ

القرآن الكريم:

ويظهر أثر القرآن الكريم فى شعره

بوضوح فقال:

هَذَا بِلَاغٍ بِهِ ذَكَرَى وَتَبْصَرَةُ

وَحَسْبُ ذَا اللَّبِّ تَفْصِيلٌ وَإِجْمَالُ

الجديد:

ووجدته متأثراً بالكلمات الحديثة
التي كانت تنتشر فى المتكطف والمقطم
والهلال، فأدخلها فى شعره، مثل "الأثير
والإكسير والسيارات والدستور والنجوم".
وهى كلمات شاعت مع الفكر الجديد
الذى جاء من الترجمة عن الغرب.

المحسنات اللفظية:

وفى شعره بعض المحسنات اللفظية
التي جاءت عفواً الخاطر مثل قوله.
أعرش هارون يعلوه على سفه
من آل جنكيز أوغاد وأدغال
وقوله:

داروا على دارا فحلوا ملكه

واستورثوا الكلدان والآشورا

صوره الشعرية:

وله صور شعرية جميلة منها:

عجبتُ أن تحمل الأطواد شامخة

والأرض مادت بهم ترتجُ فى دعرِ

ومنها:

عجبت للظلم نيران مسعرة

كيف استويت ولم تندك من دعرِ

عليك أفئدة طارت محلقة

تنوح كالورق إذا ناحت على الشجر

وأخيراً برغم الإيذاء والظلم الذى
أصابه من بنى وطنه كان رقيق الخلق، جميل
الشماثل، فقد فضل أهله وأرضه على كل
أرض وبلاده على كل بلد زاره، وفاء وحباً
وحنيناً قال:

أحاديث دهر كلهن مصائب

نشرن فلم يخلف لها الدهر طاوياً

أحاديث أوطاني وأهلى وعترتى

وأبناء قومى ثم نفسى وماليا

أحاديث أرض مارضيت بغيرها

مقيلاً ولا عن أرضها كنت ساليا

أحاديث عن وادى الفرات ودجلة

ومن ذا رأى - قل لى بربك - وادياً

التجديد:

والغريب أننى وجدت قصيدة

الزهاوى التى نشرها فى الكلم المنظوم التى

نظمها بغير قافية موحدة عند الشاعر بين

الأوراق التى وجدتها مع المخطوطة، ونُشرو

بعضها فى ديوان الزهاوى، وسمى هذا

الشعر بالشعر المرسل، واكتفى بالوزن دون
القافية ومنها هذه القصيدة.

يعيش رحيّ البال عشر من الورى

وتسعة أعشار الورى بؤساء

أما فى بنى الأرض العريضة قادر

يُعطِفُ ويلات الحياة مقيلاً

إن نقل القصيدة بيده ووضعها مع

أوراقه دليل على اهتمامه بالتجديد.

هذه فكرة عامة عمن المخطوطة

وعسى أن يُتاح لى طبعها، لإعادة ذكرى.

إنسان أراد الخير لوطنه، والتطور والتجديد

لكنه سبق زمانه فجُوزى بالعقوق، ومات

خائفاً فى داره وكم من مخلصين وعباقره

ماتوا فى وطننا دون أن يكثر بهم الوطن؟

إنه التخلف الحضارى الذى ران على الأمم

المتخلفة التى سميت ناميةً تخديراً.

يوسف عز الدين

عضو الجمع المراسل من العراق

توحيد المصطلح العلمي العربي

من طور الهم إلى طور الفعل *

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط

هذا الشعرُ الجاهليُّ المُعجب ، الذي
لم أر - في ما قرأتُ من شعر الأمم - أقدرَ
منه على سبرِ أغوار النَّفس ، ولا أصدقَ
منه في وصف طبائع الأشياء .. يطيبُ لي
أن أستشهدَ منه اليومَ بيتَ للحارث بن
حلزة اليشكري يقول فيه:

إنما العجزُ أن تهُمَّ ولا تفعلَ

(م) والهمُّ ناشِبٌ في الضمير
فهو - لله دره - يصفُ في ما يصف ،
موقفاً من مواقف النفس البشرية ،
يتمخضُ في طورين اثنين يمرُّ بهما
الإنسان، وتُمرُّ بهما الجماعة كذلك ، في
النهوض بأمرٍ من الأمور: طور الهمِّ؛
"تهُمَّ" ، وطور الفعل: "تَفَعَّل" ! وقد صحَّ
عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
- في ما رواه أبو داود - أن أصدق الأسماء
حارث وهمام. فالهمُّ صفةٌ لازمةٌ من
أصدق صفات الإنسان ، وطورُ نفسى
لأبدٍ منه استعداداً لطور الفعل ، ولكنه
"شرطٌ لازمٌ غيرُ كافٍ" كما يقولون. فما

لم يخرج المرءُ من طور الهمِّ إلى طور الفعل،
لم يكن لَهْمُهُ هذا أى أثر، وأنا أزعمُ أننا -
في مجال توحيد المصطلح العلميِّ العربيِّ -
مازلنا في طور الهمِّ ، على كثرة ما عقَّدْناه
من مؤتمرات، وما أصدرناه من قرارات وما
استنفرناه من حلفاء.. ولن ينفعنا ولن ينفعي
العجزُ عنا أن يكون هُما هذا ناشِباً في
ضمائرنَا ، ما لم نتَّقلْ به إلى طورِ "الفعل"
العتيد.

نعم ، قد ترى في بعض مبادي
العلم محاولات جادة لهذا التوحيد ، ولكنها
ستظلُّ قاصرة إذا لم يتَّفَقْ على نهجٍ لا حبٍ
يسلكه العلماء العربون كلُّهم أجمعون ،
ترعاه مؤسسة ذات سلطان لغوي جَمَلْهي
كهذا المَجْمَعِ الموقر أو اتحاد الجامعات ،
وقضية السلطان الجماعي هذه ،
قضية تطرقتُ إليها على هَجَلٍ ولمَسْئَتِها
لَمَساً رقيقاً قبل بضْع سنين ، يومَ تحدَّستُ
في مجمع اللغة العربية الأردني عمَّا أسمىه
"نظرية الضرورة العلمية". وأنا عائدٌ إليها

* ألقى هذا البحث في الجلسة الحادية عشرة لمؤتمر المجمع بتاريخ ٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٥ هـ -

الموافق ٥ من أبريل (نيسان) سنة ١٩٩٥ م.

الآن إن شاء الله وإلى " نظرية الضرورة باختصار "، فلكلتيهما شأن كبير في ما نحن بصددّه اليوم.

فقد تواطأ علماء العربية منذ عهد الخليل ، على أن لهذه اللغة الشريفة أصلاً كان عليه بنياؤها. وذلك وجّه من أهم أوجه عبقرية الخليل ، وبُعْد رائع من أبعاد ذهنيته الرياضية الفذة ، تلك الأبعاد التي لانكاد نعرف لها مُجتمعةً نظيراً في عباقرة الأمم جميعاً. وقد كان للخليل - رحمه الله - فضلُ ابتكار هذا التصوّر الذي تقبّل ظلاله علماء العربية من بعده. ويُخيّل إلى أنه بفضل ذهنه الرياضي الفريد ، قد قام بعملية استيفاء راجع مُدهشة ، تابعه فيها سيبويه ومن جاء بعده ، وتوصلوا منها إلى صرح جميل كأنه ممرّد من قوارير ، لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً ، ولا تُحسّ فيه شذوذاً ولا خللاً.

وهذا التصوّر أشار إليه ابن جني في "الخصائص" [٦٤/١] فقال: "اعلم أن واضع اللغة لما أراد صوغها ، وترتيب أحوالها ، هَجَمَ بفكره على جميعها ، ورأى بعين تصوّره وجوهَ جملها وتفصيلها ، وعَلِمَ أنه لا بُدَّ من رَفَضِ ما شَنَعَ تألفه

منها... فنَفاه عن نفسه ، ولم يُمرِّره بشيء من لفظه...".

وبمثل ذلك قال خَلْقٌ من علماء العربية كثير. وكانوا ينطلقون دائماً من وجود هذا الأصل - الصّرح ، الذي يتّصف بالحُسْن والجمال ، بل كادوا يصفونه كذلك بالكمال.

وكان من مكمّلات تصوّره هذا وجودُ موقفٍ موحدٍ يَقِفُه جميع واضعي اللغة ، حتى عبّروا عن ذلك - كما صنع ابن جني - بلفظ الواحد: "واضع اللغة". "وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيراً مُتَشَبِّهين ، وخَلَقاً عظيماً في أرض الله غير مُتَحَجِّرين ولا مُتَضَاعِطِينَ ، فلم يهمل بتجاورهم وتلاقحهم وتزاورهم يحرون مَجْرَى الجماعة في دار واحدة...". [الخصائص: ١٥/٢]

وما كان لمثل هذه "الجماعة اللغوية" في نظرهم أن تُرتكَبَ خِلافَ الأولى.. "وكيف كانوا يكونون في ذلك

على ضعف من القياس والجماعة عليه؟ أفتُجمِعُ كافّة اللغات على ضعف ونقص؟...". [الخصائص: ١٥/٢]

".. وذلك أنهم وزنوا حينئذٍ
أحوالهم ، وعرفوا مصائر أمورهم ، فعلموا
أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني ،
وأنها لأبد لها من الأسماء والأفعال
والحروف ، فلا عليهم بأيها بدءوا ،
أبالاسم أم بالفعل أم بالحرف ، لأنهم قد
أوجّبوا على أنفسهم أن يأتوا بمنّ جُمع ،
إذا المعاني لا تستغنى عن واحد منهن! هذا
مذهب أبي علي ، وبه كان يأخذ ويفتي.." [الخصائص: ٣٠/٢]

وذلك أن للأشياء أصولاً كما
يقول المبرّد في "المقتضب" [٣٨٣/١].

وقد تبين لهم أن "الأصل" في
الأسماء أن تُتَوَّن وأن تُدْخَلْها حركة الجرّ ،
وأن "الأصل" في الأفعال أن تُبْنَى. فالأفعالُ
- كما يقول سيبويه [٦/١] - أثقل من
الأسماء ، لأن الأسماء هي الأول وهي أشدُّ
تمكناً ، فمن ثمّ لم يلحقها [أي الأفعال]
تنوينٌ ولحقها الجزم والسكون "... والأفعالُ
كلّها - كما يقول أبو سعيد السيرافي
[٤/١] "حقّها أن تكون مسكنة الأواخر ،
والأسماءُ كلّها حقّها أن تكون مُعْرَبَة".

ولكن علماء العربية لم يلبثوا أن تبينوا أن
"واضع اللغة" لم يكن من البلادة بحيث
يضع اللغة ويستريح ، وإنما هو "واضعُ

نشيط حرك" لم يعجبه أن يجمد على ما
توصل إليه من بنيان ، وإنما أخذ يُهَنِّدُهُ من
هنا ويُشَدِّبُهُ من هناك ، حتى يبلغ به غاية
الجمال.

"وكان أبو الحسن يذهب إلى أن ما
غُيِّرَ لكثرة استعماله إنما تصوّرتُهُ العرب قبل
وضعه ، وعلمت أنه لأبَدٌ من كثرة
استعمالها إياه ، فابتدءوا بتغييره ؛ علماً بأن
لأبَدٌ من كثرته الداعية إلى تغييره".
[الخصائص: ٣١/٢]

ولعل من أبرز ملامح هذه الظاهرة
أي النحو باللغة منحى الجمال ، ما يُطلقون
عليه طلب الخِفَّةِ أو الاستخفاف ، أو النأي
عن الاستثقال.

واستمع إن شئت إلى ابن جني في
الخصائص [١٢٥/١ . ٢٤٩] وهو يحدثك
عن شيخه أبي عليّ "عن أبي بكر عن أبي
العباس أنه قال: سمعت عُمارَةَ بن عَقِيلٍ
يقرأ "وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ" بالنَّصْب. قال
أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال:
أردتُ (سابقُ النَّهَارِ) فقلت له: فهلاً قُلْتَهُ؟
فقال: لو قُلْتَهُ لكان أوزن. ففسى هذه
الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستنبطة منها:
أحدها تصحيح قولنا: إن أصلَ كذا كذا ؛
والآخر قولنا: إنما [أي العرب] فَعَلَتْ كذا

لكذا ، ألا تراه إنما طلب الخفة؟ يدلُّ عليه قوله: لكان أوزن أى أثقلَ في النفس وأقوى ، من قولهم: هذا درهمٌ وازن، أى ثقيل له وزن ؛ والثالث أنها [أى العرب] قد تنطق بالشئ: غيره في أنفسها أقوى منه ، لإثارها التخفيف".

"وكان الخليل يميز خطايا وما أشبهه على قولهم في مِندَرى: مَدَارَى ، وفي صحراء: صَحَارَى لا على الأصل ولكنه يراه للخفة أكثر". [المقتضب: ٢٧٩/١]

"ومن ذلك قولهم: (عَمَبَر) ، أبدلوا النون ميماً في اللفظ وإن كانت الميم أثقل من النون ، فخففت الكلمة ، ولبس قيل (عَمَبَر) بتصحيح النون لكان أثقل". [الخصائص: ٢٠/٣]

ومثل عَمَسِير: "قَمَبَض" و "شَمَبَاء". [المخصص: ٧٣/٢]

"واعلم أن التضعيف مستثقل... وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا...". [المقتضب: ٣٨١/١]

ومن أمثلة العُدول عن الأصل لوجه الجمال أيضاً أن الكوفيين أجازوا قلب الياء الأصلية واواً ، فأجازوا في تصغير شَيْخ "شَوَيْخاً" كما أجازوا قلب الألف المنقلبة عن ياء واواً ، كما في ناب و"نَوَيْب"

واستدلوا على ذلك بأنه سُمِع "بَوَيْضَة" تصغيراً لبيضة. وقالوا كذلك "عَوَيْنَة" في تصغير العين. ولا شك في أن الكوفيين قد جَنَحُوا لذلك استخفافاً ، لخففة النطق بالواو بعد الضمة واستثقال النطق بالياء بعدهما ، إذ الضمة والسواو أختسان متجانستان، أما الضمة والياء فمتنافرتان.

ومن أمثلة ذلك أنهم "أجازوا الحذف في بعض المواضع استخفافاً" [الخرائ: ١٨/١] ؛ وأنه "إذا كان الحرف لا يتحمل بنفسه ، حتى يدعو إلى اخترامه وحذفه ، كان بأن يضعف عن تحمُّل الحركة الزائدة عليه أخرى وأحجى. وذلك نحو قول الله تعالى: "وَاللَّيْسَلِ إِذَا يَسْرٍ" و "ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ" ، و "الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ" ، وقوله:

... .. وما

قَرَقَرُ قَمَرُ الْوَادِ بِالشَّاهِقِ

وقال الأسود بن يعفر:

* فَأَلْحَقْتُ أَنْحَرَاهُمْ طَرِيقَ الْأَهْمُ *

بلا واو للوقوف عليها كذلك...".

[الخصائص: ٢٩٢/٢] "وحُذِفَتْ [أحرف

العلّة] أيضاً استخفافاً ، كما تحذف الحركة لذلك ... وقال رؤبة:

* وصَانِي العَجَّاجِ فيما وصَّني *

يريد: وصَّاني ، وقال الله عزَّ اسمه:

"وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ" وقد تقدَّم نحو هذا ؛

فنظير حَذَف هذه الحسروف للتخفيف

حذف الحركات أيضاً ، في نحو قوله:

* وقد بدا هُنْكَ من المُنْزِرِ *

وقوله:

* فالْيَوْمَ أَشْرَبُ غير مستحَقِّب *

وقوله:

* إِذَا اعْوَجَّحْنُ قَلْتُ صَاحِبُ قَوْمٍ *

وقوله:

* وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ *

وقوله:

* أو يرتبطُ بعضَ النفوسِ جِماؤها *

[الخصائص: ٣١٦/٢ ، ٣١٧]

".. ومنه إسكائهم نحو رُسُلٍ ، وَعَجْزٍ ،

وَعَضْدٍ ، وَظَرْفٍ ، وَكُرْمٍ ، وَعِلْمٍ ، وَكَبْدٍ ،

وَعُصْرِ . واستمرارُ ذلك في المضموم

والمكسور دون المفتوح ، أدلُّ دليل -

بفصلهم بين الفتحة وأختيها - على ذوقهم

الحركات ، واستثقالهم بعضها واستخفافهم

الآخر . فهل هذا إلا لإنعامهم النظر في هذا

القدر اليسير المحتَقَر من الأصوات ، فكيف

بما فوق من الحروف التَّوَام ، بل الكلمة من

جملة الكلام؟" . [الخصائص: ٧٥/١]

ومن ذلك قراءة أبي عمرو بن

العلاء في قوله تعالى: "فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ"

[البقرة: ٥٤] بإسكان الهمزة في "بَارِئِكُمْ"

ومثلها "يَنْصُرُكُمْ" و "يَجْمَعُكُمْ" و

"أَسْلَحَتْكُمْ" روى ذلك كله بالتسكين.

[الحجة في القراءات السبع لابن خالويه: ٥٤]

وهكذا تبين لعلماء اللغة ، أن ثمة

نزوعاً دائماً إلى الخروج على الأصل، ثم إلى

الخروج على القياس على الأصل ، وتلك

عملية طبيعية تلازمها الجماعة ويزاولها

الأفراد ، وتتجلى فيها حيوية اللغة ، فإذا

مارستها العربُ جماعةً كانت مقبولةً على

الإطلاق وحلت محل الأصل .. وإذا مارسها

الأفراد مقبولة في بعض الأحوال وأُطْلِقَ

عليها اسم "الضرورة".

وإنما يحدث ذلك بألية يُطلق عليها

الخليل وسيبويه اسم "التشبيه" ، ويطلق

عليها نحاة آخرون اسم "الحمل" ، فكسبان

بنيان العربية نفسه ليس بنيان راكذٍ حاملٍ ،

ولكنه بنيان متفاعلٌ حرك . ففيه مستويات

مختلفة من التعبير ، تتوَّابُ بينها الكَلِمُ

استجابةً لسطوة الجمال أو سلطان النغم ،

كتلك المستويات المختلفة من الطاقسة في

نواة الذرة ، تتوَّابُ بينها الذرَّيرات من

جراً سطوة طاقة خارجية ترتفع بها من

مستوى إلى آخر ، كما أن فيه ساحات كحقول الجاذبية ، تجذب البنى المتشابهة بعضها إلى بعض.

وآلية الجاذبية هذه تراها مثلاً في ما ذكره ابن جنى عند حديثه عن "ديمّة" و "دِيم" ... إلى أن قالوا: دِيمَتِ السماء ودومت ؛ فأما "دومت" فعلى القياس وأما "دِيمَت" فلا استمرار القلب في ديمة ودم... إلى أن يقول: "حمله على الإبدال أقوى ؛ ألا ترى أنه قد حكي في مصدره "ذيماً"؟ فهذا مُجْتَذَبٌ إلى الياء مُدْرَجٌ إليها ملخوذاً به نحوها". [الخصائص: ٣٥٥/١]

واستمع - إن شئت - إلى قول سيويه [٩٣/١]: "وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع أحواله ، وسترى ذلك في كلامهم كثيراً". وقوله [١٣٠/١]: "يشبهون الشيء بالشيء وإن لم يكن مثله ولا قريباً منه ، وقد ذكرنا ذلك في ما مضى وسنذكره أيضاً إن شاء الله". وقوله [٦/١]: "اعلم أن ما شارَعَ الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء ، أجرى لفظه مجرى ما يستثقلون ، ومنعوه ما يكون لما يستخفون ؛ فيكون في موضع الجرّ متهوفاً: استثقلوه حيث

قارب الفعل في الكلام ووافقه في البناء ، وذلك نحو: "أبيض" و "أسود" و "أصفر" فهذا بناء "أذهب" و "أعلم".

فهذا الذى أسلفناه يبين خروج الجماعة اللغوية على الأصل لوجه الجمال. ولكن الجماعة اللغوية تخرج على الأصل أيضاً لوجه الدقة العلمية. "وذلك أن العرب كما تُعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها ، بالشعر تارة ، وبالخطب أخرى ، وبالأشجاع التى تلتزمها وتكلف استمرارها ، فإن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأفخم قدراً في نفوسها". [الخصائص: ٢١٥/١]

وفي ذلك أيضاً يقول ابن جنى: "وأما غير هذه الطريق من الحمل على المعنى وترك اللفظ ، كتذكير المؤنث وتأنيث المذكر وإضمار الفاعل لدلالة المعنى عليه ، وإضمار المصدر لدلالة الفعل عليه ، وحذف الحروف ، والأجزاء التوأم ، والجمل ، وغير ذلك ، حملاً عليه وتصوراً له ، وغير ذلك مما يطول ذكره ويُملّئ أيسره ، فأمرٌ مُسْتَقَرٌّ ومذهبٌ غير مستنكر". [الخصائص: ٢٣٧/١]

ويقول في "فصل الحمل على المعنى": "اعلم أن هذا الشَّرْجَ غَوْرٌ من العربية بعيد ، ومذهبٌ نازحٌ فسيح ، قد وَرَدَ به القرآن وفصيحُ الكلام مَثَوْرًا ومنظومًا ، كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة ، والجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول ، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً ، وغير ذلك مما تراه بإذن الله". [الخصائص: ٤١١/٢]

ومن أمثلة ذلك مسألة "ما" التي تعمل عمل "ليس". قال سيبويه [٢٨/١]: "هذا باب ما أُجْرِيَ مُجْرَى "ليس" في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ، ثم يصير إلى أصله ؛ وذلك الحرف "ما": تقول: "ما عبدُ الله أخاك" و "ما زيدٌ منطلقاً". وأما بنو تميم فيُجْرونها مُجْرَى "أما" و "هل" وهو القياس ، لأنها ليست بفعل ، وليس "ما" كـ "ليس" ، ولا يكون فيها إضملمر. وأما أهل الحجاز فيشبهونها بـ "ليس" ، إذ كان معناها كمعناها".

وقال ابن جني "اللغة التميمية في "ما" هي أقوى قياساً وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً... فمتى رابك في الحجازية

ريبٌ من تقدم خبر أو نقضِ النقي ، فَرِغْتَ إذ ذاك إلى التميمية ؛ فكأنك من الحجازية على حَرْد ، وإن كَثُرَتْ في النظم والنثر". [الخصائص: ١٢٥/١]

"وسببُ هذه الحمل والإضافات والإلحاقات كثرةُ هذه اللغة وسَعَتُها ، وغلبةُ حاجة أهلها إلى التصرّف فيها ، والتَرَكُّح في أثنائها لما يلبسونه ويكثرون استعماله من الكلام المنشور ، والشعر الموزون ، والخطب والسُّجُوع ، ولقوّة إحساسهم في كل شيء شيئاً ، وتخيلهم ما لا يكاد يشعر به من لم يألف مذهبهم". [الخصائص: ١٢٥/١]

ومن أمثلة ما عدلت به العرب عن الأصل، للفرقة والفصل بين معنى ومعنى ، تصغير الأسود (اللون) على "أَسَيْد" والأسود (الحيّة) على أَسَيْد ، وقالوا كذلك في العَلَم "حَيَوَة" تمييزاً عن "الحَيَة" الثعبان ، وقالوا في تصغير عيد "عَيِّد" ولم يقولوا "عَوَيْد" منعاً لالتباس تصغير "عيد" بتصغير "عود".

ومن هذا الضرب في القراءات قراءة أبي عمرو: "وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا"

[الإسراء: ٧٢] بإمالة "أعمى" الأولى ،
"وعلة أبي عمرو في فتحه الثاني أنه اسمٌ في
موضع المصدر ، والأول ليس بمعنى
المصدر، فأمال الأول وفتح الثاني للفرق"
[الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن
أبي طالب]

ومما يغيّر لوجه الجمال تارةً ولوجه الدقة
العلمية تارات: باب النسب.

فقى "اللسان" [ح ر م] عن الأصمعي قال:
"والنَّسَبُ في الناس إلى الحَرَمِ حِرْمِيٌّ
بكسر الحاء وسكون الراء ، فإذا كان في
غير الناس قالوا: ثوبٌ حَرَمِيٌّ.. وذلك
للفرق الذي يحافظون عليه كثيراً ويعتادونه
في مثل هذا".

ومثله في "اللسان" [و أ ب] عن ابن بري:
"الرَّئِيّ منسوب إلى امرئ القيس
على غير قياس ، وكان قياسه رَئِيٌّ على
وزن مَرْعِيٍّ ولكنهم أخرجوه على هذا
الوزن ليفرقوا بينه وبين ما يُرى.

وفي المُمْتَع "للنهشلى القيرواني"
[١٤٠، ١٤٥]:

"عن أبان بن ثعلب وكان عُربانيًّا عن
عكرمة عن ابن عباس إلخ... قوله:
"عُربانيًّا" فإن هذه الألف والنون تُنادان في

النسبة ليفرقوا بين العربيّ اللهجة والعسريّ
النَّسَب".

وفي "التلخيص" "لأبي هلال العسكري"
[٢٦٩/١]:

"بيتُ أَرْبَعَاوِيٍّ: بُنِيَ على أربع طرائق"
وفي "اللسان" [ب ك ر]:

"وبنو بَكْرٍ في العرب قبيلتان. إحداها بنو
بكر بن عبد مناف بن كنانة ، والأخرى
ابن وائل بن قاسط ، وإذا نُسِبَ إليهما
قالوا "بَكْرِيٌّ". وأما بنو بكر بن كلاب
فالنسبة إليهم "بكرأويون".

ومثله [ع م ر]:

"العَمْرِيُّ بالفتح نسبة إلى عَمْرُو.
والعَمْرَوِيَّةُ فرقة من المعتزلة منسوبون إلى
عمرو بن عبيد".

"وقد تشتقُّ العرب من الاسمين اسمًا
واحداً لاجتناب اللبس ، وذلك لكثرة ما
يقع "عبد" في أسمائهم مضافاً ، فيقولون في
النسب إلى عبد القيس: عَبْقَسِيٌّ ، وإلى
عبدالدار: عَبْدَرِيٌّ ، وإلى عبد شمس:
عَبْشَمِيٌّ...". [المقتضب: ١٣٣/٣]

ويرى ابن السِّيد البطليوسنى في
"الاقتضاب" [١٥٧] "أن العرب ربّما
حاكت المعنى باللفظ الذي هو عبارة عنه
في بعض المواضع. ويوجد ذلك تارةً في

صفة الكلمة وتارةً في إعرابها. فأما في الصفة ، فقولهم للعظيم اللحية: لَحْيَانِي وكان القياس أن يقول لَحْيِي ، وللعظيم الرقبة: رَقَبَانِي والقياس رَقَبِي ، وللعظيم الجُمَّة: الْجُمَّانِي والقياس جُمِّي ، فنادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن يكون عليه، كما زادت المعاني الواقعة على نظائرها".

ومثل ذلك عند المبرد: "في كثير الشعر: شَعْرَانِي" [المقتضب: ١٤٤/٣] ، وعند ابن سيده في "المختص": "سَبَلَانِي: ضحيم السبلة" [٦٥/١] ، و"رجل كَلَمَلِي: جيّد الكلام ، فصيح" [١٢٢/٢] ، و"مَنْظَرَانِي: حَسَنُ الْمَنْظَر" [١٥٤/٢] ، وكذلك "مَخْبِرَانِي" [١٨٠/٤] ، و"سيف هُنْدُوَانِي: منسوب إلى الهند" [٢٥/٦] ، وفي "اللسان" [أ ن ف]: "رجل أَنَانِي: عظيم الأنف ، وِعُضَادِي: عظيم العَضُد ، وَأُذَانِي: عظيم الأذن".

ويقول المبرد في "المقتضب" [١٤٥/٣]: "واعلم أن أشياء قد نُسِبَ إليها على غير القياس للبس مرةً ، وللإستتقال أخرى ، وللعلاقة أخرى. والنسب إليها على القياس هو الباب. فمن تلك الأشياء قولهم في النسب إلى زينة: زَبَانِي وإنما

الوجه: زَبْنِي ... ومن ذلك قولهم في النسب إلى الشام واليمن: يَمَانِي يَافَتِي ، وشَامِي يَافَتِي، فجعلوا الألف بدلاً من إحدى الياءين ، والوجه: يَمَنِي وشَامِي. وقللوا في النَّسَب إلى تَمَامَة: تَهَامِي فاعلم ، ومن أراد العَوَضَ غَيْرَ ، ففتح التاء ، وجَعَلَ تَهَامَة عَلَى وزن يَمَن فتقديره: تَهَم فاعلم ، ويقال في النسب إليه تَهَام فاعلم ؛ ففتح التاء تبين لك أن الاسم قد غُيِّرَ عن حذّه".

وقد أنشد أبو العباس المبرد في "الكامل" [٣١٦/١] بيت إسحاق بن خلفٍ في وصف لحية:

كالأنبجاني مصقولاً عواضُها

سوداء في لين خد الغادة الرود
 "ولم يُنكَر ذلك - كما يقول ابن السِّيد في "الاقتضاب" [٢٢٢] - وليس في بجيئه مخالفاً للفظ مَنبِج ما يُبطل أن يكون منسوباً إليها ، لأن المنسوب يَرِدُ خارجاً عن القياس كثيراً ، كَمَرَوَزِي ورازِي ونحو ذلك".

وفي مقابل ذلك روى ابن سيده عن الأصمعي: "كسَاءُ مَنبِجَانِي: منسوبٌ إلى مَنبِج ؛ قال أبو حاتم: فقلت له: لِمَ فتحت الباء وإنما نسبتَ إلى مَنبِج؟ قال:

خَرَجَ مَخْرَجَ مَنْظَرَانِي وَمَخْبَرَانِي * عَلَى * أَلَا
تَرَى الزِّيَادَةَ فِيهِ وَالنَّسَبَ مِمَّا يَغَيِّرُ لَهُ
الْبِنَاءُ؟! [اللسان: ن ب ج].

"وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ مَرُّ وَعَلَيْهِ
"قُشْبَانِيَّتَانِ"... وَكَأَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى قُشْبَانَ
جَمْعِ قُشَيْبٍ خَارِجاً عَنِ الْقِيَاسِ لِأَنَّهُ نَسَبٌ
إِلَى الْجَمْعِ. قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: "كَوْنُهُ مَنْسُوباً
إِلَى الْجَمْعِ غَيْرُ مَرْضِيٍّ، وَلَكِنَّهُ بِنَاءٌ
مُسْتَطَرَفٌ لِلنَّسَبِ، كَالْأَنْبَجَانِي". [اللسان:
ق ش ب]

خلاصة القول أن الجماعة اللغوية
تخرج عن الأصل لوجه الجمال تارةً ،
ولوجه الدقة العلمية تارةً أخرى ، أو قُلْ:
عنايةً باللفظ خطرةً ، ومراعاةً للمعنى
خطرةً أخرى. حتى قال ابن السِّيد
البطليوسي في "الاقتضاب" [٢٨١]: "إن
الأصول قد تُرْفَضُ حتى تصيرَ غيرَ مستعملة
، وتُستعمل الفروع ، كرفضهم استعمال
أَيْتَقَ وَقَسِيَّ وأشياءَ وأعيادٍ على الأصل".

فأنت ترى قوة السلطان الجماعي
في الخروج على الأصل ، ومن أجل ذلك
أزعم أننا بحاجة إلى مثل هذا السلطان في
ما نحن بصددده ، وسأعود إلى ذلك - إن
شاء الله - بعد قليل.

ما الذي يحدث الآن عندما يمارس
الأفراد ما مارسته الجماعة؟

إن هذا هو الذي يطلقون عليه اسم
"الضرورة" ، وهي تتجلى في اتجاهين
اثنين: الاتجاه الأول هو الخروج على
الأصل اقتداءً بما فعلته الجماعة اللغوية في
بعض الأحوال ، والاتجاه الثاني هو العودة
إلى الأصل ببعض ما أخرجته الجماعة
اللغوية عن أصله.

يدلُّنا على الاتجاه الأول بعضُ ما
قال سيويوه [٨:١-١٠]: "اعلم أنه يجوز في
الشعر ما لا يجوز في الكلام من صَرَفٍ ما
لا يَنْصَرَفُ: يشبَّهونه بما يَنْصَرَفُ من
الأسماء... وَحَذَفَ ما لا يُحذف: يشبَّهونه
بما قد حُذِفَ واستُعمل محذوفاً... وَرَبَّمَا
مَدَّوا مثل مساجد ومنابر... شبَّهوه بما
جُمِعَ على غير واحد في الكلام... ومن
العرب مَنْ يثقل الكلمة، إذا وقف عليها
ولا يثقلها في الوصل ، فإذا كان في الشعر
فهم يُجرونه في الوصل على حاله في
الوقف..." إلى أن يقول في شبه قاعدة
[١١/١-١٢]: "وليس شيءٌ يُضطرُّون إليه
وهم يحاولون به وجهاً".

أما الاتجاه الثاني في مسيرة الضرورة ، فهو اتجاه معاكس لعملية الخروج الجماعية على الأصل: هو ردُّ إلى الأصل أو إجراء عليه ، يصدر عما أودعه الله سبحانه في سليقة الشاعر من تراث الجماعة اللغوية ، فيجعله يعود إلى الأصل متهدّياً بهذى هذه السليقة. فمن كلام الخليل في ما يرويه سيبويه [٥٩/٢]: "كما قالوا حين اضطروا في الشعر فأجروه على الأصل" ومن كلام سيبويه [١٦١/٢]: "واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرهم على إدغامه أجروه على الأصل... وهذا في الشعر كثير". ومن كلام المبرد: "الضرورة تُردُّ الأشياء إلى أصولها" [المقتضب: ٣٥٤/٣]. والقاعدة في ذلك كما يضعها المبرد: "ويكفيك من هذا كله ما ذكرت لك من أن الشاعر إذا اضطرَّ ردَّ الأشياء إلى أصولها" [المقتضب: ٢٨٢/١]. وهو قد أمعن في ذلك حتى أجاز في الضرورة الرجوع إلى الأصل مطلقاً وإن لم يردَّ به سماع.

تجد ذلك في مثل قوله:

"إذا اضطر شاعرٌ جازَ له أن يردَّ مبيعاً وجميع بابِه إلى الأصل فيقول:

"مبيع... فأما الواو ، فإن ذلك لا يجوز فيها... هذا قول البصريين أجمعين ، ولست أراه ممتنعاً عند الضرورة" [المقتضب: ٢٣٩/١].

"وحكى الفراء عن الكسائي أن بني يربوع وبني عقيل يقولون "حَلَّى مصووغ" بواوَيْن ، وثوب مَذووف ، وثوب مَصُون ، وفرس مقوود ، وقول مقوول. وأما البصريون فلم يعرفوا شيئاً من هذا" [الاقتضاب: ٢٧٥]. والحق أنه ليس قول البصريون أجمعين ، فسيبويه يقول [٣٦٧/٢]: "وقد جاء مفعول على الأصل فهذا أجدر أن يلزمه الأصل قالوا: مخيوط ولا يُستنكر أن تجيء الواو على الأصل".

وأنا لا أفهم من الضرورة الشعرية - كما فهم بعض النحاة - أنها "ماليس للشاعر عنه مندوحة" ، وأنها أمر كريه مستقبح ، يلجأ إليه الشاعر إلهاءً كما يلجأ المضطر في مخمصة إلى أكل المنخنقة أو الموقودة ، ولا أقول مع أبي الفتح: إن العرب قد تلزم الضرورة الشعر في حال السعة أنساً بها واعتياداً لها وإعداداً لذلك عند وقت الحاجة إليها [الخصائص: ٣٠٣/٣]، وإنما أفهم منها كما فهم

الجمهور - على ما يذكره البغدادى في
"الخزانة" [١٥/١] - أنها " ما وقع في الشعر
دون النثر ، سواء كان عنه مندوحة أو
لا" .. بل أفهم منها أكثر من ذلك: أنها -
كالوزن والقافية - مَعْنَى امتلاك ناصية
الشعر والتمكن من التصرف فيه.

ولقد وهم من وهم من علماء
العربية - في ما يخيّل إلى - حين قاسوا
الضرورة الشعرية على الضرورة الشرعية ،
وما هي في حقيقة الأمر بذاك ، ولكنها -
في ظني - كالذى قال الأخطل:

لكل قرارة منها وفج

أضأة ماؤها ضرر يمور

قال ابن الأعرابي: ماؤها ضرر أى نمير في
ضيق ، وأراد أنه غزير كثير فمجاره تضييق
به وإن اتسعت. [اللسان: ض ر ر].

وهذا حال الشاعر وهو يعانى
تجربته الشعرية. فإنه قد يجد اللفظة وقد
انسقت مع القياس ، غير قادرة على أن
تعبّر عن مستوى من الشعور حلق إليه ،
فيميل إلى لفظة أخرى خارجة عن القياس ،
لإحساسه أنها أبلغ في التعبير عن أحاسيسه
ونقل هذه الأحاسيس إلى سامعه. وإلا فما
الذى ألجأ جريراً إلى استعمال الكلمة

نفسها مصروفة وغير مصروفة في بيت
واحد:

لم تتلفع بفضل مئزرها

دعدٌ ولم تُغذ دعدٌ بالعُلب

وقد كان له عن ذلك مندوحة ،

إلا أنه ربما رأى في صرف "دعد" الأولى
لطيفة من لطائف التعبير ، يتناغم فيها
تعانق الضمّتين مع مشهد التلفع ، أو لعلّه
قد شاء لسامعه أن يقف وقفة قصيرة مع
سكون التنوين ، يستوعب فيها المشهد
الأول قبل أن يؤكّده بمشهد ثانٍ مستأنف.

وقد يكون لارتكاب الضرورة علق

يمثلها قول أبي النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدعى

على ذنباً كله لم أصنع

قال البغدادى في "الخزانة"

[١٧٥/١]: ورواية الرفع عند علماء البيان

هى الجيدة ، فإنها تفيد عموم السلب ،

ورواية النصب ساقطة عن الاعتبار ، بل لا

تصح ، فإنها تفيد سلب العموم ، وهو

خلاف المقصود... ورأيت للفاضل اليمنى

على هذا البيت كلاماً أحببت إيزاده ، وهو

قوله: معنى هذا البيت أن هذه المرأة

أصبحت تدعى على ذنباً ، وهو السيب

والصلح والعجز وغير ذلك من موجبات
الشيخوخة... ولم أصنع شيئاً من ذلك
الذنب، ولم ينصب "كله" لأنه لو نُصِبَ مع
تقدُّمه على ناصبه لأفاد تخصيص للنهي
بالكل ، ويعود دليلاً على أنه فعل بعض
ذلك الذنب ؛ ومراده تزيُّه نفسه عن كل
جزء منه ، فلذلك رَفَعَهُ إِيذَاناً منه بأنه لم
يصنع شيئاً منه قَطَّ ، بل "كله" بجميع
أجزائه غيرُ مصنوع".

فالدقة في التعبير عن المراد هي التي
سأقت أبا النجم إلى هذه الضرورة. وفي
مثل ذلك يقول البغدادي: "قد يكون
للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها
ضرورة ، إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال...
ولاشك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى
الضرورة ، لأن اعتنائهم بالمعاني أشدَّ من
اعتنائهم بالألفاظ. وإذا ظهر لنا في موضع
أن ما لا ضرورة فيه يصلح هناك ، فمن
أين يُعَلَم أنه مطابق لمقتضى الحال؟".
[الخزانة: ١٥/١]

فهذه الضرورة العلمية التي تدعو
إليها الدقة هي التي أتحدّث عنها اليوم ،
داعياً إلى الاعتداد بمذيين الاتجاهين في
ركوب الضرورة ، والسير على منهاجها
في سبيل الحقيقة والدقة العلمية ، ولكنني

أدعو - كذلك - إلى أن تقوم الجماعة
اللغوية بذلك - وهي لجان التوحيد ثم
المجامع واتحاد المجامع - فتستمدّ الألفاظ
المولدة على الضرورة من السلطان الجماعي
قوة كقوة الخارج على الأصل في ما
أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله حتى
أصبح أرسخ من الأصل وأثبت.

وهذا أمرٌ أقرُّه على هذا المجمع
الموقر ، توطئةً وتسهيلاً لصوغ المصطلح
العلمي. وقد سبق لي أن اقترحت مثل ذلك
قبل عام في حديث بمجمع اللغة العربية
الأردني ، وذكرت أنه لأبدٌ لنا من إعداد ما
أسميته "مقدمات منهجية وضع المصطلح
العلمي وتوحيده"، وهي دلائل إرشادية
ينبغي إعدادها خيرَ إعداد ، وجعلها في
متناول كلِّ مَنْ يريد مزاولة وضع
المصطلح، لتكون دليلاً هادياً له في هذا
السييل ، وقلتُ إنه لأبدٌ من أن تضطلع
بإعدادها سلطة لغوية جماعية كاتحاد
المجامع، أو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
بتكليف من اتحاد المجامع.

وأهم هذه الدلائل الإرشادية - في
نظري - كتابٌ يمكن أن نطلق عليه اسماً
من قبيل "المرشد في قواعد وضع المصطلح

العلمي" ، وتتفق على أن يشتمل على الأبواب التالية:

الباب الأول: مجموعة من المبادئ أو القواعد اللغوية التي يُستَرشدُ بها بشكل عام، تُذكر فيها القاعدة بأحرف بارزة ، مقتبسة - إن أمكن - بنصّها من أحد علماء اللغة الأعلام ، ثم تدوّن بالتفضيل مسوّغات القاعدة وتطبيقاتها. فنأخذ القاعدة الأولى مثلاً من ابن فارس: "أجمع أهل اللغة إلا من شدّ عنهم أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض" [الصاحي: ٣٣]. ونأخذ القاعدة الثانية من أبي عثمان المازني: "كلُّ ما قيسَ على كلام العرب فهو من كلام العرب" [الخصائص: ٣٥٧/١]. ونأخذ الثالثة من ابن جني: "الناطقُ على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غيرُ مخطيء" [الخصائص: ١٢/٢] تُكملها مقولةُ أبي حيّان: "كلُّ ما كان لغة لقبيلةٍ قيسَ عليه". [الاقتراح للسيوطي: ٩٣] ونأخذ الرابعة من السيوطي عن أبي حيّان: "علّةُ الضرورة التشبيهُ لشيء بشيء أو الرد إلى الأصل" [الأشباه والنظائر] تكمّلها مقولة المبرّد: "الضرورة تُردُّ الأشياء إلى أصولها" [المقتضب: ٣٥٤/٣] وقوله: "قد

يجيء في الباب الحرفُ والجرفان على أصولهما وإن كان الاستعمال على غير ذلك ليدلّ على أصل الباب" [المقتضب: ٩٧/٢]. ونأخذ القاعدة الخامسة حول التضمين من ابن جني: "إن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخرُ بآخر ، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفيّين موقع صاحبه" [الخصائص: ٤٠٨/٢] تُكملها مقولة ابن هشام: "قد يُشربون لفظاً معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه ويسمّون ذلك تضميناً" [المغني: ١٨٥/٢] ونأخذ سادسة القواعد من أبي هلال العسكري: "الكلمة الأعجمية إذا عُرِّبتْ فهي عربية" [التلخيص: ٢٦٧/١]... وهكذا.

أما الباب الثاني من "المرشد" المقترح ، فيسوق القواعد المتعلقة بقياسية عدد من الصيغ ، تسهيلاً للنسج على منوالها ، وإن لم يعن ذلك الالتزام الصارم بها. وقد كان لهذا المجمع الموقر فضلُ السبق في إقرار عديد من هذه القواعد والصيغ وإصدارها منجّمةً ، مثل صيغة فَعَال ، وفَعَلَ ، وفَعُول ، وفَعَالَة ، وفَعَالَة ، وفَعُولَة ، وفَعَالَة ، وفَعَالَة ، وفَعَالَة ، ومثل السين والتاء

للاتخاذ والجعل ، ولحوق التاء لاسم المكان، وتوهم الحرف الزائد أصلياً ، وجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وقياسية المصادر الصناعية ، وجواز استعمال "لا" مركبة مع الاسم ، وقياسية التعدية بالهمزة ، وجواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه ، وقواعد غير ذلك كثيرة.

والحاجة تدعو الآن إلى درج هذه القرارات مرتبة ، في باب واحد من أبواب هذا المرشد ، تشتمل فصوله على البحوث التي كتبها عدد من العلماء الأجلاء توطئة لهذه القرارات.

ويؤلف الباب الثالث من "المرشد" المقترح دليلاً بالأحوال التي يجوز فيها الخروج على مألوف اللغة للضرورة العلمية: كأن نجيز مع البصريين صَرَفَ ما لا ينصرف وقَصَرَ الممدود ، ونجيز مع الكوفيين تَرَكَ صَرَفَ ما ينصرف ومدَّ المقصور.. وهكذا ، مع إتباع كل رخصة من هذه الرخص ببحث يسوغها. وهذه الضرورات التي تبيحها الجماعة اللغوية تمثل عوناً ثميناً لكل من دُفع إلى مضايق المصطلح العلمي.

أما الباب الرابع فيضم قائمة بالسوايق واللواحق ، يُراعى قدر الإمكان أن تكون مستوعبة ، ويوضع فيها بين قوسين اسم الحقل الدلالي أو الحقول الدلالية التي تعود إليها كل سابقة أو لاحقة ، ولا سيما إذا كان ثمة اشتراك في اللفظ واختلاف في المعنى.

ويضم الباب الخامس قائمة تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية ، وطُرق ترجمة المختصرات الأجنبية إلى العربية. وهو باب تَمَسُّ الحاجة إليه في هذه المرحلة.

وأنا أناشد هذا الجمع الموقر أن ينهض بعبء هذا "المرشد" المقترح الذي ينوء بغير الجمع ، وأعدُّ بأن يقوم البرنامج العربي لمنظمة الصحة العالمية - الذي أشرفُ برياسته - بتقديم الدعم كله: ماديٍّ ومعنويٍّ إلى الجمع في إصدار هذا الكتاب - المرجع.

وتما يُعدُّ أيضاً من مقدمات المنهجية ويساعد الذين يزاولون صوغ المصطلح العلمي ، كتاب يشتمل على عشرات بل مئات من القوائم الدلالية في كل فرع من فروع العلم ، تضم كل منها

أسرة دلالية واحدة ، وتُجَنَّبُ العلماء استعمال اللفظة الواحدة لأكثر من مسمّى في نفس الحقل الدلالي.

كذلك يُعَدُّ من هذه المقدمات كُتَيِّبات تُجَرِّد المصطلحات المتوافرة في كتب التراث العلمي لا تُحاشِ المعاجم. فهذا أبو عمرو بن العلاء - وهو كما يقول ابن سلام في طبقات فحول الشعراء [١٤/١] - أوسعُ علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، يقول: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثير" [طبقات فحول الشعراء: ٢٥/١].

وكأى من لفظة أجنبية أعياناً العثور على لفظة من بابتها في ما بين أيدينا من معاجم ، ثم عثرنا عليها عَرَضاً في تضاعيف أحد الكتب ، أو في غير مَظَنَّتِها من مواد المعجم ، فقلنا لأنفسنا: وى كلن هذه اللفظة لم تُخَلَقْ إلا لمثل هذا المعنى الذى نبحث عن اسم له!

ويعجبني ما رواه ابن منظور في "اللسان" [في مادة "ب خ ع"] عن ابن الأثير: "وطال ما بحثت عنه في كتب اللغة والطب والتشريح ، فلم أجد البتّاخ بالباء المذكوراً في شيء منها". فكتسب الطب

والتشريح إذن بعضُ مَظَانِّ ابن الأثير إلى جانب كتب اللغة.

ومن الأمثلة على ذلك أن كلمة "الحَدَقَة" في المعاجم تعنى ما نطلق عليه في مصطلح اليوم اسم "القُرْحِيَّة" ولكنك تجد في كتاب "النصوري" للرازي [الورقة ٣٠ من المخطوط] ما يلي - في وصف هيئة العين: - " . . . ويعلم الرطوبة البيضية جسم رقيق مُخْمَلٌ الداخل حيث يلي البيضية ، أملس الخارج ، ويختلف لونه في الأبدان ، فربما كان شديد السواد ، وربما كان دون ذلك ، وفي وسطه حيث يحاذى الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء ، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة ، وهذا الثقب هو الحدقة". و"الحدقة" كذلك - في كثير من كتب الطب والتشريح.

ومثال آخر ، هو ذلك الغشاء من أغشية الجنين الذى يقال له بالأجنبية allantois والذى حار الأطباء المُحدِّثون في ترجمته فقالوا: "الوشسيق" ، وقالوا: "اللقاتقى" تشبيهاً بهذه الأمعاء التى تؤكل ، وقال بعضهم بل هى "اللفائفى" تحرفت إلى "اللقاتقى" وهكذا ، إلى أن رأيتُ في

"كامل الصناعة" لعلّى بن العباس [١١٨/١] قوله: "وقد يتولد على الجنين من داخل غشاءان ، أحدهما يقال له "السقاء" وهو اللفائقي ، والثاني السّلى. فأما السقاء فهو دون المشيمة ويترّاقى إلى قَرْنِي الرحم ، ويشبّه من شكله باللفافة، وهو نافذٌ إلى مئانة الجنين، ومنفعتُه أن يقبل بول الجنين..". فقد أطلق على هذا الغشاء اسم "السقاء" كما ترى ، وهى كلمة جميلة ولكنك لا تجدها فى المعاجم بهذا المعنى.

ومثل ذلك بعض ما تواطأ عرب العصر الحاضر على استعماله بالمعنى نفسه على اختلاف أمصارهم وأقطارهم كمصطلح "الكاحل" الذى تجده مستعملاً فى جُلّ البلدان العربية بمعنى "ذلك الجزء من الطرف السفلى الذى يعلو القدم" ، وفى ظنى أن مثل هذا التواطؤ يُؤثّل لهذا الحرف فى لغة الضاد وينأى به عن عامى الكلام.

هذه - فى نظرى - أهم مقدّمات المنهجية التى ينبغى إعدادها تيسيراً لواضعى المصطلح وتسديداً لعملهم. وليس يعسنى ذلك بالطبع أن ننتظر إبحار هذه المقدّمات ولكن من الخير أن نعمل على إعدادها بأسرع ما يمكن.

أما "منهجية وضع المصطلح العلمى العربى وتوحيده" نفسها ، فإننى أزعّم أن ما جرت عليه لجنة إعداد المعجم الطبى الموحد، يصلح نواة أساسية لها ، وأسمحُ لنفسى أن أعرض فى ما يلى أهم بنود هذه المنهجية:

(١) تُستعمل لفظة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبى ، ولا تُستعمل المترادفات إلا فى ما ندر وعند الضرورة ، وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات. وحين توجد بعض الألفاظ الشائعة جداً فى بعض البلدان العربية دون بعض ، وتفضّل عليها مصطلحات أخرى ، يُكتسب المصطلح المفضّل بين قوسين بعد المصطلح المفضّل ، وبأحرف أصغر حجماً ، وذلك تسهيلاً لائتلاف المصطلح المفضّل من جهة ، مع الإيحاء بضرورة العدول عن المصطلح المفضّل فى الوقت نفسه.

(٢) إذا وجدت عدة مترادفات أجنبية للمفهوم الواحد لأسباب تاريخية ، يُترجم أصلُها لتأدية المعنى ، ويوضع فى مقابلها جميعاً ، مع الإشارة بحسائب المترادفات الأخرى إلى التعبير الذى أُلحق على ترجمته،

بوضعه بعد علامة المساواة (=) بين قوسين.

(٣) إذا كان للمصطلح الأعجمي أكثر من دلالة واحدة ، يوضع مصطلح عربي مقابل كل دلالة ، وترقم هذه المصطلحات إظهاراً لتمييزها ، ويستحسن بيان الحقل الدلالي الذي ينتمي إليه المصطلح بين قوسين.

(٤) ينبغي درس المصطلح الأجنبي دراسة وافية والتعرف على مدلوله العلمى ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي الخاص المستعمل في حقل الاختصاص ، قبل الإقدام على وضع مقابله العربى. ولا يُنصح بترجمة المصطلح ترجمة حرفية ، أو استعمال مرادفاته الموضوعية لدلالات خاصة في حقول اختصاصات علمية أخرى.

(٥) لا يجوز اعتماد لغة أجنبية واحدة - مهما كان لها من السيادة - مصدراً وحيداً للمصطلحات الأجنبية ، وإنما يُترجم اللفظ الأجنبى الذى هو أفضل في تأدية المعنى ، فيُترجم اللفظ الإنكليزى أحياناً والفرنسى أحياناً أو غيرها من ألفاظ اللغات الأخرى، بحيث يكون الهدف دائماً دقة المعنى ووضوحه.

(٦) تُستعمل الألفاظ العربية المتداولة أو التى سبق أن استعملها علماء العرب الأقدمون ، إذا كانت تفى بالغرض العلمى ، وإلا يُجتهد في وضع لفظ جديد مناسب. وتؤخذ بنظر الاعتبار المصطلحات التى وضعتها المجامع ، واللجان المتخصصة ، والعلماء.

(٧) يُكتفى بوجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوى ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمى.

(٨) يُتَعَدُّ عن الكلمة المُثَقَّلَة بعدة معانٍ ، فيُحاولُ العثور على ألفاظ لا تشترك مع سواها بقدر الإمكان ، ولا سيما تلك التى تشترك في حقل دلالي واحد.

(٩) يُلتَزَمُ قدرَ الإمكان بالقوائم الدلالية ، والسوابق واللواحق ، والصيغ القياسية التى يُعدّها المجمع الموحد.

(١٠) يجوز اللجوء أحياناً إلى النحت أو التركيب المزجى ، إذا كانت اللفظة المنحوتة مفهومة مقبولة ، أو شائعة ، أو منسوبة. ولكن النحت يحتاج إلى ذوق سليم خاصة، فكثيراً ما تكون ترجمة الكلمة الأعجمية بكلمتين عربيتين أو أكثر

أصلح وأدل على المعنى من نحت كلمة يحجها الذوق ويستغلق فيها المعنى. ويراعى في المركبات المزجية التي تعتبر مصطلحات أن تجعل اسماً واحداً إعراباً وبناءً ، فلا يُعَرَّب الجزء الأول من مصطلح "الانثا عشرى" مثلاً وإنما يحتفظ هذا المصطلح بشكله في جميع أحواله.

(١١) يفضل تقدير محذوف في بعض المصطلحات، التي تتألف من جملة ، على التركيب المزجي أو النحت ، فيقال مثلاً: "الشریان تحت الترقوى" بتقدير محذوف هو "العظم" بَدَلْ أن يقال "الشریان التَحْتَرُقوى" أو التَحْت ترقوى".

(١٢) لا حَرَجَ في استعمال الكلمات الدخيلة أو المستعربة حين اللزوم ، ولا سيما حين تتعذر تأدية المعنى المراد ، أو حين تكون الكلمة العربية المقترحة أشدَّ عَجْمَةً من الكلمة الدخيلة ، أو يكون اللفظ مما اشتهر وشاع استعماله ، أو يكون قد اكتسب صفة العالمية بدخوله كما هو في كل لغات العالم أو جلّها.

(١٣) يُلتَزَم في هذه الكلمات الدخيلة أو المستعربة اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللغات الأجنبية ، لنقله إلى العربية

بأخف ما يمكن على اللسان العربي ، دون التزام لغة أجنبية واحدة. فيقال مثلاً في مصطلح الكيمياء "هيدروكسيد" لا "هايدروكسايد" ويُقال "يورانيوم" لا "أورانيوم" ويُقال "بزموت" لا "بِزْمَتْ" ، ويُقال "لياز" لا "لايسيز" . ويُسعى إلى الانسجام قدر الإمكان فيقال "فيزيولوجيا" لا "فيسيولوجيا" لأننا قلنا "الفيزياء" أو "الفيزيقي" ولم نقل "الفيسياء" أو "الفيسيقي" ، وهكذا.. كما يُحَرِّص في نهاية الكلمات على التمييز بين اسم العلم وبين ما ينسب إليه فنكتب "الجيولوجيا" و "الباثولوجيا" مثلاً بالألف لنميزها عن الطبقات الجيولوجية أو التفسيرات الباثولوجية التي نكتبها بالتاء.

(١٤) لا داعي لاستعمال حروف غير الحروف العربية كالباء والفاء ، وإنما يُنقل الحرف إلى أقرب حرف عربي إليه ، فترسم "p" باء ، و "v" فاء. أما حرف "g" فيعرب "غيناً" إلا إذا كان يُلفظ جيماً صحيحة.

(١٥) نظراً إلى صعوبة توافر الشكل "التشكيل" في المطابع والمناسخ ، ينبغي عدم التخرج من استعمال الأحرف اللينة

"الطبقة الحبيبية للبشرة" لا "طبقة البشرة الحبيبية" ويُقال: "الرأس الأمامي للعضلة ذات الرأسين" لا "رأس العضلة ذات الرأسين الأمامي". وذلك استثناساً بأن من مواضع اللام أن تكون بمعنى "من" ومثمل قولهم: "سمعت لزيد صياعاً" أى: من زيسد صياعاً. كما يجوز التوسع في استعمال اللام الأخرى التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعولها فيقال مثلاً: "العامل المطلق للهرمون المنبه للجريب".

(٢٠) ينبغي ترجمة أسماء الأجناس والأنواع في تصانيف الأحياء من حيوان ونبات وجراثيم ، ولا يجوز أن تُستعرب بحجة أنها أسماء أعلام ، فاسم العلم فرعٌ من اسم الفرد ، والفرد تحت النوع وتحت الجنس. ويمكن ، بل يحسن ، في التعليق العالي إضافة الاسم الأعجمي إلى جانب الاسم العربي.

(٢١) يجوز التخصيص بقاء التأنيث لضرورة التمييز ، فيقال اللوح واللوحه ، والكيس والكيسة ، والجيب والجيبة، وما أشبه ذلك.

(٢٢) تذكر صيغة جمع المصطلح بين قوسين إذا لزم الأمر.

في الكلمات المعربة حتى لا يلتبس اللفظ ، على أن يُستغنى عنها إذا لم يكن ثمة التباس، كما ينبغي عدم التخرج - في استعمال هذه الأحرف الينة - من التقاء السلكين ، استثناساً بالمد اللازم في القرآن الكريم حيث يلتقي حرف اللين بحرف ساكن يؤلف الجزء الأول من الحرف المشدّد. ولا حاجة لبدء الكلمات الساكنة الأول بألف، اكتفاءً بالاختلاس في نطق هذا الحرف الساكن ، أو بتحريكه.

(١٦) ينبغي الحرص في استعراب الكلمة على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها ، ويفضّل عدم استعرابها إن لم تتحقق فيها هذه الشروط. (١٧) يعتبر المصطلح المستعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة العربية ، ويجوز فيه الاشتقاق ، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق.

(١٨) يجوز التصرف في صيغ النسبة ، للتمييز أو منع اللبس ، كما تجوز النسبة إلى المفرد والجمع.

(١٩) يجوز التوسع في استعمال لام الإضافية ضمناً لوضوح المصطلحات التي تتألف من جملة ، فيفضّل مثلاً أن يُقال:

وَبَعْدُ ، فَأَنَا أَدْعُو أَحْيَرًا هَذَا الْجَمْعَ
المَوْقَر ، إِلَى النِّظَرِ فِي بِنُودِ هَذِهِ الْمُنْهَجِيَّةِ
المُقْتَرَحَةِ ، وَتَبْنِيهَا إِنْ كَانَتْ صَائِبَةً ، أَوْ
تَعْدِيلَ مَا يَحْتَاجُ مِنْ بِنُودِهَا إِلَى تَعْدِيلٍ . فَقَدْ
أَنَّا لَنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا مِنْهَجِيَّةٌ وَاحِدَةٌ
مَوْحَّدَةٌ ، وَأَنْ تَصْدُرَ عَنْ هَذِهِ السُّلْطَةِ
اللُّغَوِيَّةِ الْجَمَاعِيَّةِ ، لِأَنَّ صُدُورَ أَمْثَالِهَا فِي مَدَى
مَضَى ، عَنْ عَدِيدٍ مِنَ الْمُؤْتَمَرَاتِ وَمَكَاتِبِ
التَّنْسِيقِ الَّتِي تَفْتَقِرُ إِلَى هَذَا السُّلْطَانِ
الْجَمَاعِيِّ ، لَمْ يُفْلَحْ فِي وَضْعِهَا مَوْضِعَ
التَّنْفِيزِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي مَجَالَاتٍ مَتَفَرِّقَةٍ .

وَأَنَا أَعْتَذِرُ إِلَيْكُمْ مِنْ كَثْرَةِ مَا
اقْتَرَحْتُهُ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ عُذْرِي أَنَّ الزَّمَانَ
سَبَّاقٌ ، وَأَنْ رَكْبَ الْعِلْمِ الْحَثِيثَ الْإِسِيرَ لَنْ
يَيْطِئَ مِنْ إِيقَاعِهِ فِي انْتِظَارِ الْمُسْتَرِثِّينَ ،
وَأَنْكُمْ الْأَمَلُ الْبَاقِي لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي تَبَوُّثِ لُغَةٍ
التَّنْزِيلِ مُبَوَّأً صِدْقٍ فِي مَسِيرَةِ الْعِلْمِ
وَالْحَضَارَةِ .

"وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ،
وَلْيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" .

محمد هيثم الخياط
عضو الجمع المراسل
من سورية

المصطلحية والمصطلحات

(قراءة في مشروع معجم مصطلحات علم المياه

من مشروعات مكتب تنسيق التعريب) (*)

للأستاذ أحمد شفيق الخطيب

سيادة الرئيس:

أيها العلماء الأجلاء:

أيها الزملاء الأكارم:

"مشروع معجم مصطلحات علم

المياه" - هو أحد مشروعات خمسة يُعدها مكتب تنسيق التعريب للعرض على مؤتمر التعريب الثامن، ويُفترض أنها درست في الندوة التي عُقدت في دمشق في الفترة ما بين ١٩ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٤ (**).

حول المنهجية التي يتبعها المكتب في إعداد هذه المشروعات، نقرأ في مقدمة المعجم ما مفاده أن المنهجية التي انتهجها مكتب تنسيق التعريب في مشروعاته المعجمية مرت بمراحل ثلاث: في المرحلة الأولى كان المكتب يجمع مادة المشروع الأولى للمعجم، ويوزعها على اللجان الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، وعلى الجهات المختصة، في البلاد العربية لإبداء الرأي. ثم يُعرض العمل على ندوة متخصصة لدراسته.

بادئ ذي بدء أُسجل تقديرى وتقدير جميع العاملين في حقول المصطلحات، بل تقدير أهل العربية على اختلاف اهتماماتهم، ممن عرفتهم أو قرأت لهم، لتلك المعلمة الشاحنة في المغرب الشقيق - أعني مكتب تنسيق التعريب في الرباط.

وأعرب عن فائق التقدير والإكبار لجهود جميع العاملين فيه، ومعه، على مدى ثلث القرن الماضي منذ ١٩٦١ - بدءاً بمديره على مدى جيل من الزمن علامتنا الفاضل الأستاذ عبد العزيز ابن عبد الله، حتى مديره الحالي الصديق الدكتور أحمد شحلان؛ لهم جميعاً كل التحية والإكبار.

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثانية عشرة لمؤتمر الجمع بتاريخ ٩ من ذى القعدة سنة ١٤١٥ هـ الموافق ٩ من أبريل (نيسان) سنة

١٩٩٥ م.

(**) ظروف التواصل اليريدى حالت دون حضوري هذه الندوة.

في المرحلة الثانية اتبع المكتبُ أسلوبًا آخر يتمثلُ في تكليف خبير "تلمسُ" فيه الكفاءة العلمية واللغوية كي يُحضّرَ مُسوّدَة مشروع المعجم - ثلاثي اللغة - مُستفيداً ممّا صدرَ عن المعاجم العربية أو الهيئات والجامع (لعلّها "المراجع") المختصة من معاجم ومؤلفات ؛ وغالباً ما يعتمدُ على قدرته الذاتية ومعلوماته الخاصة".

بعد ذلك يُعهدُ بهذه المُسوّدَة إلى خبير آخر مُراجعتها وتدقيقها ، لكي تكتسبَ الوثيقة صفةَ "مشروع المعجم"^(١).

ثمّ يقوم المكتب بتوزيع المشروع على اللجان الوطنية للتربية والثقافة والعلوم وجهات الاختصاص في الأقطار العربية للنظر فيه وإبداء الملاحظات عليه تمهيداً لعرضه على ندوة مُتخصّصة لدراسته.

وفي المرحلة الحالية (الثالثة) نهجَ المكتبُ نهجاً جديداً في إعداد مشروعات خمسة من المعاجم - في مصطلحات "التقنيات التربوية" و "الإعلام" و "علم المياه"

و "الاستشعار عن بعد" و "الفنون التشكيلية".

ويتمثل هذا النهج الجديد في عقد اتفاقيات مع هيئات عربية أو أكاديمية مُتخصّصة تقوم بإعداد المشروعات الأولية مُستأنسة بما يُزوّدُها به المكتب من مراجع وقوائم مصطلحيّة ، تدخّل في صُلب الموضوع ، ممّا صدر عن الجامع اللغوية والاتحادات العلمية والجامعات والهيئات المُتخصّصة. وهكذا تمّ إعداد المشروعات المعجميّة الخمسة الآتية الذّكر^(٢).

وقبل أن أُستعرض عيّنات من هذا المشروع - مُفصلةً في فئات تُحدّد نوع الشكوى المنهجية أو الشكاوى المصطلحيّة فيها ، أعرّضُ وحضراتكم أساسيات عامّة مُتعارفة في مجال المصطلحيّة والمصطلحيين ووضع المصطلحات.

إن مهنة المُصطلحي ، كما تعلمون، لما تتحدّد معالمها في العالم العربي، فليس هنالك برامج مُتعارفة، ولا

(١) من مُداخلة مكتب تنسيق التعريب في مؤتمر التعريب السادس ، كما ترد ص ٢٣ ، العدد ٣١ من مجلة اللسان العربي (كانون الأول "ديسمبر" ١٩٨٨). وهذه المراحل مُلخصة في المُقدمة العامة لمشروع معجم مصطلحات المياه - كما في مقدمات مشاريع المعاجم الأخرى.

(٢) وكان أن تمّ إعداد مشروع معجم علم المياه - موضوع قراءتي اليوم من قِبَل فريق عمل برئاسة الدكتور م.م. تحت إشراف المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق. وجديرٌ بالذّكر أن هذا المركز أشرف أيضاً على إعداد مشروع معجم الاستشعار عن بُعد (تمّما قد يضيف أهمية مضاعفة على قراءتي هذه).

طُرُقُ تأهيل محدّدة ومرسومة ، لإعداد المتخصّصين في المصطلح والشؤون المصطلحية^(*). ومعظم ، أو ربّما كلّ المتخصّصين الذين أعرّفهم ، تعلّموا المهنة بجُهودهم وإمكاناتهم الشخصية ولم يدرسوها كعلم ؛ إنّما توافرت لهم خلفيّات دراسيّة تثقيفيّة علميّة ولُغويّة ساعدت في هذا التأهيل.

لكن مهما يختلف المنظّرون في تقنيّات المصطلحيّة ومساقتها ، فهناك أساسيّات لا خلاف فيها لما يُمكن اعتباره بعض مؤهلات المصطلحي ، ولعلّها لا تختلف كثيراً عن المتطلّبات الأساسيّة لأعمال الترجمة العلميّة والتقنيّة الناجحة. ولعله يُمكن تلخيص هذه المتطلّبات في أساسيّات خمس.

١- معرفة دقيقة بلُغتي التعامل - لُغة الأصل ولُغة الهدف. فقديمًا قالوا: صاحب الترجمة ينبغي أن يكون ذا علم واف باللغتين ؛ أو كما وصفه الجاحظ في بيانه

"أعلم الناس باللغة المنقولة واللغة المنقول إليها حتى يكون فيهما سواءً وغاية".
٢- إلمام كاف بمادة الموضوع. ويُركّزون اليوم على المصطلحي الواسع التخصّص ، وليس بالضرورة المتخصّص في الموضوع نفسه.

٣- خبرة عمليّة بالمنهجيّة المصطلحيّة مدعّمة بالتراث المصطلحي القديم والحديث، وتعرّف المشهور منه - على الأقلّ في مجال الموضوع مدار البحث.

٤- موهبة عمادها ذكاء مُدرّب يُمكن من ملء الثغرات في النص الأصلي ، وخيال واسع يُمكن من تصوّر العُدة أو الشيء أو العملية موضع البحث ، ومقدرة سليقية تمكّن المصطلحي من التعامل مع اللفظ في سياقه بوضوح وإيجاز ودقّة.

٥- دراية وبصيرة تُوجّهان الاختيار لانتقاء المرادف المصطلحي الأنسب من المعاجم ذات العلاقة أو الكتابات المنشورة حول الموضوع.

(*) أذكرُ أنه في إحدى الندوات التي كان لي مشاركة فيها قدّم ببحثان بالعربية يتعلّقان بهذا الموضوع - أولهما للأستاذ عبد اللطيف عبيد حول "تدريس علم المصطلح في الوطن العربي - تجربة معهد بورقية للغات الحيّة" ، وثانيهما بحث للدكتور محمد حلمي هليل بعنوان "نحو تعليم المصطلحيّات والتدريب عليها - مشروع للعالم العربي". كما قدّم في تلك الندوة بحث قيم بالإنكليزية للأستاذ هلموت فيلبر "المصطلحية في عالم اليوم" قام بترجمته الدكتور حلمي هليل ونُشر في العدد ٣٠ من مجلة اللسان العربي ؛ وفيه إشارة إلى برامج تدريسيّة في علم المصطلح تُقدّم في جامعات كندا والنمسا والدانمارك وإنجلترا وغيرها - وهي جديرة بأن نتعرفها ونفيد منها بما يتلاءم ولُغتنا وأوضاعنا.

- بصراحة يا سيادتي لقد افتقدت الكثير من هذه الأساسيات خلال قراءتي عينية متعددة من "مشروع معجم مصطلحات علم المياه" أستعرضها مع حضراتكم في فئات قد تكون متداخلة أحياناً - وأبدأ بفئة الأساسية الأولى.

* التمكن من لغة الأصل (المنقول عنها) ولغة الهدف (المنقول إليها) (*). إلى حضراتكم الأمثلة:

36) Aggressive: quality of water that attack metals & concrete chemically by dissolution.

هدام (مياه مُخرّبة): نوع من الماء الذى يهجم على المعادن والأسمنت كيميائياً فيُخرّبها بالانحلال.

عدوانى (أكال): صفة للمياه الحاوية مواد أكالة لفلزات والإسمنت تُسبب انحلالها كيميائياً.

("هدام" أو "مُخرّب" تقابل "destructive" ؛ وبالنسبة للمياه لعلها تنطبق أكثر على مياه السيول والفيضانات. ليس ما يمنع ترجمة aggressive بمقابلتها المتعارف "عدوانى". ولولا خوف اللبس بـ "عادى" لقلت "عاد").

40) Air-dry

هواء جاف: حالة تعادل أو توازن بين

الرطوبة الموجودة بين مسامات عينة ما صخرية وبين الهواء أو الجو.

المدخل صفة وليس اسماً - لذا نقول:

مُجفّف فى الهواء أو هوائى التجفيف أو هوائى الجفافية - مثلاً:

air-dry timber,
air-dry rock, ect.

49) Algae control: control of growth of micro-organisms in water bodies.

تحكّم بالطحالب: التحكّم بنموّ العضويّات الدقيقة جداً فى الأجسام المائية.

الترجمة المناسبة لـ control هنا هى

"مكافحة"، فنقول: مكافحة الطحالب:

مكافحة نموّ المتعضّيات المِحرية فى الكتل أو التجمّعات المائية.

55) Allochthonous: Said of material originally from a different locality than the one where it is deposited.

مادة منقولة: نوع من المادة الناجمة عن توضع مواد حدثت فى غير مكان توضعها الأصلى.

المدخل هنا صفة لا اسم. فنقول:

دخيل ، مجلوب أو جليب النشأة: مثلاً الصخر الذى يتكون فى معظمه من مواد منقولة من موقع آخر.

(*) مواد هذه الفئة، كما مواد سائر الفئات التالية، مُرتبة ألفبائياً حسب ورودها فى مشروع المعجم.

191) Bore. حُفْرَة (ثَقْب).
(Trou de forage "F").
(Bohrung "G").
ثَقْبُ (الحَفْر). قُطْر الحَفْر (أو التجويف)
الداخلي.

200 (& page 235)
Breaking strength.
قوة الكسر (قوة التهشيم أو التحطيم) —
قوة التكسّر.
مُقاومة الكسّر.
مُقابل "strength" في هذا السّياق نَقول
"مُقاومة"، فالمفهوم هنا ليس "قوة الكسر"،
بل قوة مُقاومته.

204) Brine: Water containing more
than 100.000 ppm total dissolved
solids.
مالح جدًّا ، ملحٌ أُجاج.
"ماء مالح" أو "ماء مِلح". (المدخل هنا
اسمٌ وليس صفة).

268) Cement bond.
ملاط اتصال (ملاط الوصل).
رابطَة (أو وُصلة) إسمنتِيَّة. (الموصوف هنا
"bond" لا "cement").

269) Cement grout: Cement slurry
of pumpable consistency.
مزيج ملاطى للملء الفراغات: طين ملاطى
أو اسمنتي قابل للضخ بشكل مستمر.
رَوْبَة إسمنت: ملاط رقيق القوام ضَخوخ.

108) Argillaceous: Property of
rocks containing clay in non-
negligible proportions.

غَضارى: خاصية الصخور التي تحوى كمية
غير مهملة من الغضار.

السياق هنا يأنف الترجمة الحرفية لـ non-
negligible. يُقال: "كميّة لا يُستهانُ بها".

123) Autochthonous: Of
sedimentary material originating &
deposited at about the same
location.

رُسوبات توضعِيَّة متبقّية: مواد رسوبية
ناجمة عن ومتوضعة في نفس المنطقة التي
نتجت عنها.

هذا المدخل أيضًا صفةٌ وليس اسمًا —
فقول:

مكانُ النشأة: تكوّن وتراكم في الموضع
الذى نشأ فيه (كالمِلح الصخري).

185) Block & tackle: Hoisting
device in the derrick for lifting and
lowering of drill pipe and casing.

كُتلة الرفع والإنزال: جهازُ رفع وإنزال
على جسم الحفارة يستخدم لرفع وإنزال
أنايب الحفر وأنايب الإكساء.

بَكَارة: بَكَراتُ الرفع وحبالُها في بُرج الحَفْرِ
لرفع وإنزال أنايب الحفر والتغليف.

كُتل لافا. 188) Block lava.
لأبَا كُتليَّة — (الموصوف هو "اللابا").

311) Cloud-burst.

انفجار سحابة.

شُبوب: وابلٌ من المطر المنهمر.

349) Confined water: Water separated from the atmosphere by impermeable rock stratum.

ماء مَضْغُوط: ماء مفصول عن الجو

بواسطة طبقة صخرية كثيفة غير نفوذة.

ماء حَبِيس (أو مَحْصُور): تفضله عن الجو

طبقة صخرية صَمَاء (غير نفوذة).

395) Corrosive: Property of water attacking its conduits.

قَابِلٌ لِلتَّأْكُل: خاصية الماء الذى يقوم

بالمجوم على قنواته وأنابيبه التى تنقله.

أَكَال: خاصية الماء الأكّال أو الحات

كيماوياً لِمَسَالِكِه:

(الماء الذى "يهاجم" قنواته وأنابيبه هو

الـ"أكّال" وهى الـ"قابلة للتأكل").

586) Dripstone: Rock formed by evaporation of dripping water film containing calcite.

صخر ناتج عن التبخر والتقطير المائى:

صخر ناتج عن تبخر الماء الذى يكون على

شكل قطرات على سطح رقيق مائى يحوى

الكالسيت (فحمات و كربونات

الكالسيوم).

حَجَرُ الْقَطْرِ (أى صَخْرُ الْهَوَابِطِ

والصَّوَاعِدِ): صخرٌ ناتج عن تبخر الماء

الْمُتَقَطِّر من غِشاء ما جَرى أو يحوى الكالسيت.

(فى B تابع 143)

Fresh-water barrier.

عائق مائى عَذْب.

"عَذْب" لا تصف عائقاً طبعاً. هو "عائق

ماء عَذْب" أو "عائق مياه عذبة" (كما

ترجم صحيحاً فى F) أو "عائق من المياه

العذبة" (يُحَقَّن لِمَصَدِّ جَرَيَانِ مياهِ البحر

المالحة باتجاه الطبقات المائية القريبة

من السواحل البحرية).

808) Galvanometer: Sensitive current meter.

جهاز قياس التيار (غلفانومتر): عداد

لقياس التيار الحساس.

غلفانومتر: جهاز قياس حساس للتيار أو

مقياس حساس للتيار.

(الحساس وصف للمقياس وليس للتيار).

854) Gneiss. غنايس.

نايس. فالـ G فى Gneiss صامته لا تُلَفَظ.

1012) Incrustation: Deposition of mineral matter by water.

ترسُّب: توضع مواد معدنية وفلزية بواسطة

الماء.

تَقَشُّورُ تَغَطٍّ أو تَغْطِيةٌ بِقِشْرَةِ صلبة من

ترسُّات معدنية مائية.

"فُتْحَةُ الطِينِ" أو "فُتْحَةُ طِينِ الحَفْرِ": فُتْحَةُ
فِي عُدَّةِ الحَفْرِ يَنْبَثِقُ مِنْهَا طِينُ الحَفْرِ.

1351) Oven-dry: Degree of dryness of porous sample after drying in oven at specified temperature.

درجة التجفيف في الفرن: درجة التجفيف الخاصة بعينة مسامية بعد تجفيفها في فرن التجفيف بدرجة حرارة معينة. "مُجَفَّفٌ فِي الْفُرْنِ" أو "فُرْنٌ التَّجْفِيفِ" أو "فُرْنٌ الْجَفَافِيَّةِ": درجة جفاف عينة مسامية بعد تجفيفها في فرن على درجة حرارة معينة. (المدخل هنا صفة وليس اسماً).

1432) Pillow lava. وسائد اللافا. الموصوف هو الـ"lava" -لذا نقول "لابا وسادية".

1440) Pipe wrench.. لَوِي الْأَنْبُوبِ - لَوِي الْأَنْبُوبِ - تحريف الأنبوب. مفتاح (ربط) الأنابيب.

"wrench" هنا هي في سياق "adjustable spanner" لا wrenching (ولا twisting).

1824) Spillway: Device for the escape of excess water. مبنى فائض مائي - سد - حاجز مائي: جهاز لمرور المياه الزائدة أو الفائضة.

("تَقَشُّورٌ" وِرْزَانُ "تَبْلُورٌ" بمعنى "تَكُونُ قِشْرَةً صُلْدَةً").

1050) Interbedded: Pertaining to beds or sedimentary material intercalated in a parallel fashion into a main stratum.

طبقات مُتَدَاخِلَةٌ: ما يختص بالطبقات أو المواد الرسوبية المتداخلة بين بعضها على شكل متوازٍ لتشكّل طبقة صخرية واحدة. مُتَدَاخِلَةٌ بَيْنَ الطَّبَقَاتِ أو مُتَدَاخِلَةٌ التَّطْبِقِ: وَصَفٌ لَطَّبَقَاتٍ أو مواد رسوبية مُقَحَّمَةٍ تَعَاقِبُهَا وَبشَكلٍ مُتَوَازٍ فِي طبقة رئيسية. (المدخل صفة وليس اسماً).

1230) Mesophyte: Plant growing under intermediate moisture conditions.

نبات ذو جذور متوسطة العمق: نبات ينمو تحت شروط رطوبة معتدلة أو متوسطة.

نبات الرطوبة المتوسطة: نبات ينمو في ظروف الرطوبة المعتدلة أو المتوسطة (*).

1290) Mud port: Opening in drilling tool through which drilling mud extrudes.

مرفأ طين الحفر، مكان خروج طين الحفر: فتحة في جهاز الحفر التي يقوم طين الحفر من خلالها بالاندفاع خارجاً وبقوة.

(*) النباتات، من حيث رطوبة البيئة، إما مائية مُفرطة الرطوبة hydrophyte، أو معتدلة (متوسطة) الرطوبة mesophyte، أو جفافية (شحيحة الرطوبة) xerophyte.

قناة تصريف الفائض ، مَفْيَنْض: وسيلة
انفلات الماء الفائض.

1859) Stratum: Sedimentary bed or layer.

طبقة صخرية رسوبية: طبقة رسوبية مُعَيَّنة.
طبقة: طبقة رسوبية.

2120) Waste products.

كمية النفايات - نواتج النفايات.
نواتج فضلاتية: نفايات (تُطْرَحُ بعد عملية
مّا).

2199) Well-sorted grains:
Assortment of grains having the same diameter.

تصنيف حبيبات جيد - فرز حبيبات جيد:
تصنيف وفرز للحبيبات بحيث تكون لها
أبعاد قطرية متشابهة.

حبيبات جيدة التصنيف : تصنيف (أو
تشكيلة) حبيبات متساوية القطر.
(المقصود "الحبيبات المصنفة جيداً" وليس
التصنيف الجيد لها).

2215 (& 2214) Wilting coefficient;
Wilting point: Soil moisture content at which plants wilt.

عامل فقدان الرطوبة وتسبب الهشاشة في
النبات - نقطة فقدان الرطوبة وتسبب
الهشاشة عند النبات: كمية الرطوبة في
التربة التي يحصل عندها فقدان للرطوبة
وهشاشة في النباتات.

مُعَامِلُ الذُّبُول - نقطة الذُّبُول: المُحتَوَى
الرُّطوبِي في التربة عند بدء الذُّبُول.

(العربية ليست فقيرة إلى حدّ استعمال ٦
كلمات للتعبير عن wilting).

*الأساسية الثانية تفترض أن يكون واضعو
المصطلحات مُلمِّين بأجواء الموضوع أو
المواضيع والمجالات العلمية المتعلقة بتلك
الاصطلاحات، كي تأتي مصطلحاتهم
صحيحة دقيقة الأداء، ومتوافقة مع ما هو
مُتعارف بين أهل العلم والصناعة في العالم
العربيّ.

المصطلحات التالية المقترحة أو الموضوعية
للمداخل المقابلة في العينات التي قرأتها من
1509) Pump liner.

حاملة المضخة ، حامل أسطوانة المضخة.
(Chemise de pompe "F").
بطانة المضخة:

1550 & (1230) Receiving water
course.

استقبال الجرى المائي: تلقى الجرى
المائي.

مجرى الماء المُستقبل. (الموصوف هو
watercourse ، ويُكتب كلمة واحدة لا
اثنتين).

1627) Rockfill.

الملء الصخري:

صخرى الحشوة: ذو حشوة صخرية.

(والعبارة تُكتب بشحطة صغيرة "hyphen". وتُستخدم صفة بمعنى: صخرى الحشو composed of large rock or stone loosely placed rock-fill dam سدّ صخرى الحشو أو سدّ ركامي).

1738) Shot drilling: Method of drilling where shot dropped into the bore hole through the drill pipe exercises abrasive action on the bottom hole.

الحفر بالتفجير - الحفر باستخدام طلقات الرمي: طريقة حفر تستخدم فيها طلقات تُسقط ضمن البئر، أو حُفرة البئر خلال أنبوب حفر مُعَيَّن والتي تقوم بتفتيت وتخطيط على قاع الحُفرة أو البئر المراد حفرها.

الحفر بخردق الفولاذ: طريقة حفر يسهم فيها خردق الفولاذ، المُسقط في ثقب الحفر عبر أنبوب الحفر، بفعله الأكال في عملية الحفر.

(في هذا السياق "shot" تعني "خردق" الفولاذ).

1754) Sieve retention: Material retained on a sieve.

احتفاظ المنخل للحبيبات - احتجاز المنخل للحبيبات: المادة المحتفظة على المنخل أو الغربال على شكل حبيبات. الشرح المعطى يحدّد مفهوماً آخر للمصطلح هو: مُستَبَقَاتُ المنخل، حُفالة الغريلة: ما يبقى في المنخل (أو الغربال) بعد النخل (أو الغريلة).

مشروع معجم مصطلحات المياه يشكو من عِلل علمية معرفية أساساً مع تداخل العنصر اللغوي أحياناً في تعقيد الخل. إلى حضراتكم الأمثلة التالية:

4) Absolute atmosphere: 10 dyne per cm² جو مطلق: ويساوى ١٠ دينة لكل سنتيمتر مربع.

الجو المطلق أكثر من ذلك بمئة ألف مرة؛ فالجو المطلق يساوى ١٠ نيوتن على السنتيمتر المربع - علماً أن ١ نيوتن = ١٠^٥ داين^(*).

82) Anhydride: Anhydrous calcium sulphate.

أنهدريت: كبريتات الكالسيوم اللامائية. لفظة "أنهدريت" لاتقابل المصطلح "anhydride"؛ لكن الشرح ينطبق

(*) الضغط الجوي = حوالى كيلوغرام على السنتيمتر^٢، في حين أن الداينة تساوى المليغرام تقريباً. فيزيائياً، الضغط الجوي المعياري = ١,٠١٣٢٥ × ١٠^٥ نيوتن على المتر^٢، (أى = ١,٠١٣٢٥ نيوتن على السم^٢).

عليها. العلة هنا في الخطأ المطبعي للمدخل

Anhydrite الذي صوابه Anhydrite.

206) Dubble gauge: Stage recorder based on principle of equating a gas pressure to water level.

مقياس ضغط مضاعف.

محطة تسجيل قائمة على مبدأ تساوى

ضغط الغاز مع منسوب الماء.

مقياس ضغط مُسَجَّل: مُسَجَّل مناسب

يعتمد على مبدأ ارتباط ضغط الغاز (في

الفقاعات) مع منسوب الماء بمعادلة

مُحدَّدة. الحكم بأن Dubble هي

Double مُتسرَّع، فالشرح لا يُبرَّر

ذلك، بل يشير إلى Dubble. ثُمَّ إِنَّ

Stage recorder لا تعني "محطة تسجيل"

بل "مُسَجَّل مناسب". والمقابل الصحيح

لـ stage في هذا السياق ليس "طور" ولا

"مَرحلة"، كما هو وارد مُقابل المدخل

١٨٣٠، بل "منسوب" - كما هو وارد

مقابل المدخلين ٢١٥٧ و ٢١٥٨.

401) Creep: Slow plastic deformation of a solid.

تشوّه (تغيُّر): تشوّه لدائنيّ بطيء لجسم

صلب معيّن.

تَزَحُّف: تشوّه الجامد اللدان بفعل الثقل

المستمر عليه.

(لفظة "تشوّه" تُقابل

(deformation, deformity, malformation, desfigurement, ect. 947) Housing.

إسكان - منزلى - سكني.

المفروض هنا أنها "مَبَيَّت"، مَقَرّ، مُرتَكَن

(لآلة أو لجزء من آلة).

988) Hygroscopic coefficient: Amount of absorbed water on surface of soil particles in an atmosphere of 50% relative humidity at 25°C.

عامل امتصاص الماء من سطح التربة: كمية

الماء المُمتَصَّة من جزيئات سطح التربة في

جوٍّ يحوى ٥٠% من التربة النسبية في

درجة حرارة تساوى ٢٥ درجة مئوية.

معامل الاسترطاب: كمية الماء التي تمتصّها

جُزيئات سطح التربة... ؛ هذا هو مفهوم

"استرطابي" hygroscopic الذي تعريفه

بالإنكليزية كما يلي:

Absorbing or attracting water from the atmosphere (or the air)
1268 Momentum

القوة الدافعة.

كمية التحرك؛ شرحها بالإنكليزية هو:

The quantity of motion of a moving body = its mass X velocity.

(والقوة الدافعة شيء آخر. فقد يكون

للسيارة الصغيرة ذات قوة ٤ أحصنة "كمية

تحرك" أكثر من سيارة أكبر قوة ٥٠

حصاناً - إذا كانت الأولى تسير بسرعة
١٠٠ كلم/الساعة والثانية تسير بسرعة
٢ كلم/الساعة).

1443) Pilot tube: Device to
measure flow velocity through
pressure differences.

أنبوب مُرشِد - جهاز قياس سرعة الجريان
- أنبوب رئيسي: جهاز لقياس سرعة
الجريان أو التدفق من خلال الاختلافات
والفروق في الضغوط.

الشرح يُبين أنه "أنبوب بيتو": جهاز قياس
سرعة سريان المائع بفارق الضغط "pilot"
خطأً مطبوعاً (صوابه pitot) ، لا ينبغي أن
ننجرَّ وراءه.

1645) Runoff: Discharge of water
through surface streams of a
drainage basin; sum of surface
runoff and groundwater flow that
reaches the streams.

الجريان السطحي ، الجريان المائي: جريان
أو تصريف المياه خلال المجارى أو الجداول
المائية السطحية لحوض تصريف معين ؛ أو
هو مجموع الجريان السطحي وجريان المياه
الجوفية التي تصل إلى الجداول النهرية أو
المائية.

الصرف (أو الانسياب) السطحي ؛ المدد
السطحي. (المصطلحان المقترحان لا بأس
بهما ، لكنهما يغطيان فقط واحداً من

مفهومى المصطلح الإنكليزي كما هو
مشروح. المفهوم الآخر هو "المدد
السطحي").

1830) Steage: Water surface
elevation at a point (along stream,
in lake, etc.) above an arbitrary
datum.

طور - مرحلة: ارتفاع سطح الماء عند
نقطة ما (على طول نهر أو جدول مائي أو
بحيرة إلخ) فوق مستوى إرجاع عشوائى
اعتباطى لا على التعيين.

stage هنا يقابلها "منسوب" ، ويُترجم
arbitrary datum بـ "مستوى أو نقطة
إسناد مُختارة".

(واضح أن الترجمة هنا أُخذت عن
القواميس العادية - لا المتخصصة - دون
مراعاة السياق الموضح في الشرح).^(*)

2111) Walking beam: Oscillating
beam used to produce the rise &
fall of the tools in cable-tool
drilling.

عارضة المسير - عاتق المسير: عارضة أو
عاتق مُهتَزُّ أو متذبذب يُستخدم لإحداث
ارتفاع وانخفاض في معدّات الحفر الموجودة
في آلة الحفر بالدق أو الطرق الخاصة بحفر
الآبار المائية.

ذراع مُترجّحة: ذراع مُترجّحة لأعمال
معدّات الحفر الكبلية.

(*) جديرٌ بالملاحظة أن المعجم إياه يورد "منسوب" مقابل stage في مدخلين مقابل water stage (رقم
٢١٥٧ و ٢١٥٨) ، حيث وُفق العاملون هناك في الوقوع على المرجع المُصطلحيّ المناسب.

29) Advection: Phenomenon of cold air mass intruding & interrupting evaporation & causing condensation due to heat loss.

خاصية الحمل: هي الظاهرة التي يسببها (لعلها "التي تُسببها كتلة") الهواء البارد التي تقتحم وتغزو الهواء مسببة انقطاعاً في التبخر وتكثيفاً للماء وذلك بسبب فقدان الحرارة أو الخسارة في الحرارة.

"الحمل" هو المصطلح الحراري المتعارف مقابل convection ، ونحن هنا بصدد مصطلح آخر هو advection اصطلاح على أن يقابله بالعربية مصطلح التأفق (*) .

93) Anticline: Upfolded stratum.

مُحدَّب: طبقة مطوية نحو الأعلى.
مُحدَّب مُقابل convex. هنا "طية مُحدَّبة" أو "حدبة" أو "قبوة" أو "خنيرة".

163) Bathometer: Instrument for measuring water depths in wells.

عداد قياس عمق مياه الآبار (جهاز قياس عمق ماء الآبار): جهاز لقياس أعماق المياه في الآبار.

2135) Water hammer: Abnormally high pressure rise in a pipe when sudden changes in flow occur.

ارتفاع ضغط الماء المفاجيء في أنبوب ما: ارتفاع عالٍ في ضغط الماء وبشكلٍ شاذٍّ غير طبيعي في أنبوب ما عند حدوث تغييرات مفاجئة في الجريان والتدفق المائي. طرُق الماء: ارتجاج طرُق الماء على جدران الأنبوب عند توقّف أو اضطراب السريان (وارتفاع الضغط) فجأة. (أهل الصنعة يقولون "طرق الماء").

* موادّ الفئة الثالثة مُختارة لعلل مصطلحية أو منهجية أساساً ؛ لكن يظلّ العامل اللغوي - من حيث لغتنا الأصل والهدف - في كثير من الحالات ، أحد مسببات الخلل المصطلحي فيها.

إليكُم العيّنات من هذه الفئة:

16) Acidizing of wells.

إضافة حمض إلى البئر.
إحماض البئر.

(*) ويؤيد مناسبة هذا المصطلح التعريف الذي يورده معجم وبستر الجدول الثالث مقابل

advection الذي نصّه: The horizontal movement of a mass of air which causes changes in temperature or in other physical properties of air; of. Convection

كذلك تتأكد لنا صلاحية مصطلح التأفق بمقارنة التعريف العلمي لمصطلح أحسر ذي علاقة هو

مصطلح advection fog الذي يقابله بالعربية مصطلح "ضباب التأفق" Advection fog: a type of fog caused by the horizontal movement of moist air a cold surface and the consequent cooling of that air to below its dew point.

مِعْمَاق ، مِقْيَاسُ أعْمَاق : جِهَازُ قِيَاسِ
عُمُقِ المِياهِ فِي الآبَارِ. (ولا دَاعِى
لِلْمِصْطَلَحِينَ الَّذِينَ يَصْلِحُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا شَرْحًا لِلْمِصْطَلَحِ الْإِنْكَلِيزِيِّ لَا
تَسْمَةُ لَهُ).

214) Butterfly valve.

صِمَامٌ عَلَى شَكْلِ فَرَّاشَةٍ.

صِمَامٌ فَرَّاشِيٌّ.

275) Chain gauge: Water level
measuring device consisting of a
chain.

جِهَازُ قِيَاسِ مَنْسُوبِ الْمَاءِ الْقَائِمِ عَلَى
اسْتِخْدَامِ السَّلْسَلَةِ: جِهَازُ قِيَاسٍ لِمَنْسُوبِ
الْمَاءِ مَوْلاَفٍ مِنْ سَلْسَلَةٍ.

مُحَدَّدُ قِيَاسِ سِلْسَلِيٍّ. (لَمْ نَقُولْ فِي ثَمَانِي
كَلِمَاتٍ مَا نَسْتَطِيعُ قَوْلَهُ فِي ثَلَاثٍ؟).

283) Check valve.

صِمَامُ التَّائِكُدِّ.

صِمَامٌ صَادٌّ: غَيْرُ مُرْجِعٍ.

(check) فِي هَذَا السِّيَاقِ تَحْمِلُ مَعْنَى
"الْكَبْجِ" وَ "الْصَدِّ" وَ "الزَّنْقِ اللَّارْجُوعِ" ،

لَا مَعْنَى "التَّدْقِيقِ" وَ "التَّائِكُدِّ" وَ "الضَّبْطِ"
(إِلخ).

338) Concrete.

أَسْمَنْتٌ.

خَرَسَانَةٌ.

390) Core bit: Tubular & internally
hollow drilling bit cutting
cylindrical rock samples.

رَأْسُ الْحَفْرِ الْخَاصِ بِأَخْذِ الْعَيِّنَةِ الْأُسْطُوَانِيَّةِ
الصَّخْرِيَّةِ: رَأْسُ الْحَفْرِ الْأَنْبُوتِيِّ وَالْمَفْرُغِ
دَاخِلِيًّا الَّذِي يَقْطَعُ الصَّخْرَ إِلَى عَيِّنَاتٍ
أُسْطُوَانِيَّةٍ.

لُقْمَةُ الْعَيِّنَاتِ اللَّبِّيَّةِ^(*): لُقْمَةُ حَفْرِ أَنْبُوتِيَّةٍ
لَا قِطَاعَ الْعَيِّنَاتِ اللَّبِّيَّةِ.

479) Derrick: Frame structure
containing hoisting devices in a
drilling installation.

الْمِرْفَاعُ (الرَّافِعَةُ): بِنَاءٌ عَامٌ يَحْوِي أَجْزَاءَ
رَفْعٍ وَتَحْمِيلٍ فِي بِنَاءِ آلَةِ الْحَفْرِ الْعَامَةِ.

بُرْجُ الْحَفْرِ. إِنْشَاءٌ هَيْكَلِيٌّ يَحْمِلُ الرُّوَافِعَ فِي
مُنْشَأَةِ حَفْرِ.

(Derrick) بِالْإِنْكَلِيزِيَّةِ تَحْمِلُ الْمَعْنِيَيْنِ (١)
الْمِرْفَاعَ (٢) بُرْجَ الْحَفْرِ ؛ الشَّرْحُ الْمُرَافِقُ هُنَا
يُعَرِّفُ الْمَعْنَى الثَّانِيَةَ ، فَإِذَا نَرِيدُ إِيرَادَ الْمُرَادِفِ

الْآخِرِ نُضِيفُ حَيْثُ تَعْرِيفُهُ بِمَثَلِ: Any of
various devices for lifting &
moving heavy objects.

نَبِيْطَةٌ أَوْ جِهَازٌ لِرَفْعٍ أَوْ نَقْلِ الْأَجْسَامِ
الثَّقِيلَةِ.

799) Fumarole: Volcanic
exhalation of gases mainly water
vapor.

فُتْحَةُ بُرْكَانِيَّةٍ تَخْرُجُ مِنْهَا الْغَازَاتُ الْحَارَّةُ
وَالْبُخَارُ: نَفْثُ بُرْكَانِيٍّ لِغَازَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ
وخاصة بخار الماء.

(*) وَلَا مَانِعَ حَتَّى أَنْ يُقَالَ "لُقْمَةُ لَبِّيَّةٍ" أَوْ "لُقْمَةُ اللَّبِّيَّاتِ".

نافثة (بركانية) أو داخنة: زفرٌ بركانيّ غازيٌّ مُعظمُهُ من بخار الماء.

(ولعلّ التعريف التالي هو الأفضل: "فوهة بركانية تنبعثُ منها الأدخنة والغازات").

1000) Imbibition: Fluid displacement in porous media due to capillary forces alone.

امتصاص (إزاحة السائل بالخاصية الشعرية): إزاحة سائل ما في وسطٍ مسامي بسبب تأثير القوى الشعرية وحدها.

تشرب. ("امتصاص" مُقابل absorption أو suction).

1002) Impedance: Apparent resistance of a conductive system when alternating current is applied.

مُقاومة ظاهريّة (إعاقة التيار المتناوب): المقاومة الظاهريّة لنظام ناقل أو جملة ناقلة كهربائيًا عند تطبيق تيارٍ متناوبٍ عليها.

مُعاوكة: المُقاومة الظاهريّة لمنظومةٍ مُوصّنة عند تسليط تيارٍ مُتناوبٍ.

("مُقاومة" مُقابل resistance. ومصطلح

"المُعاوكة" مُقابل impedance هو من

المصطلحات العلميّة المُقرّة من قبل مختلف

الجامع والاتحادات العلميّة العربيّة. أما

"تطبيق" فلا يَسْتَسِيغُها السياق مُقابل

apply هنا).

1057) Interface: Contact plane of two immiscible liquids.

السطح الفاصل بين سائلين غير قابلين للامتزاج (برزخ فاصل): سطح الاحتكاك بين سائلين غير قابلين للامتزاج بعضهما ببعض.

مُصطلح "سَطْح بَيْنِيّ" يُؤدّي كامل معنى المُصطلح الأجنبيّ. وتُعرّفه —: سَطْح التماس بين سائلين لا مَزُوجِيّين. (لفظة "الاحتكاك" في الشرح الوارد في النص غير مناسبة).

1120) Laminar flow.

جريان خطّي.

جريان صفحيّ. (صفحي مُقابل laminar وخطّي مُقابل linear).

1176) Magma: Molten rock substance formed within the earth from which igneous rocks originate.

ماغما - مواد صخريّة مصهورة ذات حرارة مرتفعة جدًّا: مادة صخريّة مصهورة ذائبة تتشكل ضمن الأرض ومنها تتشكل أصلاً الصخور الاندفاعيّة.

صُّهارة ، ماغما: مواد صخريّة مصهورة في باطن الأرض تتشكّل منها الصخور الناريّة (البركانية). مُصطلح "صُّهارة" من المصطلحات الناجحة والشائعة.

1213) Measuring weir: Device to measure flow rates indirectly through the weir head.

شبكة القياس - مصيدة القياس - سياج
قياس: جهاز لقياس معدلات الجريان
بشكل غير مباشر عن طريق رأس شبكة أو
مصيدة قياس معينة.

هَدَّارُ قِياس: وسيلة لقياس معدلات التدفق
بشكل غير مباشر من خلال ثلثة في أعلى
الهَدَّار.

1379) Peat: Decomposed mainly
vegetable matter.

نبات مُتَضَخَّم: مادة متفسخة نباتية بشكل
رئيسي. أو نسيج نباتي متضخم جزئياً
بسبب التفسخ الجزئي في الماء ونبات
مختلفة الأنواع.

خُث: مادة نباتية في الغالب متفسخة
ومتفحمة جزئياً.

(مُتَضَخَّم لِغَلَّها خطأ مطبعي لِمُتَفَحَّم).

1414) Photomultiplier:

جهاز القياس في الصور الجوية.
مُضَاعِف ضوئي أو صمام ضوئي
مُضَاعِف (يُسَمَّى أيضاً multiplier)
phototube.

1421) Phreatophyte: Desert plant
with deeply penetrating roots
reaching the water table, growing
mainly along stream course.

نباتات الصحراء ذوات الجذور العميقة التي
تصل لمنسوب المياه الجوفية: نباتات

صحراوية تخترق جذورها أعماقاً تصل إلى
منسوب المياه الجوفية ، وتنمو بشكل
رئيسي على طول مجاري الجداول النهرية.
نُبتُ المياه الجوفية:...

1515) Quagmire: Wet and unstable
land area.

أَرْض طَرِيَّة تَهْتَزُّ تحت القدم: أرض رطبة
غير مُستَقِرَّة تَهْتَزُّ لأقلَّ حركة.
(أَرْض) سَبَّخَة: أرض رِخوة رطبة وغير
مُستَقِرَّة.

1518) Quicksand.

رمل متحرك أو زاحف: رمل مفتت ممتزج
مع الماء تغرق فيه المواد الثقيلة بسرعة
كبيرة.

رمل سَوَّاح ، وَعَث: رمل سريع الانهيار.

1570) Redox potential: Oxidction
potential.

كمون الأكسدة والإرجاع: كمون لعملية
الأكسدة والإرجاع الكيماوي.
جُهد الأُكْسَدَة: جُهد الأُكْسَدَة
والاختزال.

("كُمون" أو "كامنة" مُقَابِل potential لا

بأس ها ، ولكن جرى استخدامها غالباً في
مواقع محدّدة مثل طاقة كامنة

potential energy أو potential

capacity. الإرجاع تقابل reduction في

الطب "للكسور مثلاً" ؛ هنا "اختزال" ل
إرجاع).

1714) Setting of cement.
process of hardening of cement.

وضع الملاط – قساوة الملاط:

عملية القساوة التي تطرأ على الملاط
المستعمل.

شكُّ الإسمنت: عملية تصلُّب الملاط.

1728) Shear strength.

قوة القصّ ، قوّة الجزّ.

المفهوم هنا ليس قوّة القصّ ، أو ما يُقصّ ،
بل "مقاومة القصّ".

1806) Solubility.

الانحلالية – قدرة الانحلال.

الذوبانية أو الذووبية: قابلية الذوبان.

(مُصطلح "الانحلالية" يحمل معاني مُتعدّدة
– لعلّ فيها جميعاً شيءٌ من "الذوبانية").

1882) Sublimation: Direct
conversion of water from its solid
state to the vapor phase.

تحوُّل من صُلْب إلى بخار مباشرةً.

"التسامي" مُقابل "sublimation" هو
المصطلح المتعارف في كلّ السياقات –
المادية والمعنوية. (ويمكن إضافة مصطلح
"التصعّد" أيضاً هنا كمرادف).

1939) Syncline.

مُقعّر – مقعر جيولوجي – حوض
جيولوجي.

مُقعّر مقابل concave ؛ هنا "قَعيرة" ،
"طيّة مُقعّرة" ، "وَقبة".

2000) Topography: Physical
features of a geographical area.

الطوبوغرافيا: المظاهر الفيزيائية لمنطقة
جغرافية معيّنة.

مُقابل features هنا، الأنسب "مَعالم". أما
physical فالمُقابل المناسب لها هنا "طبيعي".

2093) Vesicular: Containing small
circular cavities.

تكهُفِي ، ذو فتحات كهفيّة : يحوى على
كهوف أو تكهُفَات صغيرة دائرية الشكل.
حُويصلي ، مُفجّئ : يحوى فجوات دائرية
صغيرة.

(عندما نتكلم عن vesicular المفهوم هنا
تفطّات أو مجلات صغيرة كما على الجلد
أو في النباتات الطافية أو بنية الصخر أو
المعدن الإسفنجي القوام. مفهوم الكهوف
شيء آخر).

2117) Washover: Liberating a
stuck tool by drilling over it with
an overshot (Surforage "F").

تنظيف علويّ من أجل تحرير معدّات حُفّر
عالقّة في بئرٍ ما؛ تحرير آلّة أو إحسدى
معدّات الحفر العالقّة في مكانٍ ما في البئر
وذلك بالحفر فوقها بواسطة آلات مسنّنة
وإخراجها بعد ذلك.

اجترافٌ فوقيّ: تحريرٌ عُذَّةٍ عالِقةٍ بالحفر فوقها بأداةٍ التقاط السواقِط.

(overshot: a fishing tool sued to recover lost pipe in a drilled well).
2224) Xerophyte.

نبات متلائم للحياة مع نقص المياه في بنيته: نبات متلائم بنيويًا للحياة والنمو بقدر محدود من الماء وخاصة عن طريق ميكانيكية أو آلية الحد من النتج النبلى أو عن طريق القيام بتخزين الماء في بنيته المميّزة.

نباتٌ جفافى^(*): نباتٌ مُكَيَّفٌ للحياة والنمو بالقليل من الماء بوسائل متنوعة (كتشخُّن الأدمة أو التغطى الراتينجى أو الزغب الكثيف) تحدُّ من النتج أو تبيح إمكانية لاختزان الماء (كنباتات الصحلى والسبخات الملحية أو الحامضية).

*العَيِّنات التالية اخترثها من قراءاتى فى مشروع معجم مصطلحات المياه لعلل فى مجالات الدّراية والفِطنة والمنطق والمُخيّلة والسليقية... إلخ ممّا أدرجته كأساسيّة رابعة فى مُتطلبات المصطلحية الفاعلة ، وهذه العَيِّنات أيضًا لا تخلو - كسابقاتها من خللٍ فى الأساسيات الأخرى. فهذه الأساسيات ، فى الواقع، مترابطة ومتشابكة

ومتأثرة بعضها مع بعض ، وبعضها فى بعض. إليكم الأمثلة:

11) Acclivity: Ascending slope.

ارتفاع (انحدار نحو الأعلى) : ميلٌ باتجاه الأعلى "حدورٌ صاعد" هو المصطلح المناسب.

(فمن الواضح أن "ارتفاع" لا تؤدى المعنى المقصود ، وقولنا "انحدار نحو الأعلى" ربما صحيح على مقلوبيته ، ولكنه "كلامٌ مُخالفٌ لمنطق اللغة - الناس يفهمون "انحدر" بمعنى "هبط" و "نزل" و "انحط" ؛ لذا نقول "حدور" ، فنكسبها مفهوماً علمياً مُميّزاً وصورةً فكريةً مُستقلة).

590) Driven well: Well driven into loose sedimentary material by impacts of a driving mechanism.

بئر مُساقة - بئر مُقادة (بئر مطروقة): بئر مساقة ضمن مواد مُتفتته عن طريق الثقل والتأثير الخاص بميكانيكية الإقحام والنقل.

هذه البئر لا "مُساقة" ولا "مُقادة" ، فليس السّياق هنا سياق "سوق" أو "قيادة" مثل to drive a car or to drive a campaign بل سياق to drive a nail ؛ والمصطلح المناسب هو: بئر الدق. (وكون المصطلح الإنكليزى يرادف tube well فى أفضل "بئر أنبوية"): بئر تُحفر بدق أنبوب ذى

(*) ولعل المصطلح العربى الذى يترجم الجذرين اليونانيين xero- = dry و phyte = plant أدق دلالة

وأكثر وضوحاً من "المصطلح" المعطى الثمانى الكلمات.

طرف مُدَبَّب مُثَقَّب عبر طبقات رِخْوَة
(بآليَّة دق).

829) Geologic conditions

شروط جيولوجيَّة (ظروف جيولوجيَّة).
"ظُرُوف جيولوجيَّة". "شروط" لا مُسَوِّغ
لها هنا. (بخاصَّة أَمَّا تَرَدُّد في شُرُوح أُخَرَى
دون ذِكْر ظُرُوف).

913) Gun perforator.

بُنْدُقِيَّة ثاقِبَة (بندقيَّة ثَقْب الفِتحَات).
مِثْقَب مُسَدَّسِي أو مُسَدَّسُ ثَقْب.
(صَحِيحٌ أَنَّ "بندقيَّة" تُقَابِل "gun" ، لكن
السِّيَاق هنا يتجاوَزها ؛ فَمَا يُسْتَحْدَمُ لهذا
الغَرَض لا يُشَبِّه البندقيَّة).

919) Hardness of water.. قَسَاوَة المَاء.

"عُسْر المَاء" هُو المَصْطَلَح المُنْطَقِيّ
والمُتَعَارَف مِنْذُ أَجْيَال.

923) Head water: Upper reach of a stream.

المِيَاه الرَأْسِيَّة: أَعْلَى مَا يَصِل إِلَيْهِ مَاءٌ مُجْرَى
مُعَيَّن.

مِيَاهُ الْأَعَالَى أو أَعَالَى النَهْر (أو المَجْرَى):
عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْمَنْبَع.

(المِيَاه الرَأْسِيَّة تَفْتَرِضُ المَقَارَنَة مَعَ المِيَاه
الْأَفْقِيَّة).

1056) Interdigitation: Lateral
interlocking of sedimentary series.

إِغْلَاق إِصْبَعِي لِلصَّخُور: تَدَاخُل وإِغْلَاق
إِصْبَعِي عَلَى جَانِبِي سِلْسِلَة صَخُور رَسَوِيَّة
مُعَيَّنَة.

تَصَابِع أو تَشَابِك إِصْبَعِي أو تَوَاشُج
إِصْبَعِي. وَنَشْرَحُه بِ: تَشَابِك جَانِبِيّ
لأنْماطٍ صَخْرِيَّة رَسَوِيَّة. (وَهَكَذَا نَتَجَنَّب
إِهْمَامِيَّة الشَّرْح الوَارِد).

1415) Phreatic decline: Downward
movement of water table.

الحَرَكَة السُّفْلِيَّة لِمنسوبِ المَاء: حَرَكَة نَحْو
الْأَسْفَل لِمنسوبِ المِيَاه الجَوْفِيَّة.
انْخِفَاضُ المِيَاه الجَوْفِيَّة: انْخِفَاضُ مَسْتَوَى
المِيَاه الجَوْفِيَّة.

1428) Piezometer: Pressure
reading and measuring instrument.

بِئْر مَرَاقِبَة - بِيْزومتر: جِهَاز لِقِيَاسِ الضَّغْطِ
وَقَرَأَتِهِ فِي المِيَاه الجَوْفِيَّة.

بِيْزومتر: جِهَازٌ لِقِيَاسِ ضَغْطِ السَّائِلِ قِوَامُهُ
أَنْبُوبَةٌ يَتَصَلُّ أَسْفُلُهَا بِقَاعِ الوَعَاءِ وَأَعْلَاهَا
مَفْتُوح. (وَيَعْجَبُ الْقَارِئُ أَنْ تَكُونَ "بِئْرُ
مَرَاقِبَة" جِهَازًا).

1437) Pipe coupling.

وَصَلَة الْأَنْبُوبِ ، وَصَلَاتِ الْأَنْايِبِ.
(Manchon de tubage "F").
قَارَنَةُ أَنْايِبِ (مَلَوْبَة الطَّرْفَيْن).

1468) Pore space: Space occupied
by voids, containing gases or
liquids in a rock sample.

المسافة بين الفتحات الصخرية - المسافة بين الفراغات والمسامات.

المسافة أو الفراغ الذي تحتله الفتحة أو السُّم ويحوى غازاً أو سائلاً في عينة صخرية معينة.

الحيزُ المسامي: حيزُ الفراغات المليئة بالغاز أو السائل في عينة صخرية.

1499) Puddle: Water collecting in very small surface depressions.

بحيرة صغيرة مستنقعية ، بحيرة وحلية صغيرة: مياه متجمعة في المنخفضات السطحية الصغيرة جداً الموجودة على الأرض.

بُريكة: مياه قليلة متجمعة في منخفضٍ سطحيّ ضحل.

(في المعارف المألوف لا ينطبق لفظ "بحيرة" عليها مَهْمَا صَغُرَتْهَا).

1561) Recipient: Vessel receiving liquid in volume measurements.

الوعاء المُتلقى - وعاء السائل المستلم: وعاء يتلقى السوائل على شكل مقاييس وقياسات حجمية.

نقبل "الوعاء المُتلقى" ولو أن لفظة "المُتلقى" أو "المُستقبل" تكفى وحدها. أما الشرح فغريبُ الصياغة ، وهو قد يُترجم ببساطة:

وعاء يتلقى (أو تلقى) السائل في قياسات الحجم (أو القياسات الحجمية).

1978) Threshold saturation: Saturation below which no flow occurs.

عتبة الإشباع - بداية الإشباع أو التشبع: الإشباع الذي لا يحدث تحته جريان (تدفق).

إشباعٌ مشرفي. والسَّيَاق هنا ليس "بداية الإشباع" بل بداية السريان - يعنى "منتهى الإشباع" الذي بعده يبدأ السريان (إذ تكون فراغات التربة قد امتلأت وتشبعت)، ودونه لا يحدث سريانٌ (وهو ليس تدفقاً هنا).

2031) Tree mold: Hollow mold left by a tree trunk in a lava flow.

جذع الشجرة المتحجر - قالب شجر متحجر: قالب متحجر ذو ثقب أو فتحة ناتج عن جذوع الأشجار المتبقية في مناطق تدفق الصُّبَات البركانية أو اللافا. قالب شجري: قالبٌ أجوفٌ خلفه جذعُ شجرة في فيضٍ لابي.

(القالب هنا فراغ كان يملؤه جذعُ شجرة زمن الفيض اللابي).

2115) Washer.

غاسِل - غسَّالة - رُنْدِيلَة وصل معدنية. (Rondelle "F").

فَلَكَّة. (كمزادف لـ "رنديلة" ؛ ولا مَجَال
لـ "غاسيل" و "غَسَّالَة").

2227(& 26) Zero adjustment:
Adjustment of a scale on a
measuring circuit to an original
point of departure.

صفر التعديل - صفر الضبط والتنظيم:
تعديل وضبط مقياس مُدرِّج ما أو دارة
قياس معيَّنة إلى نقطة أصلية للانحراف.
ضبطُ (قراءة) الصفر: ضبطُ قراءة الصفر في
جهاز القياس.

(المقصود "عملية الضبط إلى قراءة الصفر"
وليس "تدریجة الصفر").

*الأساسية الخامسة لعلها ألفباء المنهجية
المصطلحية وأبسطُ مقوماتها- وهي تفترضُ
التنقيب عن المصطلح المقابل المناسب في
المعاجم أو المؤلفات ذات العلاقة قبل أن
يُصار إلى وسائل أخرى تدرج فيها
الأساسيات التي أشرت إليها ، ضمنَ

مبادئ منهجية مصطلحية أخرى-اشتقاقية
أو مجازية أو تعريبية أو ما سوى ذلك.

واللافتُ أن ثَبَّتَ المراجع على غناه
بالمراجع الأجنبية^(١) تَجِدُهُ قاصراً في المراجع
العربية^(٢) - بخاصة المراجع ذات

العلاقة بعلم المياه التي سبق أن تعرَّفنا
بعضها على صفحات "اللسان العربي"^(٣)
مجلة مكتب التنسيق - بل مجلة أهل العريفة
على اختلاف مشاربهم.

إنَّ عَزَوْ المصطلحات العربية الواردة في
مشروع المعجم هذا إلى المراجع العربية
المذكورة في مقدمته كمراجع لهذه
المصطلحات على قَلَّتْها ، هو إجحافٌ
بحَقِّها - إذ أن التعديلات التي أثبتَّها، في
معظمها، تعكسُ إلى حَدِّ ما في المعاجم
العلمية الثلاثة (بخاصة ثالثها) من تلك
المراجع. ولا أجدُ داعياً لمزيدٍ من الأمثلة

(١) ١٧ بالفرنسية ، ٢١ بالإنكليزية ، ٢ بالألمانية.

(٢) ٦ معاجم هي التالية:

معجم الجيولوجيا (إنكليزي-فرنسي-عربي)، مكتب تنسيق التعريب، الرباط ١٩٧١.

معجم الفيزياء أو الطبيعة (إنكليزي-فرنسي-عربي)، مكتب تنسيق التعريب، الرباط ١٩٧١.

معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (إنكليزي-عربي)، أحمد شفيق الخطيب، ط٥، بيروت ١٩٨١.

المورد (إنكليزي-عربي)، منير البعلبكي، ط٧، بيروت ١٩٨٣.

القاموس المصري (إنكليزي-عربي)، إلياس انطون إلياس، القاهرة ١٩٦٣.

الوسيط (عربي - عربي) ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

(٣) أذكر منها: "معجم مصطلحات علوم المياه"، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٨؛ معجم الهيدرولوجيا، مجمع اللغة العربية، القاهرة؛ معجم المصطلحات الهيدرولوجيا، إصدار اليونسكو بالتعاون مع الألكسو والهيئات العربية المتخصصة ١٩٨٣؛ معجم هندسة المياه، (إنكليزي-فرنسي-عربي)، محمود فوزي عبدالعزيز من جامعة القاهرة، أكاديمية، بيروت ١٩٩٤؛ ولابد أن هنالك الكثير غيرها.

على هذه الأساسية، بعد الذى قرأته على مسامعكم منها فى استعراضى للأساسيات الأربع السالفة^(١)، ففيه الأمثلة الكافية الوافية.

أيها الزملاء الذين يُهمُّهم الأمر: إننى أدرى طبعاً أن هذا المشروع كسواه من مشاريع مكتب التنسيق سيمرُّ على ندوة ثم على مؤتمر تعريب، يُختار أعضاؤهما من خيرة علمائنا.

ولكن ماذا تفعل ندوة فى مدى أربعة أيام عمل لمدارسه مثل مشروع هذا المعجم، ضمن خمسة مشاريع أخرى. إنَّ أربعاً وعشرين ساعة عملٍ لن تكفى لإنجاز الكثير أمام خمسة مشاريع، مداخلها تفوق العشرة آلاف مدخل - يعنى أن معدّل الزمن المخصّص لدراسة المصطلح من المشاريع الخمسة لن يتجاوز عُشرَ الدقيقة! إنَّ البستَّ أو السبع الثوانى لا تكاد تكفى لقراءة مادة المدخل وشرحه، فكيف للتداول فيه^(٢)

والشئ نفسه يصدّق على مؤتمرات التعريب، فقد أجريتُ عمليةً

حسابية بسيطةً على مجمل ما أقرّته مؤتمرات التعريب الخمسة (من الثانى إلى السادس)، فبلغ معدّل نصيب المصطلح ٤,٢ الثانية^(٣).

الندوات والمؤتمرات يأسدتى فائقة الأهمية بالطبع، ومؤتمراتنا السنوية هنا خير شاهدٍ على ذلك - لكن ما نتداوله هنا هو مادة خضعت لتدارسٍ ومقارنة ومراجعة لجان مُختصة على مدى اثني عشر شهراً، وتستوفى مناقشة المصطلحات خلال المؤتمر عادةً ما تستلزمه من وقت. ونحن نرى أن مكتب تنسيق التعريب، بدعم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مؤهل لتحقيق مثل ذلك - بانتظار أن يتحقق لنا بعض ما سمعناه أو قرأنا عنه من مشاريع كمثل "الجامعة العربية للدراسات" - التى ألح إليها مراراً سيادة الدكتور محى الدين صابر^(٤) الأمين العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أو "مشروع جامعة التعريب" التى دعا، ولا يزال يدعو إليها سيادة رئيس مجمع اللغة العربية

(١) ما أتوقعه فى تحقيق هذه الأساسية سرتنى أن أجد تطبيقاً عليه فى مشروع معجم مصطلحات التقنيات التربوية (وهو أحد مشروعات المعاجم الخمسة التى نحن بصددّها) حيث أدرج فريق العمل برئاسة الدكتور محمد ملوك وبإشراف كلية علوم التربية بالرباط، مقابل كل مدخل جملة من المصطلحات المُنتقاة من كثرة من المعاجم والمراجع ذات العلاقة مُرفقة بأرقام مراجعها.

(٢) فى مداخلة لمكتب تنسيق التعريب فى مؤتمر التعريب السادس ترد فى ص ٢٤ من اللسان العربى العدد ٣١ ديسمبر ١٩٨٨، نقراً شكوى من "عدم كفاية المدة المخصصة لندوات تنقيح المعاجم مما يدعو فى بعض الأحيان إلى متابعة المراجعة بفريق عمل محلى".

(٣) انظر الملحق ص ٢٧.

(٤) ص ٣١٩، اللسان العربى، العدد ٢٢.

الأردني الزميل الكريم الدكتور عبد الكريم
خليفة، أو كأن يتحقق حلٌّ كان الملح إليه
سيادة الدكتور عبد الهادي أبو طالب المدير
العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم
والثقافة في إمكانية أن يصبح مكتب تنسيق

التعريب السلطة العربية العليا التي تتمثل
فيها جميعُ الجامعات اللغوية والمؤسساتُ
العربية العاملة في مجال التعريب^(*).

أحمد شفيق الخطيب
عضو المجمع المراسل من فلسطين

(*) ص ١٨، اللسان العربي، العدد ٣١.

ملحق - المعاجم الموحدة

في مؤتمرات التعريب (١٩٧٣-١٩٨٨) (*)

الرقم الترتيبي	اسم المعجم	رقم المؤتمر	عدد المصطلحات	سنة الطبع	مكان المؤتمر وزمانه
١	معجم الحيوان	الثاني ١٩٧٣	٢٨٩٩	١٩٧٦	الجزائر
٢	معجم الطبيعة (الفيزياء)	الثاني ١٩٧٣	٢٨٢٠	١٩٧٧	٢٠-١٢
٣	معجم الكيمياء	الثاني ١٩٧٣	١٩٢٠	١٩٧٧	ديسمبر ١٩٧٣
٤	معجم النبات	الثاني ١٩٧٣	٤١٤١	١٩٧٨	(كانون الأول)
٥	معجم الرياضيات	الثاني ١٩٧٣	١٨٤٠	١٩٧٩	
٦	معجم الجيولوجيا	الثاني ١٩٧٣	١٧٩٧		
٧	معجم الجغرافيا والفلك	الثالث ١٩٧٧	٨٣٣	١٩٧٧	١٦-٩
٨	(المجموعة الأولى)				فبراير ١٩٧٧
٩	معجم الفلسفة والمنطق	الثالث ١٩٧٧	١٨٥٨	١٩٧٧	(شباط)
١٠	معجم الصحة وجسم الإنسان	الثالث ١٩٧٧	٢١١٠	١٩٧٧	
١١	معجم الرياضيات	الثالث ١٩٧٧	١٦١٣	١٩٧٧	
١٢	معجم الإحصاء	الثالث ١٩٧٧	٥٥٦	١٩٧٧	
١٣	معجم الفلك (المجموعة الثانية)	الثالث ١٩٧٧	٤٧٩	١٩٧٧	
١٤	معجم الرياضيات البحتة والتطبيقية (المجموعة الأولى)	الثالث ١٩٧٧	١٩٣١	١٩٧٧	
١٥	معجم الكهرباء	الرابع ١٩٨١	١٣٨٤		طنجة ٢٠-٢٢
١٦	معجم هندسة البناء	الرابع ١٩٨١	١٤٤٩		ابريل (نيسان)
١٧	معجم المحاسبة	الرابع ١٩٨١	١٢٢٦		١٩٨١
١٨	معجم التجارة	الرابع ١٩٨١	٦٦٠٧		
١٩	معجم النجارة	الرابع ١٩٨١	٩٤٩		
٢٠	معجم البترول	الرابع ١٩٨١	١٠٢٦٥		
٢١	معجم الجيولوجيا	الرابع ١٩٨١	٣٢٩٤		
٢٢	معجم الحاسبات الإلكترونية	الرابع ١٩٨١	٣٤١٤		

(*) عن اللسان العربي - العدد ٣٤

الرقم الترتيبي	اسم المعجم	رقم المؤتمر	عدد المصطلحات	سنة الطبع	مكان المؤتمر وزمانه
٢٣	معجم الفيزياء النووية	الخامس ٨٥	١٤٧٢	١٩٦٩	عمان ٢٢-٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥
٢٤	معجم التربية	الخامس ٨٥	١٧٦٣		
٢٥	معجم الاجتماع والأنثروبولوجيا	الخامس ٨٥	١٠٩٦		
٢٦	معجم الفيزياء العامة	الخامس ٨٥	٥٤٣٨		
٢٧	معجم الكيمياء العامة	الخامس ٨٥	٢٨٧٢		
٢٨	معجم علم اللغة واللسانيات	الخامس ٨٥	٣٢٦٢		
٢٩	الألعاب الرياضية (الجزء الأول)	الخامس ٨٥	٢٦٢٧		
٣٠	المعجم العربي الزراعي	الخامس ٨٥	٧٥٠٠		
٣١	المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية	الخامس ٨٥	٢٣٥٧		
٣٢	معجم القاموس العام لمصطلحات السكك الحديدية	الخامس ٨٥	١١٦٧٩		
٣٣	معجم الاقتصاد	السادس ٨٨	١٨٨٤		الرباط ٢٦-٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨
٣٤	معجم الجغرافيا	السادس ٨٨	٢٦٢٦		
٣٥	معجم الموسيقى	السادس ٨٨	٨٤٦		
٣٦	معجم الآثار	السادس ٨٨	٢٨٦٢		
٣٧	معجم القانون	السادس ٨٨	٢٢٤٧		
	مجموع عدد المصطلحات الموحدة		١٠٧٤٧٣		

١٠٧٤٧٣ مصطلح في ٢١ يوم عمل (أو في ١٢٦ ساعة عمل)
 أى بمعدل ١٤,٢ مصطلح في الدقيقة "بواقع ٤,٢ ثانية لكل مصطلح".